د. حامد الرفاعي: الحوار مع الآخر يجب أن يقوم على أساس الشراكة في مهمة الاستخلاف في الأرض

الوعي الإسلامي

تأسست عام 1385 هـ-1965 م
العدد 482 - السنة (42)
شوال 1426 هـ
نوفمبر/ ديسمبر 2005 م
موقع المجلة على شبكة الإنترنت www.alwaei.com

البدع الفلكية في رأس السنة الميلادية

من أجل تصحيح صورة الإسلام في الكتب والمناهج الغربية

سنة أولى زواج والصراع المريرين الأزواج والحموات!!

الفهم الأصولي عند أهل السنة

كل عام وأنتم بخير

لمناسبة حلول عيد الفطر السعيد

تتقدم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي

بأجمل التهاني وأطيب التبريكات

إلى مقام حضرة صاحب السمو

أمير البلاد المفدى

وسمو ولي عهده الأمين

وسمو رئيس مجلس الوزراء

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

وأعضاء الحكومة وأبناء الشعب الكويتي كافة

داعين الله عز وجل أن يجعل هذه المناسبة العزيزة

منطلقا لتدعيم مسيرة التقدم والبناء.

كما يسر مجلة الوعي الإسلامي أن تقدم

تهانيها القلبية للمسلمين في مشارق الأرض

ومغاربها مقرونة بالدعاء إلى الله العلي

القدير أن يوحد كلمتهم ويجمع صفوفهم

ويأخذ بيدهم لكل مافيه خير الإسلام والمسلمين.

نتقارب لا نتماثل

ينطلق حوارنا الإيجابي من نقطة ساخنة في مجال «الاتفاق والتوافق» والتي من شأنها أن تحث المتحاورين المختلفين على الاستمتاع بالحياة مع بعضهم بعضاً والتعايش بأمن وأمان و يجب أن ندرك رحابة هذا الدين الحنيف السامي حين نقول (نتقارب لا نتماثل) وأثر ذلك على استمرار العطاء وسلامة الصدور والقلوب والأبدان.

والتقارب مطلب ضرورة على مستوى الجماعات والأفراد، والتركيز عليه أصل من أصول العلاقات البشرية، ومن ثم يجب أن تصرف الجهود مجتمعة للوصول إلى مساحات الالتقاء والعمل على تفعيلها وتطويرها والابتعاد عن نقاط الافتراق والخصام.

نتقارب وقد لا نتماثل نجتمع ونتحاور وقد لا يقنع بعضنا بعضاً بوجهات نظره وقد لا ننطلق من منهجية واحدة ولا نصل إلى نتيجة واحدة ولكن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

رئيس التحرير
أنور حمد الحمد

قال الشاعر:

كلا الرأيين مقبول وإني
أري التفضيل بينهما حماقة

ولابد من بيان صعوبة التماثل والتشاكل، وسلبية هذا الفهم السائد غير المستقيم الذي من شأنه أن يفرق ولا يجمع، وتخطيئ مفهوم «فإما أن يكون لي مطيعاً خالصاً وإلا كان لي نداً وعدواً» وهكذا.. بات من الضروري تسليط الضوء على الطائفة التي لا تتفق معنا ولا تعادينا.

نريد احتراماً يصل بنا إلى تقارب محمود، نحسن النوايا والمقاصد ونسمو بأخلاقنا الكريمة الفاضلة لنشيع جو الحب والتعاون وحسن الظن حتى تكون هناك زيادة في التواصل الاجتماعي والتبادل الثقافي والفكري والتناصح النموذجي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة هذا الدين القويم.

يقول الله تبارك وتعالى:

«والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم» «الحشر- ١٠».

الافتتاحية

الوعي الإسلامي
إسلامية • شهرية • جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد 482
العام الثاني والأربعون
شوال 1426 هـ
نوفمبر / ديسمبر 2005 م

رئيس التحرير
أنور حمد الحمد
إدارة التحرير
تمام أحمد الصباغ
التحرير
أحمد توفيق هلال
الإخراج والتنفيذ
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧
الصفاة 13097 -
الكويت
هاتف:
٢٤٧٠١٥٦ - ٢٤٧٦٧٣٢
فاكس:
٢٤٧٣٧٠٩

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

كلمة العدد

تقيدوا بضوابط النشر

الأخوة الكتّاب والقراء:

كمٌ هائل من المقالات والرسائل يصلنا منكم شهرياً، من دون أن يأخذ طريقة للنشر على صفحات المجلة، ثم تتوالى علينا الاستفسارات من كل حدب وصوب مستوضحة الأسباب المانعة للنشر ولماذا نقوم بنشر مقالات لبعض الكتّاب ولا ننشر للآخرين؟!

إن قراءة متأنية لضوابط النشر التي نقوم بنشرها في ثنايا معظم أعداد المجلة وبصورة بارزة، تقدم لكم إجابة شافية وافية لاستفساراتكم وخصوصاً فيما يتعلق بالمادة العلمية للمقال وضرورة أن يعالج المقال فكرة متميزة أو قضية جوهرية من قضايا العالم الإسلامي المعاصر بأسلوب مختصر وواضح ومتزن ومقترن بالأدلة والشواهد والأرقام والإحصاءات والصور، وكل ما من شأنة أن يثري المقال أو الحوار أو الموضوع ويعطيه قيمة علمية أو فكرية.

والله من وراء القصد

التحرير

التوزيع : وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦ - ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

• السودان - الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - عدن - ص ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر • لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص ب ١٨٤/١٤ • سوريا - دمشق - برامكة - ص ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٣٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (٠٠٩٦٣ ١١) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص ب ٣٧٥ - رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ • مملكة البحرين - المنامة - ص ب ٣٢١٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الجلاء، رمز بريدي ١١٥١٦ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦٦) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان سانص - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٣ (٠٠٢١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفة للتوزيع والصحف • سلطنة عمان - مسقط - ص ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

الاشتراكات
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير . للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم : لأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها)

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك الى ادارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم ارسال مبالغ نقدية)

الأسعار
• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات او مايعادلها.

موضوع الغلاف

مع استقرار الحقائق الفلكية وثبوت صحتها بالقياس والرصد والحساب لازالت هناك بدع ليست من الإسلام في شيء تحاول الربط بين حقائق هذا الكون واقدار الناس وهي تنتشر في العالمين العربي والإسلامي عند حلول رأس كل سنة ميلادية.

في هذا العدد

٣- الافتتاحية: تتقارب لا تتماثل — رئيس التحرير
٤- كلمة العدد: تقيدوا بضوابط النشر — التحرير
٥- الفهرس ... — التحرير
٦- الملتقى ... — التحرير
٨- مركز التغيمي لمراقبة حلقات تحفيظ البنات — التحرير
١٠- دور الطلبة في بناء المستقبل — إدارة المساجد
١٢- موضوع الغلاف: البدع الفلكية في رأس السنة الميلادية — سعد شعبان
١٧- تحقيق: المدرسة الجقمقية في دمشق — محمد مروان مراد
٢٠-عقيدة : الفهم الأصولي عند أهل السنة — د. عبد العزيز الخياط
٢٥- فقه: تكامل فقه الأئمة ومدارسهم — محمود محمود النيجيري
٢٨- قضايا إسلامية: ديون العالم الإسلامي — د. حسن محمد الرفاعي
٣٢- قضايا تنموية: التنمية والفكر التنموي — شاكر عبد القادر عبد المقصود
٣٥ حوار: د. حامد الرفاعي: الحوار مع الآخر يجب أن يقوم على أساس الشراكة — د. محمد الأمين ولد سيد المختار
٣٨- دراسات قرآنية -تصنيف الصخور في القرآن الكريم — مصطفى يعقوب عبد النبي
٤١- شعر: زفارية صفية ورفح — علي محمد محاسنة
٤٢- فكر: الجدل منهج من مناهج المعرفة ٣/٢ — د. بركات مراد
٤٦- فكر: من علل المحاورة — محمد حسون
٤٨- خواطر: والإسلام بين هز الرؤوس ومصمصة الشفاه — أحمد المزاري
٥١- حضارة: بنو إسماعيل وبنو إسرائيل — د. أحمد عيساوي
٥٤- اقتصاد: الاقتصاد الإسلامي بين تحقيق العدل وتحقيق التقدم — د. رفعت السيد العوضي
٥٩- الإسلام في الغرب: من أجل تصحيح صورة الإسلام في الكتب والمناهج العربية — د. حسن عزوزي
٦٠- طب: التبرع بالدم — د. خالد سعد النجار
٦٢- أدب: الأدب الإسلامي حتمية لا رفاهية — د. سمير الكفراوي
٦٤- شخصيات: أحمد بن هارون — محمد يوسف الجاهوش
٦٦-تراث: من نوادر مخطوطات وزارة الأوقاف الكويتية — إدارة المخطوطات
٦٩- البيت المسلم: سنة أولى زواج والصراع بين الأزواج والحموات — محمد عبد الشافي القوصي
٧١- البيت المسلم: احذري من الضحك إذا أخطأ طفلك — كمال عبدالمنعم خليل
٧٢ -البيت المسلم: الشروط المقترنة بعقد الزواج ما يلزم منها وما لا يلزم — د. عبد الرحمن العمراني
٧٦- البيت المسلم: لماذا لم تعد البنت سر أمها؟ — د. رشيدة أبو النصر
٧٧- البيت المسلم: حوار هادئ مع سيدة مثقفة — نبيله عبدالعزيز حويحي
٧٩- البيت المسلم: زواج الشيكولاته يغزو المجتمعات العربية — الطيب أديب
٨١- البيت المسلم: الصفعة (قصة) — د. سيد عبدالحليم الشوربجي
٨٢- البيت المسلم: مع المهتدين .. مسلم تاروكيتاموا — منى عبدالله القولي
٨٣- الساحة الأدبية — محمد هاني
٨٦- الوعي دوت كوم — وائل عبد الرحمن
٨٨- الوعي الاقتصادي — معن خليل
٩٠- قطوف إسلامية — أحمد عبد الجبار
٩٢-نافذة على العالم — التحرير
٩٤-تقارير — عبد المنعم أحمد
٩٦-الفتاوى الشرعية — إدارة الإفتاء
٩٨ مسك الختام / بكاء اللصوص — عبد الستار خليف

28

قضايا: ديون العالم الإسلامي

الدين الخارجي الاجمالي للدول الإسلامية الأعضاء في البنك الإسلامي للتنمية بلغ نحو ٨٨٢ مليار دولار اميركي في نهاية العام ٢٠٠٢ م... ترى ما أسباب تراكم هذا الدين وما الحلول المناسبة له؟

32

فكر: التنمية والفكر التنموي

الفكر المجرد الذي لا يلتحم بالناس وحاجاتهم ويسعى لا قناعهم وينبع منهم لا يؤدي لشيء رغم انه قد يكون ذا مظهر خلاب ويحمل جوانب طوباوية حالمة في احيان كثيرة

31

حضارة: بنو إسماعيل وبنو إسرائيل .. قراءة في الصراع الحضاري

ماذا جنى بنو إسرائيل من جراء سيول التكريم الإلهية لهم وتفاخرهم بأنهم من نسل إبراهيم واسحق ويعقوب، وماذا فعلوا طيلة القرون التي تفاضلوا على البشرية بها؟

الوعي الإسلامي
Islamic Monthly Magazine,
Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

Al-Waei Al-islami
P.o. Box 23667 Safat
13097 Kuwait
TEL.: 2467132 / 2470156
FAX : (+965) 2473709

Editor-in-Chief
Anwar AL.Hamad

Editing Director
Tammam A. Al-Sabbagh

Editor
Ahmad T. Helal

Art Designer
AL-ASSRIYA PRINTING PRESS

اقرأ في العدد الآتي

المسرح الإسلامي .. تجارب تحتاج إلى تفعيل — محمود محمد كحيله
حوار مع الأديب عبدالله الطنطاوي — نجيب كاظم لاطة
الذات السوية معبر النهضة والتقدم — د. أحمد عيساوي
جنون البقر أزمة أخلاق أولاً! — علي محمد محاسنة
الشفاهية والكتابية كإشكالية ثقافية — ممدوح الشيخ
إشكالية الموضوع والمضمون في نظرية الأدب الأسلامي — د. محمد اقبال عروي
عندما تخفق الخلايا القاتلة! — د.عبد الرحمن النمر

ألبانيا وعلاقة الدين بالدولة

في تراث حاضر العالم الإسلامي تجارب كثيرة حول العلاقة بين الدين والدولة، ولكن هناك واحدة لم تحظ بالاهتمام على رغم أهميتها الكبيرة، ألا وهي حال ألبانيا، فألبانيا كانت بعد إعلان استقلالها عن الدولة العثمانية في العام ١٩١٢ أول دولة أوروبية بأغلبية مسلمة «نحو ٧٠ في المئة من المسلمين و ٢٠ في المئة من الأرثوذكس و١٠ في المئة من الكاثوليك»، وهي لا تزال حتى الآن الدولة الأوروبية الوحيدة التي توجد فيها أغلبية مسلمة أو شبه مسلمة، لأن ما تعرضت له وتتعرض له ألبانيا يجعل من الصعب أن نتخيل ماذا سيحل بها بعد عشر سنوات حين يفترض أن تنضم إلى الاتحاد الأوروبي.

وفي هذا السياق يمكن القول: إنه خلال مئة عام تقريباً جرت تطورات كثيرة فصلت ألبانيا عن العالم الإسلامي وعن «الشرق الأدنى» الذي كانت تعتبر جزءا منه حتى العام ١٩٢٠م على الأقل حين قبلت كدولة مستقلة في عصبة الأمم.

ويبدو الآن، استناداً إلى تصريحات رئيس «لجنة الدولة للعبادات» «ايلير كولا»، وجود مشروع قانون جديد حول العلاقة بين الدين والدولة على طاولة رئيس الحكومة، ومن أهم البنود فيه التي قد تثير اعتراضات قوية: عدم السماح للجماعات الدينية باستقطاب من هم دون الـ «١٤» سنة، وهكذا مع هذا التوجه لا يحق للجماعة الإسلامية، التي تمثل المسلمين وترعى شؤونهم الدينية والثقافية، أن تقبل أو تضم في أي من نشاطاتها الدينية أو التعليمية من هم دون الـ «١٤» سنة، حيث يترك لهؤلاء بعد هذه السن الدين الذي يرغبون فيه.

وهكذا يبدو أن المسلمين في ألبانيا على أبواب تجربة جديدة بعد تجربة العلمانية المفروضة من فوق خلال الأعوام ١٩١٣ - ١٩٤٤م وتجربة الفصل القسري بين الدين والدولة ثم منع الدين خلال الأعوام ١٩٤٥ - ١٩٩٠م.

• أشرف الوليد - المغرب.

حقيقة نجمة داود

لم يثبت تاريخيا أن كان لداود نجمة سداسية والذي تبين لي من البحث أن العرب في الجاهلية كانوا يرفعو راية حمراء على دور المومسات لتعرف أماكن الدعارة، فالدار التي عليها راية حمراء تعرف للدعارة.

ومن ثم أراد اليهود أن يتخذوا لهم راية تخص المومسات اليهوديات فرسموا نجمة سداسية وسط الراية الحمراء ليعرف أن هذه الدار للمومسات اليهوديات.

فأصبحت الراية الحمراء للمومسات من العرب والراية الحمراء ذات النجمة السداسية للمومسات الإسرائيليات.

وداود بريء من هذه النجمة.

• صلاح الدين عبدالحميد الهادي - مصر

عاداتنا وتقاليدنا تهدد الشريعة الإسلامية

كثيرة هي الأمور المبتدعة التي خالطت الدين الإسلامي وتغلغلت فيه باتت جزءاً من أحكامه في نظر الناس على الرغم من فداحة أخطائها، وللأسف معظم هذه الأمور تجعل من مرتكبيها كفاراً من دون أن يدروا أو يعوا خطورتها، ولقد تشربت هذه البدع في صميم الحياة ورافقت كل ركن من أركانها فتجسدت في أمثال شعبية تطلقها على كل كبيرة وصغيرة تعترضنا، أو في عادات وتقاليد تمثل أهم تفاصيل حياتنا من أفراح وأتراح ومناسبات أخرى وكان الرسول ﷺ يقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» رواه مسلم، ومن هذه البدع الأمثال الشعبية التي يتناقلها الناس بكثرة من دون النظر في كلماتها ومعانيها مثلا والعياذ بالله قولهم «الله يعطي الحلاوة للذي ماله أضراس» ويتم تداول هذا المثل بكثرة على الرغم من أنه قمة في الكفر لأنه يدل والعياذ بالله على أن الله غير حكيم في تقسيم الأرزاق تنزّه الله عن هذا فهو الحكيم العادل، أو ما يشيع بين الناس من قولهم والعياذ بالله «الله يخلق ومحمد يبتلي» أو «الله عارفنا وناقصنا» أو ما يقال والعياذ بالله عند وفاة أحد البسطاء «دخيل الله ما بيجيبها إلا على المليح» وكثيرة هي الأمثال التي على شاكلتها و التي إذا أظهرت للناس خطأ هذه الأمثال يجيبون بتهكم: « لا تمسكها حنبلية».

وبما أن هذه بدع وكل بدعة ضلالة تودي بصاحبها إلى النار فإن كل إنسان يعيد مثل هذا الكلام ويكون سبباً في تعليمه لغيره ينطبق عليه قول رسول الله ﷺ «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك

«الإسلام تحت الحصار»

نشرت إحدى دور النشر كتاباً عنوان «الإسلام تحت الحصار» لمؤلفه الدكتور الباكستاني «أكبر أحمد»، ترجم الكتاب إلى العربية د.«عزت شعلان»، مؤلف الكتاب د.«أكبر أحمد» استاذ كرسي «ابن خلدون» للدراسات الإسلامية والعلاقات الدولية في الجامعة الأميركية في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة، وكان أستاذا في جامعات «هارفارد وبرنستون وكامبريدج» أما المترجم فهو طبيب مصري ومفكر إسلامي في الوقت عينه قرأت بعض صفحات الكتاب فوجدته يتناول قضايا حيوية معاصرة تتعلق بهموم المسلمين بل بهموم الشعب بعامة، فإذا كنا نسعى للتعاون والسلام العالمي بدلاً من خيال الساعين إلى الخراب والحروب والأحوال السائدة في البلاد العربية والإسلامية ليست على مايرام، وأذكر أنني سمعت الشيخ «محمد الغزالي» يرحمه الله، يقول في أحد البرامج: إن الأمة الإسلامية لم تصل في تاريخها كله إلى أحط مما وصلت إليه في العصر الحاضر وأتساءل: ترى ماذا كان الشيخ قائلا لو امتد به العمر حتى يرى مايحدث اليوم؟!

«الكلام هنا للمترجم»

من الأفكار الرئيسة فكرة العصبية التي تميز بها «ابن خلدون» في فلسفته عن التاريخ يقول الأديب الكبير «عباس العقاد»: إن فلسفة «ابن خلدون» فلسفة حاضرة للتطبيق في كل وقت، التاريخ وعلماء التاريخ والاجتماع لا ينظرون اليوم إلى «ابن خلدون» كأنه بقية عتيقة من بقايا الماضي المهجور ولكنه دراسة حاضرة عصرية يجدون شواهدها في حوادث الزمن الأخير ويرون أن قواعدها باقية متجددة وإن تغيرت معالم البناء عليها بعض التغيير يقول «أرنولد توينبي» مؤرخ العصر الحديث- عن مقدمه «ابن خلدون»: إنها ولاريب أعظم عمل من نوعه أبدعه عقل من العقول في أي زمان وأي مكان، وصاحب هذه الشهادة هو واحد من أكبر مؤرخي الغرب في زمننا إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق.

محمد السيد عامر - مصر

ضوابط تغيير المنكر

إن ضابط التغيير باليد هو القدرة على الفعل والسيطرة فلا تستخدم اليد إلا في إحدى الحالتين:

الأولى: من قبل الدولة المسلمة والأمير المسلم.

الثانية: من قبل الفرد المسلم في المجتمع المسلم في بعض الحالات، ولذلك كان القتل من أكبر المنكرات إلا أن ولي الدم ليس له أن يقتل القاتل بل يحيل أمره إلى الدولة وإلا أصبح الأمر فوضى وتوسيع باب المنكرات وكذلك تغيير المنكر باللسان له ضوابط شرعية منها:

أولا: أن نتدرج في هذا الإنكار فنستخدم من الألفاظ والعبارات ما نظن أنه يحقق النتيجة فيبدأ بالكلمة الرقيقة الودود: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ «النحل -١٢٥».

ثانيا: أن يبتعد الناهي عن المنكر عن ذكر الأسماء والأشخاص والهيئات لأن التسمية والتخصيص قد يتعرض معها الناهي للعقوبات والجزاءات التي يفرضها القانون، ولعل من أنجع الوسائل لتغيير المنكر هي النظرة الصحيحة لطبيعة المنكر ومعرفة الوسيلة الصحيحة للتغيير.

• حسن عبد العال - مصر

من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» «رواه مسلم» وليست الأمثال كل شيء بل إن هناك عادات وتقاليد أخطر من هذه الأمثال.

لذلك علينا أن نقف وقفة صافية مع أنفسنا قبل أن نقول أو أن نفعل أي شيء ونتساءل هل سنؤجر على ما نقوم به أم لا ؟!!

ولنضع مقولة الشافعي نصب أعيننا: «ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعا أو أثراً فهو البدعة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة».

• علا بلورفان - سوريا

الإعلام الإسلامي... فكر وعطاء...

نعمة المعرفة

ليس بوسعنا قول شيء يجدي عن المعرفة قبل وضعها تحت المجهر التاريخي والتأملي والحسي، حينما نتأمل عوالم وجزئيات هذه الكلمة الدلالية الكبرى، تجلو أمام حواسنا ومدركاتنا معالم التدرج التي تشكل معيار التوازن في عمق الإنسان، هذا المعيار الذي يمكن للإنسان امتلاكه والتحكم فيه وفق ما يشاء بواسطة بناء علاقة معرفية عميقه معه، والذي يمكن له أن يستبد بصاحبه الذي يطلق العنان لأهوائه ونوازعه في جميع المستويات العدوانية التي تبعده عن قيمة الحكمة الإنسانية، فهذا المعيار هو منشأ الزلازل العصبية والغرائزية العدوانية الكبرى، وهو منشأ روح الحكمة والاستقرار النفسي والهدوء العصبي.

ويمكن ملاحظة معالم هذا المعيار في الوجوه التي تشرق بالاستقرار والطمأنينة، والوجوه المظلمة بالاضطراب، والمنطفئة بالتهابات الشر، ولا أقول: إن شعرة المعرفة تفصل بين الوجهين، بل إنه جبل المعرفة الذي يفصل بينهما.

المعرفة كلمة شاملة لانهائية تغري إنسان كل زمان، وكان للعوم في فضاءاتها اللامتناهية، والنهل من معينها الذي لانضوب فيه، دوما يبرق وميض معرفة في مدركات إنسان غافل، ينبثق من غيب، فينتبه بأن نورا أضاء مساحة مظلمة في فضاء روحه.

ما دام الغيب يلبث مشرعاً في سلم خطوات الإنسان، فإن المعرفة تلبث حاملة إليه نور لألائها كل ساعة وكل هنيهة.

• عبد الباقي يوسف -سوريا

من إنجـــازات وزارة الأوقـــاف

مركز النغيمشي التابع لمراقبة حلقات تحفيظ البنات تألق بإنجـــازاته في النادي الصـــيـــفي «روح ورياحين»

تشرف مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم للبنات التابع لإدارة شؤون القرآن الكريم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عدد من مراكز وحلقات التحفيظ المنتشرة في محافظات دولة الكويت التي تضم بين جنباتها فتيات من عمر السادسة وحتى الثانية والعشرين لتعليمهن كتاب الله حفظا وتلاوة وتفسيراً وتجويداً انطلاقاً من إيمان راسخ واعتقاد بأهمية الاعتناء بالبنات وحسن إعدادهن إعداداً جيداً، فهن أمهات المستقبل، ولهذه المراكز والحلقات الصدارة في المشاركة بالكثير من الأنشطة والبرامج الخاصة التي تخدم القرآن الكريم وحفظته..ومن ذلك الأندية القرآنية الصيفية.. الرحلات.. المنتديات.. حفلات التكريم.. كما لها السبق في المشاركة في المسابقات القرآنية المحلية والدولية.

● مراقبة حلقات تحفيظ القرآن

ومن المراكز القرآنية التابعة لمراقبة حلقات تحفيظ البنات والذي يعد من المراكز الفاعلة مركز «عبدالعزيز النغيمشي» الذي افتتح في الدورة الصيفية لعام ٢٠٠٤ م في منطقة الصليبية في محافظة الجهراء، ويضم «مركز النغيمشي» اثني عشر حلقة حفظ.. وقد حرص المركز على توفير الأنشطة والبرامج المتنوعة لمنتسباته من الحافظات اللاتي يبلغ تعدادهن ٣٧٥ حافظة لتقديم كل ممتع وجديد، ونافع ومفيد، يكون من شأنه تجديد الطاقة لدى الحافظات وشحذ هممهن وتفوقهن فهناك الأنشطة التي تقام داخل المراكز كالأنشطة الفنية المختلفة، والدورات الثقافية التي تكتسب منها الحافظات المعلومة الجديدة، بالإضافة إلى دورات الطبخ حيث تتعلم الحافظات طهي بعض المأكولات الخفيفة.. ويهتم المركز أيضا بإقامة المسابقات الثقافية وتقديم الهدايا المختلفة للحافظات.. كما يقوم بتنظيم رحلات ترفيهية، وثقافية، كزيارة المركز العلمي والمتاحف وغيرها من الرحلات الممتعة والمفيدة..

والجدير ذكره أنه على الرغم من قصر مسيرة «مركز النغيمشي» إلا إنه حقق إنجازات مختلفة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الجهود المتضافرة وتعاقدأيادي العاملات في المركز من إداريات ومحفظات اللواتي يسعين لإظهار مركز «عبدالعزيز النغيمشي» بأجمل صورة وأبهى حلة .. ومن إنجازات المركز سلسلة نصف شهرية تصدر عن إدارة المركز وهي سلسلة إيمانية، اجتماعية، ثقافية، ترويحية توزع بشكل منتظم على أسرة المركز من إداريات ومحفظات.. ويهدف المركز من وراء إصدار هذه السلسلة إلى تقوية الوازع الديني وإضفاء الجو الإيماني بين العاملات به.. ومن إنجازاته أيضاً تحقق الفوز في أكثر من مسابقة خلال أندية روح ورياحين القرآنية الصيفية لعام ٢٠٠٥م التي تنظمها المراقبة وقد حمل هذا العام شعار «مراكب الأمان على شطآن آي القرآن» وقد جاء النادي بأفكار متميزة ومبدعة ليشتمل على الكثير من الفعاليات والأنشطة القرآنية والثقافية والترفيهية.. فقد حاز «مركز النغيمشي» كأس المركز الأول في «دوري القوارير الثقافي» الخامس الذي جاء هذا العام تحت شعار «اللألىء المتألقة» وهو برنامج ثقافي تتنافس فيه المراكز القرآنية على كأس الدوري في جو أخوي ضمن ضوابط وشروط محددة.. ولم يقف «مركز

النغيمشي» عند هذا الانتصار بل فاز بالمركز الأول في المهرجان الرياضي الذي حمل شعار «مراكب الأمان.. بأحلى الألوان» وهو مهرجان رياضي ترفيهي يتضمن فقرات ترفيهية ومسابقات رياضية.

هذا وقد حقق «مركز النغيمشي» أيضا الفوز بالكأس الفضي لأكبر عدد من المشاركات في المسابقة القرآنية «الإتقان في تلاوة وتجويد القرآن» وهي مسابقة قرآنية لمنتسبات المراقبة من الإداريات والحافظات والمحفظات وحتى المستخدمات وذلك لتعزيز روح التنافس الطيب الشريف بينهن.

وقد وجهت مشرفة «مركز النغيمشي» لطيفة الشمري كل الشكر والامتنان للإداريات والمحفظات العاملات في المركز اللائي لم يدخرن جهدا في خدمة كتاب الله: كما شكرت حافظات المركز اللائي لولا حماسهن واجتهادهن لما حصل المركز على الكثير من الإنجازات.. هذا وقد دعت الله تعالى أن يجزي صاحب الأيادي البيضاء داخل الكويت وخارجها، وهو الرجل الذي تميز بالحكمة والكرم، والذي حمل المركز اسمه «عبدالعزيز حمود الصالح النغيمشي».

وقد أجرى المركز مقابلات مع عدد من الحافظات وأولياء أمورهن فقد ذكرت الحافظة «سارة سويد الشمري» البالغة من العمر أربعة عشر عاماً أنها تشعر بوجودها حين تكون في حلقات التحفيظ في المركز وتشعر كذلك بجو أسري ملي، بالمحبة والصداقة الداعية لخير الدنيا والآخرة والتي تبعث في النفس الرغبة بالاستمرار والاستزاده من أثمن الكنوز، كلام الله تعالى.. وأضافت حفظ القرآن جعلني أشعر بالإحساس بمن حولي وبمدى فضل الله علي فقد هذب القرآن نفسي ومشاعري وتصرفاتي.

كما قالت الحافظة «وسن غازي العنزي» البالغة من العمر

عشر سنوات: إنها قبل التحاقها بالمركز كانت تحاول أن تحفظ بعضا من آيات القرآن ولكنها وجدت صعوبة كبيرة في الحفظ وأحكام التجويد، ولكن بعد أن قرأت والدتها إعلان افتتاح «مركز النغيمشي» إلى تسجيلها فيه.

وقد وجدت «وسن» في المركز جوا يساعد على الحفظ والتركيز، بالإضافة إلى ما يتوافر لها ولأخواتها الحافظات من فقرات ترفيهية ومسابقات شيقة وعلوم مرحة ورحلات ممتعة ليقضين أوقاتا مفيدة.. وأضافت حفظ القرآن جعلني أحرص وأهتم باستغلال الوقت كما أنه زاد ثقتها بنفسها.. وتأمل «وسن» في المستقبل أن تتم حفظ كتاب الله كاملاً وأن تصبح معلمة قرآن.

هذا وقد سألت ولية أمر الحافظة «فوزية عبدالله» عن التطورات التي لاحظتها في شخصية ابنتها بعد التحاقها بحلقات التحفيظ في المركز فقالت: إن هناك تغييراً واضحاً في شخصيتها من خلال أفعالها وتصرفاتها واستفساراتها عن أمور الدين والفقه، فقد أصبحت كثيرة الأسئلة وأقوى شخصية من ذي قبل، وتبحث دائماً عن الإجابة الشافية، فهي طموحة ومتفائلة.. وأضافت «فوزية» قائلة: إنها لمست تطورا مستمراً في المركز واهتماما وعناية بالحافظات.

وقالت «فايزة علي» ولية أمر إحدى الحافظات: إنها منذ زمن تتمنى أن يصبح هناك مركز للتحفيظ قريب من منزلهم ولهذا بعد افتتاح مركز «عبدالعزيز النغيمشي» سارعت إلى تسجيل ابنتها حتى تتمكن من حفظ وتلاوة كتاب الله بالشكل الصحيح بالإضافة إلى الابتعاد عن قضاء الروتين اليومي والجلوس أمام التلفاز.. وقد لاحظت «فايزة» تطوراً وتغيراً إلى الأفضل في شخصية ابنتها بعد التحاقها بحلقات حفظ كتاب الله، فقد ازدادت ثقتها بنفسها وأصبحت أكثر هدوءاً من ذي قبل وأكثر اعتمادا على نفسها.. ووجهت في نهاية حديثها كلمة شكر للقائمين على المركز لمعاملتهم الطيبة مع بناتهن الحافظات وتشجيعهن على الحفظ من خلال توزيع الهدايا الرمزية التي يقدمها «مركز عبدالعزيز النغيمشي».

هذا وسيستمر مركز «عبدالعزيز النغيمشي» بإذن الله تعالى في مسيرته نحو التطور والرقي كما هي الحال في جميع مراكز تحفيظ القرآن التابعة لمراقبة حلقات البنات الموزعة على محافظات الكويت من خلال ما تقدمه هذه المراكز القرآنية من أفكار متجددة وأنشطة وبرامج متنوعة في بداية كل دورة صيفية ودورة شتوية لفتياتها الحافظات، وذلك انطلاقا من إيمان بالله راسخ واعتقاد يقيني بأهمية الاعتناء بالفتيات وحسن إعدادهن لأنهن أمهات المستقبل.

دور الطلبة في بناء المستقبل

صفحة تربوية دعوية تقدمها «الوعي الإسلامي» لقرائها في العالم الإسلامي وهي خطب مختارة مما توزعه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت على خطباء المساجد وتتناول من خلالها مختلف القضايا التي تهم العالم الإسلامي ونظرة الإسلام إليها.

الحمد لله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، سبحانه خلق الإنسان علّمه البيان، وقال ممتناً على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) النساء:١١٣، والصلاة والسلام على خير خلقه، وسيد أصفيائه، وإمام أنبيائه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رفع أهل العلم فقال: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة:١١، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صح عنه في الحديث: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» (متفق عليه).

أما بعد:

فيأيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن الإسلام دين العلم والعمل، قال الله تعالى: (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر:٩.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر» رواه (البيهقي والطبراني وصححه الألباني).

وتذكرون . أيها الإخوة . كما أذكر أن أول ما نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم) العلق: ١-٥، فأمر بالقراءة التي هي سبيل العلم والمعرفة، وذكر القلم الذي هو من أدواتها، كما قال تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) القلم:١، فهذا فيه دليل على الاهتمام بالعلم وأدواته.

ذلكم يا عباد الله، أن الأمم إنما ترتقي وتزدهر حضارتها بقدر ما تحقق من العلم والمعرفة مع توظيف ذلك في الحياة وعدم الخروج بذلك على مقتضى الإيمان بالله.

أيها المسلمون: إن طلبة العلم هم أمل الأمة في حاضرها ومستقبلها، وهم صُناع حضارتها تنعقد عليهم. بعد الله عز وجل. الآمال في النهوض بأمتنا، ولن يتحقق لهم ذلك إلا إذا أخذوا بأسباب الرقي في تحصيل العلم النافع وتطبيقه، سواء ما اتصل بعلوم الدنيا أو بعلوم الدين مع توظيف ذلك عملياً في الحياة ونقله من حيز التجريد إلى أرض الواقع؛ نقول ذلك ونحن نعيش في عالم يُوصف بأنه عصر الانفجار الثقافي، وفي عالم لا يعترف بالجاهل ولا يجد فيه موقعاً، ولا بالضعيف، لذلك ينبغي أن نسلك كل مسلك بشبابنا نحو العلم والمعرفة في إطار البناء لا الهدم، وباسم الله الذي خلق، لا باسم الشهوات والأهواء.

عباد الله: يقول الله جل وعلا: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦، هذا يحتم على طلبة العلم إعمال هذه الحواس التي ائتمنوا عليها وسيسألون عما فعلوا بها، يعملونها للنهوض بأمتهم وصنع حضارتها، أما السمع فلتلقي العلوم النافعة لأمر الدنيا والآخرة، والاستفادة من تراث الأولين في ذلك مما وصل إليه العلم، ثم يأتي دور البصر، ذلك أنهم يُضيفون ملاحظاتهم ويُجرون أبحاثهم، وتجاربهم ويعملون فكرهم محاولين بذلك الارتقاء بالهرم التعليمي إلى منتهاه: (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) يوسف:٧٦، فلا يُقصر جهدهم عن بلوغ الغايات المنشودة والآمال المعقودة.

ومن لا يتهيب صعود الجبال
يعش أبد الدهر بين الحفر

وهنا يبرز دور الفؤاد. وذلك في ربط كل ما يتوصلون إليه بقضية الإيمان بالله، فلا يؤدي بهم ما وصلوا إليه إلى الغرور أو الإلحاد كما حدث في دول الغرب حمل بعضهم ما وصلوا إليه من حضارة مادية إلى الإلحاد. والعياذ بالله. وإنما يراعى طالب العلم ذلكم التوازن

بين حاجات الجسد وحاجات الروح، نقول ذلك في علوم الشريعة، مع مراعاة الأصول والقواعد والثوابت، ونقوله كذلك في العلوم الأخرى التي تُعين الإنسان على تسخير الطاقات الكامنة لخدمة الإنسانية ليحقق الإنسان دوره الأساسي: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه) هود:٦١، ولا يقتصر دور الطلبة على الارتقاء في العلم والمعرفة والتجريب والتطبيق، وإنما يمتد لأبعد من ذلك إلى مراعاة آداب طالب العلم، وما ينبغي أن يتحلى به من خُلُق، ثم يكون قدوة في سلوكه، ثم ينقل ذلك لمن حوله، فيعلّم الجاهل، ويذكّر الغافل، ويحفّز الخامل، لينال بذلك الأجر العظيم والشرف العظيم، وفي الحديث: «إن الله وملائكته حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت في البحر ليُصلّون على معلم الناس الخير» رواه (الطبراني. صحيح الترغيب) ويشمل ذلك سائر العلوم كالطب والهندسة، والزراعة، والفيزياء، والفلك إلخ... لتأخذ أمة الإسلام موقعها اللائق بها في عالم صراع الحضارات.

أيها المسلمون: ينبغي أن تتضافر جهود كل المؤسسات التربوية والعلمية للنهوض بالأجيال نحو العلم ورسالته، فتقوم بواجبها نحو الشباب وتأخذ بأيديهم نحو العلم والمعرفة، على صعيد الأسرة، والمدرسة والمسجد، والجامعة، ووسائل الإعلام المختلفة من مسموع ومشاهد ومقروء، ينبغي أن تشجع على العلم وبناء الأجيال لا على الهدم والانفلات من القيم والأخلاق.

فلا يليق بنا في عالم الفضائيات والأقمار الصناعية، والتكنولوجيا والحاسوب أن نبقى هكذا نستورد كل شيء، ونقبل كل ما يقدم لنا، ونرضى بهذه الرتبة الدنيا، ليكن لنا في هدي سلفنا الصالح القدوة، فقد ضربوا أروع الأمثلة في اجتهادهم في طلب العلم وآداب الطلب، حتى أثمر ذلك حضارة دانت لها الدنيا قروناً طويلة، يقول الله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة:٢.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ينبغي أن تتضافر جهود كل المؤسسات التربوية والعلمية للنهوض بالأجيال نحو العلم ورسالته

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والصلاة والسلام على نبي الهدى وآله وصحبه والتابعين بإحسان.

أما بعد: فيقول الإمام علي رضي الله عنه: «العلم خير لك من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق، مات خُزّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة».

وانظروا إلى تقسيمه للناس. رضي الله عنه. إذ يقول: «الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح»، لذلك أقول لكل مسلم: «كن عالماً، أو متعلماً، ولا تكن الثالث فتهلك».

ومن لم يذق ذلّ العلم ساعة

ذاق ذل الجهل طوال حياته

أيها المسلمون: ينبغي أن نُذكّر بالواجبات المنوطة بنا جميعاً نحو أبنائنا طلبة العلم، لذا ينبغي أن نتعاون جميعاً على جميع الصُعُد للوصول بأبنائنا إلى أعلى مستويات العلم والمعرفة والخلق القويم والسلوك المستقيم، كل حسب موقعه وعلى قدر ما تصل إليه يده، المعلم والوالدان، المدرسة والجامعة والمسجد، كل يؤدّي دوره إيماناً بالله واحتساباً للأجر عند الله، قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة:٢، وقال صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة» رواه مسلم، ثم صلوا وسلّموا يرحمكم الله على من أكرمكم الله بالصلاة والسلام عليه، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، ودعاء مستجاباً، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً. اللهم وفق أبناءنا وبناتنا إلى ما تحب وترضى، وخذ بنواصيهم إلى البر والتقوى، وأقر عيوننا بصلاحهم وفلاحهم يا رب العالمين. اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، واقض الدين عن المدينين، وارحم شهداءنا الأبرار يا رب العالمين، ومن توفيته فإلى رحمتك الواسعة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، اللهم اجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

البدع الفلكية في رأس السنة الميلادية

المهندس/ سعد شعبان

في شهر ديسمبر من كل عام، تزدان الشوارع في معظم دول العالم الغربي بزينات تبهر النظر، وتغص المتاجر بالبضائع، وتتلألأ كثير من الأحياء بأضواء ساطعة، ويستعد الملايين لإقامة الاحتفالات والمآدب وارتداء الجديد من الملابس والتحضير لتبادل الهدايا، وتتألق معظم المنازل بالأشجار والأنوار ابتهاجاً بهذه المناسبة الدينية التي توافق مولد المسيح عليه السلام.

ومن العجب أن يتم ذلك وفق عادات موروثة، وسط شموع تضاء وتراتيم ترتل في شعوب آل مصيرها إلى هجر كل ما يمت للدين بصلة، اللهم إلا بعضا من المظاهر، فالأغلبية لا تكترث بالدين، وقلما تطأ أقدامها عتبات كنيسة ما إلا عندما يحل بساحتهم ملك الموت، ونظرتهم إلى الدين حتى وإن كانت صامته، فيها إنكار واستعلاء، وخصوصاً ان نسبة من دخلهم السنوي تؤول إلى الكنيسة بموجب القانون مع الضرائب.

وكعادة كل الشعوب، فإن مناسبتي عيد ميلاد المسيح في (٢٥ ديسمبر) ورأس السنة الميلادية (أول يناير)، تحولت إلى مواسم ترفيهية، تحتسى فيها فاخر الخمور، وترتكب فيها مختلف الآثام، تحت مظلة اسمها المتعة (ENTERTAINMENT) فسيد الموائد هو الديك الرومي، وسيدة المشروبات هي الشمبانيا، وزهرة الزينات هي شجرة عيد الميلاد. لكن الحقيقة الغائبة هي أن هذه المواسم سوق رائجة للتجارة وتصريف المنتجات، ويعتبرها رجال المال فرصة سانحة يطلقون عليها إصطلاحاً «الازدهار» (BOOM)، ووراء ذلك سر لا يعرفه غير العليمين ببواطن الأمور، هو أن الحكومات تقوم بخصم تكاليف الزينات الموضوعة على واجهات المحلات من وعاء الضريبة السنوية، لذلك وقر في ذهن الأغلبية العظمى من الشيب والشباب، أفكار أفرغت هاتين المناسبتين من معناهما الديني، ولم يبق غير مظاهر دق أجراس الكنائس، وتقديم «بابا نويل» صاحب الرداء الأحمر والذقن البيضاء، والهدايا لصغار الأطفال. وغاب عن الأذهان أن أهم ما أهداه السيد المسيح للبشرية هو قوله: «الله محبة»، وللأسف فإن أغلب الشعوب الغربية وساستها لم يعد للمحبة في قلوبهم نصيب كبير نحو الآخرين، فكل ما يمت للدين بصلة في شرعهم أفكار بالية، إن صح وصفها لديهم فهي أمور لما وراء الطبيعة!!

● تأثرت التلسكوبات الشخصية في الغرب بالزخرفة الاسلامية

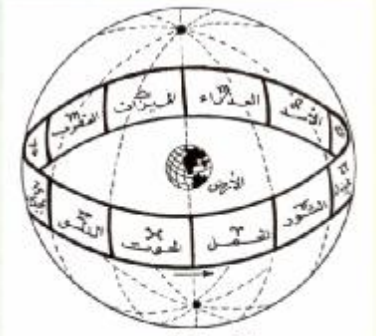

دائرة البروج

وتشير الإحصاءات الحديثة الى أن اللادينيين والعلمانيين والذين يكتفون بالشعارات، قد أصبحوا يمثلون ٨٠٪ من شعوب أوروبا وأميركا، وخصوصاً بعد ان أجهزت أفكار «كارل ماركس وانجلر ولينين» وديكتاتورية «ستالين وخروشوف» على البقية من الأديان، بزعم أنها أفيون الشعوب. وتحولت أوثان العصر الحديث إلى أصنام لا تصنع من الصخر ولا الحجر، بل من فتنة المال ولذة الجنس.

التقليد الأعمى

وقد يكون ذلك طبيعيا في الدول التي سادت فيها المسيحية، لكن العجب العجاب هو أن تنتقل هذه العادات الغربية إلى دول يسود فيها الإسلام، ويغلب فيها المسلمون فجلهم ينساقون وراء تقليد هذه العادات تقليداً أعمى، بل يتصورون أن عدم إتيانها نقيصة وتخلف، وما تحل بهم لحظة انتصاف ليلة العام الميلادي الجديد حتى يتباهون باستهلاله بالصيحات والقبلات والأنخاب وهم فرحون، وهم في غفلة عن أن الموت والحياة ناصيتان لاخيار لأحد من البشر فيهما، وحقا ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾(سورة الحج - ٤٦).

والحقيقة أن هذه البدع ليست من الإسلام في شيء، ومثلها مثل البدع الأخرى التي انتشرت في العالمين الإسلامي والعربي عند حلول رأس السنة الميلادية التي تملأ صفحات المجلات والصحف اليومية، بالتنبؤات التي تنسب إلى كبار المنجمين، والذين يدعون أنهم

• تصور القدامى توزيع النجوم في السماء على هيئة حيوانات وأبطال أساطير

• المسطرة الحاسبة الفلكية «الإسطرلاب» مازالت تحمل النقوش والحروف العربية.

«فلكيون» وإمعانا في الخداع يطلق بعضه على نفسه «الفلكي العالمي»! ويمضون في إغراق قراء الصحف والمجلات في أحداث يتوقعون أن تحل بأهل الأرض في شتى بلدانه، بين موت زعماء أو تهاوي عروش، أو حلول كوارث، أو قيام حروب، أو وقوع زلازل، أو حدوث انقلابات، أو انتشار أمراض!.

وموقف الإسلام من هذا واضح، فقد وردت آيات كثيرة تضع علم الغيب في إطاره الصحيح الذي يختص الله به نفسه، ولا يطلع عليه أحد، بقوله تعالى:

• ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾(سورة آل عمران - ١٧٩)

• ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾(سورة الأنعام -٥٩)

• ﴿ولله غيب السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله﴾(سورة هود -١٢٣)

• ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾(سورة النمل -٦٥)

• ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾(سورة الجن -٢٦)

البروج والتلاعب بالعقول

ومن سخف التنبؤات تلك التي تربط بين مستقبل الناس وحظوظهم ومصائرهم، وبين البروج التي في السماء، ويكثر الترويج لها في رأس السنة الميلادية وتظهر لها كتب أو كتيبات تتلاعب بعقول العامة. ويهمنا أن نقف وقفة عقلانية أمام هذه الظاهرة التي تسربت إلى المجلات والصحف اليومية، وأصبح أغلب الناس مولعين بقراءة طالعهم كل يوم، في محاولة بلهاء لمعرفة الحظ في الحب أو في العمل أو في المال!. وبروج السماء براء من هذه الترهات التي روج لها الغربيون ووقع في حبائلها الشرقيون، الذين يتردد في أعماق تاريخهم قول مأثور هو «كذب المنجمون ولو صدقوا، أو (صدقوا).

وما البروج (Zodiacs) إلا تجمعات من النجوم راقبها القدامى بالعين المجردة وتخيلوها على هيئة حيوانات أو أبطالاً للأساطير التي كانت سائدة لديهم. وتظهر هذه التجمعات التي يمكن أن نطلق عليها اسم «كوكبات» (Constellations) أو (مدن نجمية) نظراً لتقاربها خلف مدار الشمس الظاهري ليلاً. ومدار الشمس الظاهري (Ecliptic) دائرة يميل قطرها بزاوية قدرها (٢٣,٥) على مستوى خط الاستواء، وتظهر هذه البروج في شريط وهمي لا يزيد عرضه عن (٩) درجات على جانبي هذا المدار الظاهري، وتمر الشمس في منتصف هذا المدار كما يرى القمر في جميع منازله، كما تظهر به كل كواكب المنظومة الشمسية أخوات الأرض، وقد قسم القدامى هذا الشريط إلى (١٢) قسما أو برجا، تبقى الشمس في كل منها مدة شهر، وأطلقوا على كل برج اسم أشهر كوكبة فيه. وهي حسب التقسيم الغربي(١).

ومواعيد مرور الشمس بالبروج يبينها الجدول التالي:

ولقد تناقلت أسماء البروج عبر كثير من الحضارات، وورد ذكرها في القرآن الكريم ثلاث مرات بقوله تعالى:

- ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين﴾(سورة الحجر -١٦)

- ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا﴾(سورة

مسلسل	(البرج)		مواعيد مرور الشمس بالبرج	
			من	إلى
١	الحمل	Aries	٢١ مارس	٢٠ أبريل
٢	الثور	Taurus	٢١ أبريل	٢١ مايو
٣	الجوزاء (التوءمين)	Gemini	٢٢ مايو	٢١ يونيو
٤	السرطان	Cancer	٢٢ يونيو	٢٢ يوليو
٥	الأسد	Leo	٢٣ يوليو	٢٢ أغسطس
٦	العذراء	Virgo	٢٣ أغسطس	٢٢ سبتمبر
٧	الميزان	Libra	٢٣ سبتمبر	٢٢ أكتوبر
٨	العقرب	Scorpius	٢٣ أكتوبر	٢١ نوفمبر
٩	القوس	Sagittarius	٢٢ نوفمبر	٢١ ديسمبر
١٠	الجدي	Capricornus	٢٢ ديسمبر	٢٠ يناير
١١	الدلو (الساقي)	Aquarius	٢١ يناير	١٨ فبراير
١٢	الحوت	Pises	١٩فبراير	٢٠ مارس

• تحولت الأعياد إلى طوفان للتجارة وارتكاب الموبقات
• اللادينيون والعلمانيون بلغوا ٨٠٪ من الشعوب الغربية
• اشتقاق التنجيم من علم الفلك افتراء واضح.

• توزيع النجوم في برج العذراء

• توزيع النجوم في برج الأسد

الفرقان -٦١)

- ﴿والسماء ذات البروج﴾ (سورة البروج -١)

وكل لبيب لو تأمل فيما يرد من ألفاظ تشير إلى طالع الأشخاص حسب بروجهم يجد إسفافاً لا يزيد عن تلاعب بالعقول، بعبارات تحمل كل احتمال، ولا جزم ولا تأكيد لشيء، والعاقل لابد أن يطرح على نفسه سؤالاً، لماذا ارتبطت التنبؤات بالحب والمال والعمل فقط؟ إن الحقيقة ينطبق عليها قول تبارك وتعالى: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾(سورة النجم - من ٢٣)

الحقائق الغائبة

إن استرجاع أسباب ربط حظوظ الناس والتنبؤات بالظواهر الكونية، تشير بأصابع الاتهام إلى رجال الكنيسة المسيحية في القرون الوسطى الذين احتكروا لأنفسهم دراسة ما يتعلق بأجرام السماء، وحرموا على الآخرين البحث والاجتهاد في كل ما يتعلق بالكون ومكوناته، وبذلك ظلت كثير من الأفكار الخاطئة على الأرض والشمس والقمر والنجوم، حبيسة في عقول قلة من القساوسة يتناقلونها بينهم، ويرمون بالكفر كل مجتهد في تعديلها أو تصحيحها.

وكان الغرض المستتر هو احتكار مصدر من مصادر الارتزاق، بمداعبة أهواء الناس وشغفهم بالاطمئنان على مستقبلهم، بزعم قراءة الطالع، ومعرفة الغيب بوساطة النجوم(٢).

ومن ثم فقد أطلقوا على هذا الدجل اسم «التنجيم» (ASTROLOGY) ليلتصق زوراً بعلم الفلك (ASTRONOMY)، وكانت هناك مبادئ فلكية قد تحدرت من حضارات مختلفة عن هذا العلم الذي يتعامل مع أجرام السماء، وولع كثير من الفلاسفة القدامى بالتطلع إلى عظمة خلق الله في الكون المحيط بنا، وكان على رأسهم «بطليموس»، ولكن لم تكن وسائل القياس أو التجريب تنهض بمعرفة نظريات وأسس هذا العلم، ولذلك فقد بنيت المعلومات الفلكية على افتراضات وظنون غير محققة، ومن ثم سادت بين الكهنة والقسس أفكار، تناقلوها بلا برهان أو إثبات جيلاً بعد جيل، ولأنها أصبحت من الأمور الملم بها، فقد أخمدت كل الأصوات التي خالفتها، أو التي حاولت إثبات صحتها، وكان نصيب كل مجتهد إما رميه بالكفر، أو الحكم بحرمانه من رحمات الكنيسة، أو حرق مؤلفاته جزاء ما سولت له نفسه، في سجلات التاريخ أمثلة كثيرة منها، ما لقيه الفلكي البولندي الراهب «نيقولاي كوبرنيكس» الذي أنكر ما كان سائداً آنذاك عن أن الأرض هي مركز الكون، وأن الشمس والكواكب والنجوم، تدور حولها، فقد هدته دقة الملاحظة، والرصد إلى سفه هذا الفكر، وأثبت أن الأرض ليست غير (سيار) شأنها شأن الكواكب الأخرى، تدور كلها حول الشمس، كان ذلك في العام ١٥٣٠م ولم يكن معروفا غير خمسة كواكب فقط غير الأرض، هي عطارد والزهرة والمريخ وزحل والمشتري، ومن فرط خوف هذا الراهب من سخط رجال الكنيسة، فقد ظل متردداً في الإعلان عن كتابه (دوران الأجرام السماوية)، ولم يجرؤ أحد على نشره إلا بعد وفاته بثلاثة عشر عاماً.

ومن الأمثلة الأخرى، على احتكار رجال الكنسية للعلوم الكونية، ما لقيه الفلكي الإيطالي «جاليلي جاليليو» العام ١٦١٠م ميلادية، فقد استطاع باستخدام المرايا والعدسات صنع منظار يقرب صور الأجسام البعيدة، وعندما شرع منظاره نحو السماء، ورصد سطح القمر، استطاع أن يرى عليه مرتفعات ومنخفضات وشقوقا وفوهات مستديرة، وتأكد أننا من الأرض لا نرى إلا وجها واحداً للقمر، وأن الوجه الأخرى

• رموز البروج واشكالها ونجومها

• إدعاءات المنجمين في أعياد الميلاد أوهام لا قدم لها ولا ساق

• أتى ذكر العلم ومشتقاته في القرآن (٨٥٠) مرة.

• احترم الإسلام الوقت بفضل مواقيت الصلاة.

• الإسطرلاب

• قدمت الحضارة الإسلامية أسس العلوم في وقت كانت فيه أوروبا غارقة تحت ظلام الجهل.

• أكثر من نصف أسماء النجوم في كل اللغات تحمل أسماء عربية.

يتعذر رؤيته، وعندما وجه منظاره نحو كوكب المشتري استطاع أن يرى حوله عدداً كبيراً من الأقمار ميز منهما أربعاً، كما رأى صخوراً وجبالاً ومساحات داكنة وطواقي بيضاء على كوكب المريخ، واستنتج من توالي مراقبتها أن المشتري والأرض يدوران حول الشمس، وليس العكس كما كان يتردد آنذاك.

ولقد أثارت هذه الأفكار الفلكية الجديدة، حفيظة رجال الكنيسة، ودفعوا بـ «جاليليو» إلى المحاكمة أمام مجمع الكرادلة في روما، وصدر الحكم بإحراق مؤلفاته، والزج به في السجن. وقد ظل يصرخ في وجوه منكري أفكاره، «رغم ذلك، فالأرض تدور حول الشمس».

عقلانية الإسلام

إذا كانت الحقائق الفلكية الصحيحة قد تحررت من جهل واحتكار رجال الكنيسة في أوروبا في القرن الثامن عشر، فإنه قبل ذلك بأكثر من ألف عام بدأت ثورة فكرية في مكان آخر من العالم بسطوع نور الرسالة المحمدية، وشاءت إرادة الله أن تكون بدايتها على يدى نبي أمي، وبين قوم لم يزدهر في ثقافتهم غير الشعر وسحر البيان. ولذلك جعل الله معجزة هذا الرسول الأمي قرآنا معجزاً في لفظه، غنيا في بيانه، عميقاً في معانيه، مستنداً في تحريك العقول إلى حقائق من العلم، ولذلك لم يكن عجباً أن يجد المسلمون في هذا الكتاب المعجز، ذكراً للعلم ورد نحو (٨٥٠) مرة (٣) وكانت أول كلماته التي اهتز لها نبيه (اقرأ)، وهو لا يعرف القراءة والكتابة ويقسم الخالق فيه بالقلم «ن والقلم وما يسطرون»(سورة القلم -١).

ولقد حفل القرآن الكريم بمئات الآيات عن الظواهر الكونية وخصوصاً عن تكون الأرض، ودوران الشمس، وأوجه القمر، والكواكب ودورانها، والنجوم وبروجها، والمذنبات وبريقها، واتساع الكون، وتذكير بوجود عوالم أخرى بل يندر أن توجد سورة

• عرف العرب البروج لأنها ذكرت في القرآن مرات عدة واتخذها الغربيون سلعة لبيع الخرافات.

في القرآن خلواً من ذكر أحد الظواهر الكونية، لذلك تدرج فكر المسلم، بالبدء بالظواهر التي تتكرر كل يوم، كشروق الشمس وغروبها وظهور القمر وتدرج مساحة سطحه اللامع، وتقلب الليل النهار، تدعوه الى التفكر فيها. ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾(سورة آل عمران ١٩٠ - ١٩١).

لذلك لم يكن عجبا أن تفرز هذه العقدة رهطاً من العلماء المبرزين، أضاؤوا للحضارة في صدر الإسلام أنواراً في كثير من المجالات، منهم على سبيل المثال لا الحصر: «جابر ابن حيان» في الكيمياء، و«ابن سينا» في الطب، و«ابن رشد» في الفلسفة، و«ابن الهيثم» في الرياضة، و«الخوارزمي» في الجبر، و«ابن النفيس» في البصريات، و«البيروني» في الفلك (٤) ويشهد التاريخ أنه عندما كان الغرب غارقا في ظلمات الجهل، عرف العرب «المزولة» لتحديد مواقيت الصلاة، «والإسطرلاب» (ASTROLAB) لتحديد البروج، والساعة الرملية التي أهداها هارون الرشيد إلى «شارلمان»، وأقام ابنه «المأمون» المراصد الفلكية في بغداد.

وعن الحضارة العربية أخذ الغربيون أسماء معظم النجوم التي مازال أكثر من نصفها تنطق بأسمائها العربية في كل اللغات(٥) بلا تحريف، مثل:

كما عرفوا اللوغاريتم، وجداول «المناخ» (ALMANAC) التي تحدد منازل القمر ومواعيد ظهور أشهر نجوم السماء، وعنهم أيضاً عرفوا (الصفر) قبل الأعداد، والأرقام العشرية في الحساب، لذلك ليس بعجيب

Acer nahr	آخر النهر	Algorab	الغراب
Acmar	أقمار	Algenib	الجنب
Adara	العذارى	EL kaid	القائد
Aldebaran	الدبران	Alkes	الكأس
Algol	الغول	Alterf	الطرف
Al pharas	الفرس	Bet el geuse	إبط الجوزاء
El rai	الراعي	Cetus	قيطس
Enif	أنف (الفرس)	Deneb	الذنب
Fam el haut	فم الحوت	Duhr	ظهر (الأسد)
Genah	جناح	Delphine	الدلفين
Hamal	حمل	Dubhe	الدب
kAUS	قوس	Sadr	صدر (الدجاجة)
Markeb	مركب	Saif	سيف (الجبار)
Menkar	منقار	Shaula	شوله
Mintaka	منطقة (الحبل)	Spica	سبيكة
Mirfak	مرفق	Suhail	سهيل
Rigel	رجل (قدم)	Thuban	ثعبان
Alpherd	الفرد	Unuk el haya	عنق الحية
Al pheeca	الفكة	Zeben El genubi	الزبان الجنوبي

ان يبزغ في أفق الثقافة الإسلامية أحفاد هؤلاء الأساطين، أمثال المعتزلة الذين «عقلنوا» العلم، وأخوان الصفا الذين نَقّوا الشريعة من الجهالات(٦).

وقفة أمام الحقيقة

بعد أن استقرت الحقائق الفلكية وثبت صحتها بالقياس والرصد والحساب، سقطت دعاوى ربطها بحظوظ وأقدار ومصائر الناس، وتفسخت العلاقة الواهية بين النجوم والتنجيم، وتكشفت الحقيقة عارية، بأن التنجيم حرفة لابتزاز أموال البسطاء والتلاعب بعقولهم، استغلالا لغريزة الفضول والشغف بمعرفة المستقبل.

ولايمكن لعاقل في عصرنا الذي طفرت فيه العلوم طفرة هائلة، أن يربط بين حقائق في الكون، وبين أقدار الناس الذين يعدون بالمليارات وهي أقدار متنوعة ومتفرقة، منها الحزن والفرح، ومنها الجوع والشبع، والحب والكره، وهؤلاء البشر منهم الصغير والكبير، والغني والفقير، والجاهل والمتعلم، فكيف يستقيم تفسير الجهلاء، بأن بعضا من هؤلاء تحت مظلة كونية واحدة تسودهم مقادير واحدة لمجرد أنهم خلقوا في شهر واحد، وما الربط بين بروج السماء وقت ولادة بعض البشر وبين ما سيلقاه من حظوظ ومقادير في دنياه الا أسلوبا من أساليب بيع الأوهام.

وفي ضوء آيات القرآن الذي سطع على البشرية بنور أضاء العقول لا يمكن أن نسلم بأقوال مرسلة، لاسند لها ولا برهان، ولا قدم لها ساق. وإلا فإننا ننعت القدرة الإلهية بالقصور، وحاشا لله:

﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾(سورة يس -٨٢)

الهوامش

١- سعد شعبان: أعماق الكون - مكتبة الفلاح - الكويت - (ط ٤) ١٩٩٢ .

٢- سعد شعبان: الطريق إلى الكواكب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠ .

٣- مصطفى محمود: المفهوم العصري للقرآن - دار مايو - القاهرة - ٢٠٠٢م.

٤- سعد شعبان: نافذة على الفضاء - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣م

٥- سعد شعبان: المرجع السابق - ص٤٨٤

٦- محمود إسماعيل: مفهم التنوير - مجلة العربي - الكويت - ع مايو ٢٠٠٥ .

المدرسة الجقمقية

مدرسة من العهد المملوكي تحتضن متحف الخط العربي بدمشق

بقلم: محمد مروان مراد

أرسى الفنانون المسلمون قواعد جديدة للخط العربي، مع توظيفها كعناصر زخرفة متكاملة.

وقد هدفت الكتابات المنقوشة في منجزات العمارة الإسلامية إلى:

- كسر رتابة الزخارف التوريقية والهندسية، بإضافة ألوان فنية جديدة يبدع فيها الخطاطون في زخرفة البوابات والواجهات والجدران والنوافذ.
- إعطاء طابع الخلود لكتابات قرآنية وأحاديث نبوية وشعر وحكم، ولتأريخ مبنى أو شخصية الحاكم أو الواقف أو المشرف، والمراسيم والأوامر السلطانية.

وبهذا أصبحت لوحات الخط العربي والكتابات الفنية تطعّم زخارف المساجد والمدارس والتكايا والبيمارستانات والحمامات والأضرحة والأعمدة.

الكوفي والثلث وخطوط أخرى:

تنوعت خطوط الكتابة على الأوابد والمشيدات على امتداد التاريخ الإسلامي، واستخدم الفنان المسلم أنواعاً منها. فقد ساد الخط الكوفي ذو البناء الهندسي المترابط في نقوش العمارة الإسلامية في العصر الأموي، باعتباره أقدم الخطوط وأجملها من حيث السبك والتكوين.

وفي العهد السلجوقي تواصل استخدام الخط الكوفي، ورافقه استعمال خط الثلث - الذي ظهر للمرة الأولى سنة ٣٢٨هـ على يد الخطاط ابن مقلة.

- وشاع في العهدين الأتابكي، والأيوبي استخدام خط الثلث، وبخاصة في سواكف أيوان الجوامع الكبرى والمدارس والتربة.
- عاد الخط الكوفي للظهور مرة أخرى في العهد المملوكي، ولكن كعنصر زخرفي أكثر منه تأريخي. وتنوعت في العهد العثماني الخطوط المستخدمة في الزخرفة. فإلى جانب خط الثلث، ظهرت نقوش بالخط الفارسي «استخلصه حسن الفارسي في القرن الرابع الهجري من خطوط النسخ والرقعة والثلث، وبالخط النسخي الحديث. واستخدم الخط الديواني «وضع قواعده إبراهيم منيف سنة ٨٦٠ هـ»، وظهرت الطغراء العثمانية «الطرّة» وهي توقيع السلاطين من «سليمان القانوني إلى عبدالحميد الثاني».

شاهد من العهد المملوكي

يستطيع زائر مدينة دمشق اليوم، لدى تطوافه بأحياء المدينة القديمة أن يتتبع الإبداع الفني للخطاط المسلم الذي لا يزال ماثلاً للأنظار في المشيدات التاريخية الباقية، وحرصاً من سلطات الآثار والمتاحف على حماية ذلك الإبداع، وإتاحته للجمهور المهتم والباحثين فقد اختيرت المدرسة الجقمقية، بحي الكلاسة، وهي واحدة من مشيدات العهد المملوكي التي تحتفظ جدرانها ومرافقها بأشرطة

تواصل إبداع الفنان العربي المسلم في مجال الزخرفة بالإضافة إلى العطاء المتميز في هذا المجال من حيث تطوير الأشكال النباتية والهندسية

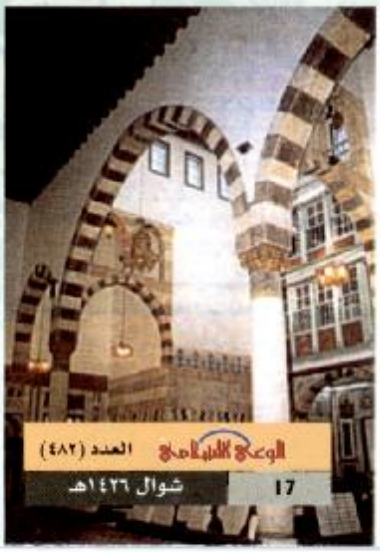

كتابية لآيات كريمة، وتواريخ مهمة، وبذلك تحولت هذه المدرسة بعد ترميمها العام ١٩٦٠ إلى متحف الخط العربي.

خطط «علم الدين سنجر الهلالي» لبناء مدرسة التعليم الديني وسميت بذلك «دار القرآن الهلالية». وأتم بناءها «السلطان حسن» العام ١٣٦٠م، لترتفع جدرانها المبنية بالحجارة البلقاء «السوداء والبيضاء» وتغدو ميتماً للأطفال و«خانقاه» وحين اقتحم تيمورلنك دمشق العام ١٤٠١م أصاب الدمار المدرسة، ليقوم نائب دمشق في عهد المماليك الأمير «سيف الدين جقمق» بإعادة تشييدها من جديد لتصبح من أهم المدارس الدينية في ذلك العهد، وحين توفيت أمه ووريت الثرى فيها. أغدق على فرشها بالبسط الثمينة والقناديل المطلية بالذهب. وكان ينفق عليها من طاحون في سوق وادي بردى، ولقي الأمير «جقمق» مصيراً أسود حين أعلن تمرده على سلاطين مصر، فاعتقل وأعدم العام ١٤٢١م ليدفن بجوار أمه.

ظلت المدرسة تقوم بدورها بعد تولي خلفه «أبو سعيد جقمق» الذي أهدى المدرسة مخطوطات ثمينة من ضمنها مخطوط الدعاء السيفي المتضمن أدعية وأسماء الله الحسنى، وتواصل دور المدرسة التعليمي حتى الأربعينيات من القرن الماضي، حيث تعرضت للتهديم خلال القصف الفرنسي لمدينة «دمشق»، ودمار «حي الكلاسة»، لتعود مديرية الآثار في الستينيات إلى تجديدها وترميمها.

نموذج جميل للعمارة الإسلامية

يدخل الزائر إلى المدرسة من بوابة مرتفعة في الواجهة الشمالية للمبنى، معقودة بالمقرنصات الفنية وطاستها المظلية، ويخترق البوابة وتحت القرنصات شريط كتابي يزين جدران البناء وفيه نص طويل، يبتدئ بالمعوذة فالبسملة فآيات من القرآن الكريم، ثم تأريخ إنشاء المدرسة واسم بانيها: سيف أمير المؤمنين، «جقمق الدودار المؤيدي» ... ويجتاز الزائر دهليزاً إلى صحن المدرسة المربع الذي تتوسطه بركة ماء ذات ثمانية أضلاع، وقد استخدمت في بلاط الأرض حجارة ملونة ورخام مزخرف، والصحن مسقوف بجسور وألواح خشبية مزينة برسوم نباتية وأزهار في غاية الإتقان. وتحيط بالصحن أربعة أواوين مفتوحة عليه بثلاث فناطر، قائمة على أقواس من حجارة متناوبة الألوان ومحمولة على أعمدة بتيجان.

وأجمل قاعات المدرسة، هي القاعة المخصصة للصلاة والتعليم، فجدرانها مكسوة إلى النصف بالرخام الملون المزخرف، ويتصدرها المحراب وخزائن الكتب والشبابيك الملونة، وتمتد على النصف الأخر من الجدران شرائط نقشت فيها بحروف بارزة ومذهبة بخط نسخي متقن آيات كريمة من القرآن الكريم، تفصل بينها حليات مستديرة من الزخارف النباتية، ويزنر الكتابة إطار من أوراق الزنابق على أرضية زرقاء. أما القاعة الثانية فتضم قبري الأمير «جقمق» وأمه.

ثروة من المخطوطات

في قاعة المخطوطات التاريخية الخالدة، تحتضن الجامات الزجاجية، أهم محتويات متحف الخط العربي، منذ عصور ما قبل الإسلام مروراً بالعهود الإسلامية المنوالية، وحتى العصر العثماني.

١- «نقش النمارة» وهو نسخة جصية عن كتابات عربية نبطية وجدت في النمارة «الواقعة شمال الصفا والقصر الأبيض في حوران» على قبر امرئ القيس أحد ملوك العرب من لخم مؤرخة سنة ٣٢٨م «القرن الرابع الميلادي»، النص الأصلي لهذه النسخة موجودة في متحف «اللوفر» في باريس.

ويتألف النقش من خمسة أسطر كتبت بالقلم النبطي ونصه مايلي: هذا قبر «امرئ القيس بن عمر ملك العرب كلهم»، الذي حاز التاج، قهر الأسديين ونزار وملوكهم وهزم مسحج القوية، يجزي من

مخطوطات من عهد ما قبل الإسلام وكتابة على البازلت ورق الغزال

أنحاء نجران ومدينة شمر وملك معد وأظهر بنيه على الشعوب ووكلهم الفرس لصد الروم فلم يبلغ مبلغ ملك مبلغه قوة، ملك سنة ٢٢٣ نبطي يوم ٧ كانون أول (ديسمبر) ليسعد أولاده. طول ١٧٣ ، عرض ٤٢سم».

٢- جزء من حجر بازلت نقش عليه باللغة السريانية نص مؤرخ سنة ٥٧٦م. وجد في الدير الوسطاني شرق بحيرة العتيبة، الأصل محفوظ في متحف دمشق الوطني.

٣- كتابات عربية منقوشة بالخط الكوفي من القرن الحادي عشر ميلادي، وجزء من لوحة يزينها شريط من الأعلى كتابي منفذ بالخط الكوفي ونصه: «الذي يشفع عنده» والأسفل زخرفي، وجزء من لوحة من الحجر مزينة، بوجهها شريط كتابي بالكوفي: «بن تغلب وكليب وقابور» ونطاق آخر: «أنه لا إله إلا هو والملائكة». أما النطاق المكتوب على الظهر فهو جزء من آية الكرسي وهو أيضاً بالخط الكوفي ونصه: «ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء».

وبعض الكتابات العربية المنقوشة على الأحجار رقمت بالخط الثلث يعود تاريخيها إلى القرنين (١٨ و ١٩)م - العهد العثماني - ومخطوطة ملكية نفذت الكتابة بالحبرين الأحمر والأسود، واستعمل من الزخرفة التذهيب والألوان «باسم السلطان «ناصر الدين قاجر شاه» بالخط الثلث ١٥٩٣م»، ومخطوطة «لسان الحكم» نفذت كتاباتها بالحبر الأسود واستعمل في تزيينها الألوان والتذهيب، ألفها «أثير الدين بن الشحنة»، تاريخها ١٦١٨م، وورقة تحوي حكماً دونت بالخطين العربي والفارسي، ومخطوطة «قنديل حرم» في الغزل، ذات جلد نفيس جداً، وهي بالخط الفارسي، وكتابات كوفية من العهد العباسي على ثلاثة أقمشة تعود للقرنين التاسع والعاشر الميلاديين. إحدى هذه القطع تحمل اسم الخليفة «المقتدر بالله ابن الإمام المكتفي بالله» وهي مؤرخة ٢٩١هـ = ٩٠٣=٩٠٤م. ومخطوط يحتوي على سجل مخابرات الحكومة العثمانية في سورية ١٦٣١م -١٦٤٤م.

ومرسوم سلطاني باسم السلطان محمود الأول، زين أعلاه (لطغراء)، ومخطوطة الجزء التاسع من القرآن الكريم بالخط الثلث، أوقفها الملك العادل «نور الدين محمود زنكي» على المدرسة النورية في دمشق سنة ١١٩٢م، والجزء الخامس من القرآن الكريم وهو ذو جلد مذهب وكتابة بالثلث منمقة (القرن ١٤م)، ومخطوطة جامعة لكتابين وهما: «مرج البحرين في مدح الملكين الناصرين» و«الكواكب الدرية» القرن (١٤)م، ورقة من رق الغزال عليها أربع صفحات مكتوبة بآيات قرآنية من سورة العنكبوت - الخط البديع، مشكولة باللونين الأحمر والأخضر وورقه من رق الغزال «سورة الأحزاب» ٣٦-٤٩ كتبت بالخط الكوفي القديم بمداد أسود شكلت بالأحمر. وكتابة كوفية منقوشة على جلاميد بازلتية يتسم تنفيذها بالبساطة والسرعة، وجدت على جبل أسيس حيث قصر «الوليد بن عبدالملك» القرن (٧-٨) م.

يفد الباحثون إلى متحف الخط العربي في المدرسة الجقمقية، لدراسة مقتنياته من الألواح الفنية الأثرية، كما يقصده الزوار من كل مكان في الوطن العربي للتعرف على وجه من وجوه التراث الإسلامي لا يزال متألقاً برغم تقادم السنين.

المصادر:

- مشيدات دمشق ذوات الأضرحة
- قنيبة الشهابي.
- الدارس في تاريخ المدارس - النعيمي.
- خطط دمشق: أكرم حسن العلبي
- متحف الخط العربي
- أكرم قطريب

الفهم الأصولي عند أهل السنة

بقلم: عبد العزيز عزت الخياط

يتناول البحث مايلي:

١- معنى اصطلاح «أهل السنة» وكيف ومتى نشأ الاصطلاح؟ ومن هم رواد وجماعة أهل السنة؟

٢ - أصول أهل السنة:

أ- معنى الإيمان.

ب - إثبات الصفات لله من الوجود والقدم والبقاء ومخالفة الحوادث وقيامه تعالى بنفسه والوحدانية، وبخاصة صفات المعاني (الإرادة والعلم والحياة والكلام والقدرة، والسمع والبصر).

ت - حقيقة النصوص التي تناولتها المبتدعة ومعناها مثل الاستواء، نزول الله إلى السماء الدنيا، رؤية الله.

ث - معنى القضاء والقدر.

ج - وجود الجنة والنار.

ح - معنى القرآن.

خ - ما يجوز في حقه تعالى وما لا يجوز.

د- معنى الحسن والقبح.

ذ - مرتكب الكبيرة.

ر - الشفاعة.

ز- خلق الأفعال (الاكتساب).

س - الإمامة.

١ - أهل السنة ونشأتهم وأشهر منتسبيهم

أطلق مصطلح «أهل السنة» - أول ما أطلق - على جماعة من العلماء كانت تناهض المعتزلة قبل ظهور أبي الحسن الأشعري «١»، فقد روي أن «عمرو بن العاص» قال أمام «أبي موسى الأشعري» (وهما صحابيان) «أين أجد أحدا أحاكم إليه ربي؟ فقال له «أبو موسى» أنا ذاك المتحاكم إليه؟ فقال «عمرو» «أو يقدر علي شيئا ثم يعذبني عليه؟ قال «أبو موسى نعم قال عمرو» ولم؟ قال: لأنه لا يظلمك «٢»، فسكت «عمرو».

ثم أطلق «أهل السنة» على جماعة الأشعرية والماتريدية (نسبة إلى «أبي منصور الماتريدي» ثم اتسع هذا المصطلح فشمل أصحاب المذاهب الفقهية كالحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ومعظم فقهاء التابعين والمجتهدين كسفيان الثوري والأوزاعي والطبري) وأهل الرأي والقياس والإجماع الذين كانوا يرون رأي «الأشعري والماتريدي» في آرائهما وردت في كتاب «الفقه الأكبر» «٣» والكتب التي ألفها «الأشعري والماتريدي» وعلماء السنة.

وظل اسم أهل السنة يطلق على من التزم السنة ووضحها على منهج «الأشعري» أو على منهج «الماتريدي» من علماء التوحيد والفقه والأدب وأهل الحديث والرأي والنحو والبلاغة وأهل القرآن والتفسير والصوفية والزهاد وغيرهم ممن لم يخلطوا عملهم ببدع الأهواء وآراء المعتزلة والخوارج والقدرية وغيرهم، ومعهم أتباعهم من العامة، وألف كثير من علماء الحنفية والشافعية وأصحاب المذاهب السنية، الكتب في التوحيد وعلم الكلام ووضحوا ما يتعلق بمذهب السلف من الصحابة والتابعين.

وكانت معظم الدول الإسلامية على طريقة أهل السنة كالأمويين والعباسيين والأيوبيين والمماليك والغزنويين والعثمانيين «٤».

• أصول أهل السنة

أولا: معنى الإيمان

الإيمان هو تصديق القلب، والعمل كمال له عند أهل السنة، فالإيمان «ما وقر في القلب وصدقه العمل» فهو اعتقاد يتبعه عمل، وهو «الاعتقاد الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى والحساب والميزان والجنة والنار، حق كله، والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق انه لا شريك له (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد) (الله لا إله إلا هو) لا يشبه شيئا من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) «الشورى -١١»، ولم يزل ولا يزال بأسمائه الذاتية والفعلية «٥».

ثانياً: إثبات الصفات لله عز وجل عند أهل السنة

الوجود

يجب لله تعالى الوجود، وهي حقيقة لا

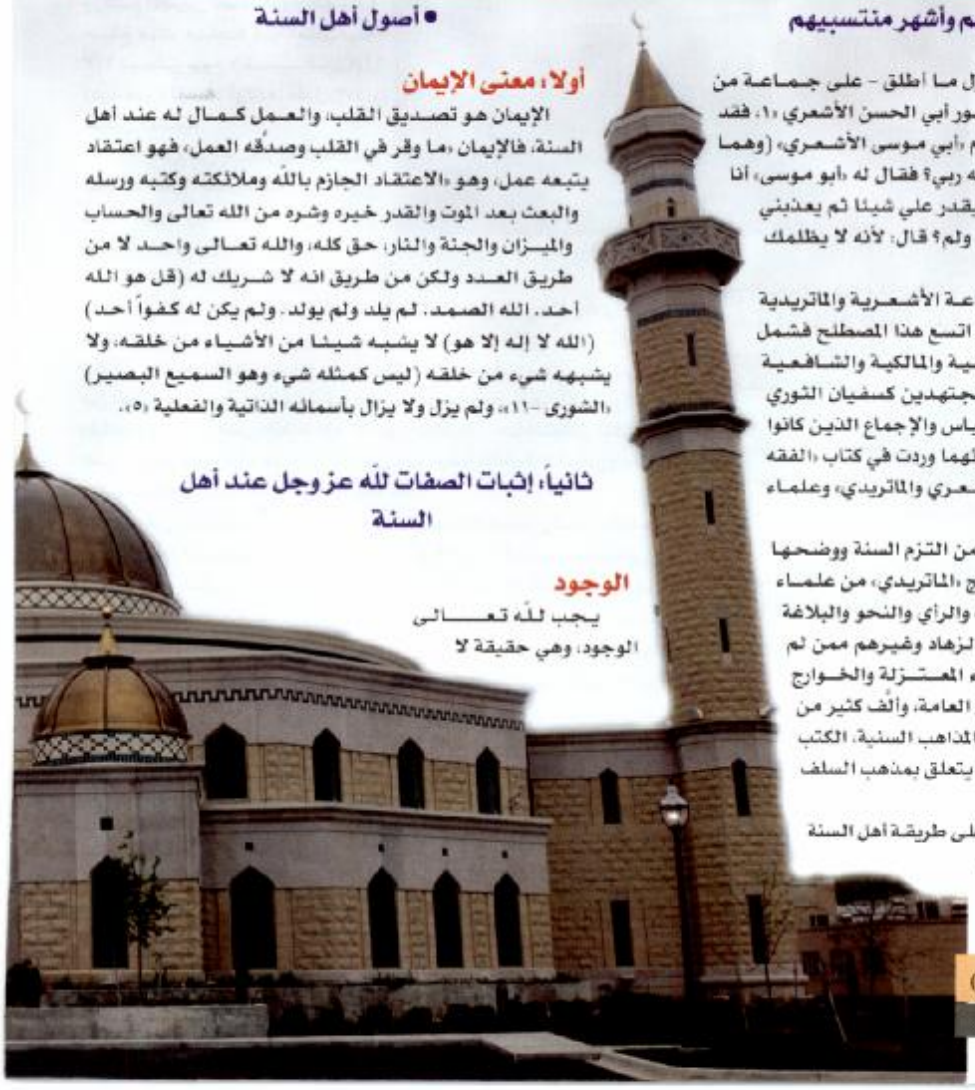

شك فيها، ويستحيل على الله ضدها وهو العدم، وكل ما في الكون شاهد على هذا الوجود الإلهي من عناصره المادية والمعنوية المرئية منها وغير المرئية ونظامه الذي يسير عليه. وكلها حادثة بسبب أعراضها من الحركة والسكون والصور الحيوانية والنباتية والمعدنية وغيرها، والحادث لا بد له من محدث فهذا الكون لابد له من محدث موجود وهو الله الخلاق ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ «الطور- ٣٥-٣٦»، والشيء لا يأتي من العدم.

القدم والبقاء

معنى القدم والبقاء أي لا أول لوجوده وأن وجوده غير مسبوق بعدم ولا نهاية له فهو كما يقول «الطحاوي» «قديم بلا ابتداء ودائم بلا انتهاء» «٦»، أي يستحيل عليه الفناء قال تعالى﴿هوالأول والآخر والظاهر والباطن﴾ «الحديد - ٣».

المخالفات للحوادث

يجب لله تعالى مخالفته للحوادث فلا يماثل الموجودات الحادثة في خاصية من خواصها كالجوهرية والجسمية والعرضية والتحيز والتركيب والتجزؤ والتولد والولادة والحيوانية والنباتية والمعدنية وأعراضها قال تعالى عن نفسه ﴿ليس كمثله شيء﴾ «الشورى -١١» فلو ماثل شيئا من مخلوقاته لكان مخلوقاً واحتاج إلى من يوجده (لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد).

قيامه تعالى بنفسه

يجب لله تعالى قيامه بنفسه أي استغناؤه عن مكان يوصف به أو محل يحل فيه أو موجد يوجده فهو «القيوم الغني».

الوحدانية

أي أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا ثاني له، لا شريك له ولا شبيه له، وهو مستقل بالإيجاد والإبداع قال تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ «الأنبياء -٢٢»، ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ «المؤمنون -٩١».

صفات المعاني

ومعناها الصفات التي تقوم بذات الله عز وجل «فهي صفات وجودية، كالإرادة والقوة والعلم والحياة والسمع والبصر.

قرر الأشاعرة أن صفات الله قديمة قدم الذات، لأنها لو كانت حادثة لأحدثها الله في ذاته، وهذا محال، لأن الله ليس محلا للحوادث، وإحداثها في غير ذاته محال أيضا، إذ من المحال أن تكون محدثة قائمة بذاتها لأن الصفة لا تقوم بنفسها بل بغيرها.

ويقررون أن الصفات ثابتة لله لأنه لامعنى لكلمة عالم إلا أنه ذو علم، فهو عالم محيط بكل شيء ماض أو حاضر أو مستقبل، ماظهر ومابطن، لايعتريه نسيان ولا يسبق بجهل ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ «المجادلة -٧».

ولا معنى لقادر إلا ذو قدرة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد فيها الحوادث ويعدمها ويستحيل عليه ضدها وهو العجز وهو الذي أوجد العالم وما احتوى (إن الله على كل شيء قدير) «النور -٤٥»، والإرادة صفة قديمة قائمة بالذات يخصص الله بها الشيء الممكن ببعض ما يجوز عليه في أي مكان وبأي صفة، ويتصرف في الكون بحسب مشيئته، قال تعالى عن نفسه (فعال لما يريد) «البروج -١٦» والإرادة عند أهل السنة نوعان: إرادة كونية قدرية خلقية وإرادة دينية أمرية شرعية، فالشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات «٨».

والسمع والبصر صفتان لله أزليتان، تنكشف بالأولى المسموعات وبالثانية المبصرات فهو السميع البصير.

يقول «الأشعري» (إن الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع، بصير ببصر، وهذه الصفات أزلية قائمة بذات الله تعالى لا هي هو ولا هي غيره) «٩».

وأضدادها هي العدم والحدوث والمماثلة للحوادث والعجز والصمم والعمى والبكم. والكلام عند أهل السنة هو كلام الله تعالى غير مخلوق ووحيه وتنزيله، لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق وصفات الله وأسماؤه أزلية والألفاظ والأصوات حادثة «١٠»، يقول «الأشعري» القرآن قديم وهو كلام الله النفسي ليس بصوت ولا حرف ...أما الكلام اللفظي الحروف والكلمات فهو محدث ومثلها الألوان والورق والحبر والأجسام والأصوات التي بين دفتي المصحف فهي مخلوقة، وكلام الله النفسي قديم قدم الذات «١١».

ثالثا: حقيقة النصوص التي تناولها المبتدعة ومعناها

تناول المبتدعة نصوصا من القرآن فأولوها تأويلات باطلة، وهي في المفهوم الأصولي عند أهل السنة كما يلي:

فالاستواء على العرش في قوله تعالى: (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش «الرعد -٢»، استواء لا يعلمه الا الله نفسه نؤمن به ونصدق به.

ومثله نزول الله إلى السماء الدنيا كما في قوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله

في ظلل من الغمام والملائكة﴾ ، البقرة -٢١٠»، أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني، سمعت أبا حامد بن الشرقي يقول: سمعت «أحمد السلمي وأبا داود الخفاجي» يقولان: سمعنا «إسحاق بن إبراهيم الحنظلي» يقول: قال لي الأمير «عبدالله طاهر»: يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي نرويه عن رسول الله ﷺ «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا» كيف ينزل؟ قال: قلت «أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف؟ إنما ينزل بلا كيف وقد قال عبدالله بن المبارك لمن سأله عن نزول الله «ينزل كيف يشاء».

• معنى الحسن والقبح

جميع المسلمين متفقون على أن مصدر الأحكام لجميع أفعال الإنسان من الله تعالى المبينة في القرآن الكريم والسنة المطهرة أو المستنبطة منهما، والحكم الشرعي عند أهل السنة هو: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا، وتعني بالاقتضاء ماهو مأمور به على وجه الفرض أو الواجب أو الندب، أوما هو منهي عنه نهي تحريم أو كراهة تحريمية أو تنزيهية، وتعني بالتخيير الإباحية، ولا يعرف حكم الشرع إلا بوساطة رسله والكتب السماوية المنزّلة عليهم، وتفهم بالعقل الذي وهبه الله للبشر.

وعلى هذا فإن «الحسن عند أهل السنّة ماحسنه الشرع، والقبيح ما قبّحه الشرع» ولا يستطيع العقل أن يكون مصدر معرفة الخير والشر لاختلاف الأفهام وتأثرها بالمصالح والهوى «١٢»، وقد تخطئ الأقوال، ولذلك عدل الماتريدية الرأي السابق في الحسن والقبح فقالوا «الحسن ماحسّنه الشرع والقبح ما قبّحه الشرع، ولكن العقل السليم يستطيع الحكم بأن هذا حسن أو قبيح لكن يجب أن يوافق الشرع، ونفهم من ذلك أن العقل أداة فهم حكم الشرع في الحسن والقبح، كما أنه يستطيع معرفتها والتمييز بينهما شرط موافقة الشرع «١٣» ولذلك كرر القرآن ضرورة استعمال العقل في تدبر الكون والإنسان قال تعالى:﴿إنا أنزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون﴾ «يوسف -٢»، وقال:﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾«الأنبياء -١٠»، وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾«محمد - ٢٤».

رؤية الله

من المقرر عند أهل السنّة أن المؤمنين يرون الله عز وجل في الآخرة لقوله تعالى:﴿وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة﴾ «القيامة - ٢٢ -٢٣»، ومعنى النضارة الحسن والإشراق والسرور، ومعنى النظر إلى الله الرؤية عيانا بأبصارهم على ما ورد في الأحاديث الصحاح المتواترة «١٤»، ففي الصحيحين «أن ناسا قالوا: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب» قالوا: لا قال: «إنكم ترون ربكم كذلك» وعن «الحسن البصري» «تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنظر»«١٥»، و«الأشعري» يقول: «الرؤية من غير حلول ولا حدود «١٦»، وقوله تعالى:﴿لا تدركه الأبصار﴾ «الأنعام -١٠٣»، فذلك في الحياة الدنيا، مصداقا لما أخبر الله عن «موسى» حين قال :﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ الأعراف - ١٤٣»، وقد صح أن نبينا محمد ﷺ سئل في حادث الإسراء والمعراج هل رأيت ربك؟ قال «انعكس بصري في بصيرتي فرأيت من ليس كمثله شيء» «١٧»، وصدق الله تعالى ﴿مازاغ البصر وما طغى﴾ «النجم - ١٧».

• خامساً

الكسب (الأفعال)

أهل السنة يقررون في قدرة الله وأفعال الإنسان بأن «الإنسان لا يستطيع إحداث شيء أو كسبه والعبد لا يخلق أفعال نفسه، ولكنه يشعر بأن الحركات الإرادية تصدر عنه باختياره، وأن له القدرة على القيام بها، وهذه القدرة خارجة عن الذات زائدة عليها تلزم الإنسان أحيانا وتفارقه أحياناً، وهي غير خالقة لأفعال الإنسان، لأن الأفعال لو كانت من خلق الله والعبد لجاز اجتماع مؤثرين في أثر واحد وهذا محال، وقدرة الإنسان وإن لم تكن خلاقة فهي «كاسبة»، لأن الكسب نتيجة لتوجيه العبد إرادته شطر العمل، فإذا أراد الإنسان عمل الخير خلق الله فيه القدرة على عمله واستحق بكسبه إياه، وإذا أراد الإنسان الشر خلق الله فيه القدرة واستحق العقاب بكسبه إياه «فأفعال العباد الاختيارية تتعلق بها قدرة الله تعلق الإيجاد، وقدرة العبد على وفق إرادته تعلق كسب» ويتحرك العبد من دون أن يكون لأحد عليه إجبار في فعله وحركاته.

واستدل أهل السنة بقوله تعالى: ﴿هل من خالق غير الله﴾«فاطر-٣»، وقوله ﴿والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ «النحل-٢٠»، وقوله ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتا ولا حياة

ولا نشورا» «الفرقان - ٣»، وقوله «أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون» «النحل - ١٧»، وقوله ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه» «لقمان - ١١». ويتضح من هذه النصوص وغيرها أن الله سبحانه خالق كل شيء ومنها أفعال العباد، ولو جاز لبعض المخلوقات أن يخلق شيئا لكان شريكا لله سبحانه «والله خلقكم وما تعملون» «الصافات - ٩٦». ومقتضى الألوهية أن يكون الله خالقا لكل شيء ومن المحال أن يكون الله إلهـا لما لم يخلق «١٨». ويرى بعض أهل السنة توضيحاً أن الفعل مخلوق لله تعالى لأننا إن نسبنا خلق الأفعال لغير الله فقد أشركنا معه غيره في الخلق وهذا غير مقبول ولا معقول «١٩».

• مرتكب الكبيرة

ومما يتصل بالإيمان والأفعال الحكم على مرتكب الكبيرة هل هو عاص، مخلد في النار إذا لم يتب أو هو عاص والعصيان لا يرفع عنه صفة الإيمان؟

أهل السنة يعتقدون أن مرتكب الكبيرة عاص والفسق لا يرفع صفة الإيمان لأنه مصدق بالله وبرسالة سيدنا محمد ﷺ ومؤمن باليوم الآخر والقضاء والقدر وبقية المعتقدات، وأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه لقوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ «النساء -١١٦»، ولكنه لا يخلد في النار بل يُعذب إن شاء الله أن يعذبه. ثم يدخل الجنة «٢٠».

• وجود الجنة والنار

يرى أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن لا تفنيان أبداً، قال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ «آل عمران -١٣٣»، وقال تعالى: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ «آل عمران - ١٣١»، خلقهما الله لمثوبة الطائعين وعقوبة العاصين خالدين في كل منهما «٢١».

واستشكل بعض العلماء تفسير قول الله تعالى ﴿خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعّال لما يريد. وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ «هود -١٠٧ -١٠٨»، وقوله تعالى ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعّال لما يريد﴾ «هود ١٠٦ -١٠٧»، فقيل معنى (إلا ماشاء ربك) استثناء لأهل التوحيد إلا مدة مكثهم في النار وهذا يكون لمن دخل من المؤمنين في النار ثم خرج منها لا لجميعهم، وقيل إلا مدة مقامهم في الموقف أو في الموقف والقبور، وقيل إلا بمعنى لكن فيكون استثناء منقطعا، أما أهل النار فهم خلدون فيها أبدا «٢٢».

• الشفاعة

وراى أهل السنة في الشفاعة أنها لرسول الله ﷺ في اليوم الآخر للمؤمنين المذنبين من أهل الصغائر والكبائر المستحقين للعقاب، وهو حق ثابت لكل من هو من أهل الجنة، لما ورد في الحديث الشريف «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» «٢٣»، ومن باب أولى أن تكون الشفاعة لأهل الصغائر من الذنوب، ودل على ذلك قوله ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ «محمد -١٩- «٢٤»، وقوله تعالى «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» «الأنبياء -٤٧»، وذلك إظهارا لكمال فضل الله وجمال عدله «٢٥».

• الإمامة

يقول الماوردي «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم في الأمة واجب بالإجماع «٢٦»، ويقول ابن حزم «واتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ» «٢٧»، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام «ولا يحل لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض إلا أمّروا عليهم أحدهم» «٢٨»، فأوجب الإمارة في الأمر الصغير فوجوبها في أمر الأمة أولى وعمل الرسول ﷺ وصحابته على ذلك.

فالإمام عند أهل السنة ينتخب من الأمة، وليس له حصانة أو عصمة إلا بالتقوى والاستقامة والعلم والعدل والقدرة على سياسة أمر الأمة في الدين والدنيا «٢٩».

• القضاء والقدر

من الإيمان أن يؤمن المسلم بالقدر خيره وشره من الله

فالقضاء: كل ما يقع على الإنسان أو منه أو فيه من غير إرادة منه واختيار له، سبق به علم الله أو مضى في كتابه، أو تعلقت به إرادته، كالمرض الذي يصيبه، أو الخطأ الذي يقع منه أو جريان الدم في عروقه، أو موعد ولادته، أو تكوين جسمه.

والقدر: الطبائع والقابليات والخصائص التي خلقها الله في الموجودات كقابلية الموت أو الجرح في الإنسان، خاصية الحرق في النار وقابلية الاحتراق في الخشب، وطبيعة الصلابة في الحديد، والسيولة في الماء، قال عز وجل (إنا كل شيء خلقناه بقدر) «القمر -٤٩» قال الإمام النووي «اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه «أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى على صفات مخصصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله سبحانه وتعالى» «٣٠».

وإذا ذكر وحده دون ذكر القضاء معه فهو يعني معنى القضاء والقدر.

مثلما يجتمعان، إذا كانت هناك نار موقدة (وخاصيتها الحرق)، فهبت ريح حركها الله فنقلت شرارة إلى كومة قش (وقابليته للاحتراق) فحرقته، فكان الحادث قضاء وقدراً، أي القدر في خاصية الحرق في النار وقابلية الاحتراق في القش وقضاء الله في هبوب الريح وحملها لكومة القش.

وهذا المعنى هو الذي اختاره من بين الأقوال الكثيرة وهو أوضح في تعليل الحوادث وبيانها.

• خاتمة

هذا - بإيجاز - أهم معالم الفهم الأصولي لأهل السنّة، وعلى الرغم من كل النزاعات الفكرية وتعدد الفرق المختلفة في العهود الإسلامية المتعاقبة، ظلت عقيدة أهل السنة ومفهومها الأصولي مسيطر على الأكثرية من المسلمين، ولم ينحرف عن العقيدة إلا الغلاة من الباطنية وأمثالهم، ولكنها ظلت محصورة في فئات قليلة ونشاط محدود، حتى بلينا بالمستعمرين الغربيين وهجماتهم الشرسة واستيلائهم على بلاد المسلمين، فعمدوا إلى تشجيع أصحاب العقائد الزائغة وأوجدوا فرقا ضالة جديدة كالبابية والبهائية والأحمدية، وازداد الأمر سوءا حيث بدأ أهل السنّة يختلشون ويخطّئ بعضهم بعضا، وحين قامت جماعات أخطأت في الفهم فغالت إلى حد التكفير لغيرهم كالفرماوية والسماوية والأحباش واستباح بعضهم دماء المسلمين باسم الإسلام كجماعة التكفير والهجرة في مصر وأشباههم في الجزائر وغيرها.

ناهيك عن تسميم عقول أبناء المسلمين من قبل المبشرين والمستشرقين وكتاباتهم، وقيام كتّاب من المستغربين المسلمين بالكتابات الزائغة المضللة، وأشد من ذلك كله ما تولته الآن دعوة العولمة السياسية والفكرية التي يكمن وراءها محاولة القضاء على الفهم الأصولي الإسلامي بما يتضمنه من نظرة إسلامية صائبة عن الكون والإنسان والحياة.

ولا ننسى جهود العلماء والجماعات الإسلامية الصادقة في الدعوة إلى التمسك بالينابيع الصافية والمفاهيم الأصيلة له.

الهوامش

١- أحمد أمين، ظهر الإسلام ٤/٩٦ .

٢- الشهرستاني، الملل والنحل ١- ٩٧/ -٩٨، محمد عبده «رسالة التوحيد/١٩» .

٣-كتاب الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي شرحه أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفي الماتريدي السمرقندي وعنى بطبعة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة الشؤون الدينية في قطر، كما طبع من قبل في مطبعة مجلس دائرة المعارف، النظامية الكائنة في الهند في حيدر آباد الدكن في شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢١ هجرية، كما شرحه ملا علي بن سلطان محمد القاهري الحنفي وطبع في القاهرة طبعتين الأولى والثانية سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م في مطبعة البابي الحلبي، وقد اعتبر بعضهم أن الكتاب منسوب إلى أبي حنيفة والله أعلم.

٤ - باستثناء بعض الحكام الذين أيدو المعتزلة او كانوا دولاً شيعية كالفاطميين والبويهيين.

٥- شرح ملا علي القاري الحنفي على «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة النعمان / ١٥ طبعة الحلبي في مصر.

٦-العقيدة الطحاوية / ١١٣ .

٧ - قسم علماء التوحيد صفات الله تعالى إلى نفسية وهي الذاتية كالوجود ، وسلبية كالقدم فهو سلب أولية الوجود، والبقاء وهو سلب آخرية الوجود، ومخالفته تعالى للحوادث وهو سلب مماثل والوحدانية وهي سلب التعددية، وإلى معنوية أي متفرعة عن صفات المعاني أي لازمة لها، فلا يعقل أن يكون الله قادرا من دون صفة القدرة مثلا وصفات معان كما شرحناها أعلاه.

٨- العقيدة الطحاوية / ١١٦ .

٩ - الفاخوري ، تاريخ الفلسفة العربية / ١٣١ ، السنوسية / ٢٠ -٢٥، حاشية البيجوري على السنوسية / ٢٥ ؛ وبهذا يخالفون المعتزلة الذين قالوا بتوحيد الذات والصفات، والجهمية الذين شبهوا ذاته تعالى في أوصافه بصفات الحوادث، والحشوية الذين نفوا الصفات الذاتية.

١٠- الفقة الأكبر / ٦٤ ، ٢١٨ طبعة قطر.

١١- مقالات الأشعريين.

١٢- يرى المعتزلة أن الحسن ما حسّنه العقل والقبيح ما قبّحه العقل «والعقل عندهم يميز بين الخير والشر والحسن والقبيح.

١٣ - الكمال بن شريف ، كتاب «المسامرة» شرح الكمال بن الهمام / ١٢٦ طبع المطبعة الكبرى في بولاق مصر سنة ١٣١٧ هجرية. عبدالوهاب خلاف ، أصول الفقه / ٩٦ ؛ محمد حمزة ، التآلف بين الفرق الإسلامية / ١٥٣ .

١٤ - تفسير ابن كثير ٤/٤٥٠ .

١٥ - المصدر السابق ٤/٤٥٠ .

١٦ - خلافا للمشبهة الذين يقولون يُرى ربنا يوم القيامة مكيفا محدودا، وخلافا للمعتزلة الذين ينفون رؤية الله بالأبصار.

١٧ - المواهب اللدنية للزرقاني ٦ / ٧٦ - ٩٤ .

١٨ - أحمد أمين ، ظهر الإسلام ٤/١٦ .

١٩ - شرح المسامرة للكمال بن الهمام /١٠٠ وما بعدها.

٢٠- والمعتزلة اعتبروا مرتكب الكبيرة في منزلة بين المؤمن والكافر ويطلق عليه اسم المسلم تميزا له عن الذمي، فإذا لم يتب فهو خالد في النار أبداً ولكن يخفف عنه العذاب.

٢١ - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي/ ٤٧٦ .

٢٢- شرح العقيدة الطحاوية / ٤٨١ . تفسير الطبري ٤/٣١٣ .

٢٣ - روا ابن حنبل وأبو داود والترمذي والحاكم وابن ماجه.

٢٤ - الفقه الأكبر / ٩٤ طبعة الحلبي في مصر.

٢٥ - شرح الفقه الأكبر لملا القاري / ٩٥ .

٢٦ - الماوردي ، الأحكام السلطانية / ٥ .

٢٧ - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٨٧ .

٢٨ - رواه أحمد بن حنبل في المسند .

٢٩ - خلافا للشيعة الذين يرون أن الإمام بالنص في آل البيت وأنه معصوم وقوله دليل بعد الكتاب والسنة، وذلك في الأئمة الإثني عشر من سلالة فاطمة وعلي رضي الله عنهما.

٣٠ - حاشية الجمل على الجلالين ٤/٣٥١ .

تكامل فقه الأئمة ومدارسهم

بقلم/ محمود محمود النجيري

يكثر في الأدبيات التي تدرس فقه الأئمة ومدارسهم التركيز على التمايزات بينهم، فيظهرون وكأنهم جزر تنعزل كل منها عن الأخرى، ويكثر أيضا الحديث عن التعصب المذهبي والتقليد حتى وقر في صدور كثير من الناس أن الأئمة عمدوا إلى الخلاف، وأن مدارسهم فيها من الشر بقدر ما تفرق بين المسلمين وتجعلهم شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون. ومن هنا كان على الدارسين بيان الحق في هذا الأمر، وهو أن الأئمة وأتباعهم من أهل العدل تأثر بعضهم ببعض، وأخذ بعضهم عن بعض، فلم يكونوا دعاة فرقة ولا جمود، ولا تعصب مذهبي، بل دعاة تقريب ومشورة وإصلاح وتجديد.

وليس هذا غريباً على الأئمة، فقد كان الصحابة الكرام يتشاورون في النوازل وفي استنباط الأحكام، وكذلك كان التابعون والأئمة من بعدهم.

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب كان إذا رفعت إليه قضية قال: «ادعو لي علياً، وادعوا لي زيداً...»، ثم يفصل بينهم بما اتفقوا عليه، وقال القاضي شريح، قال لي «عمر»: «أقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ﷺ، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله، فأقض بما استبان لك من أئمة المجتهدين، فإن لم تعلم فاجتهد رأيك، واستشر أهل العلم والصلاح». وجاء مثل ذلك عن عمر بن عبدالعزيز أنه كتب إلى «عروة»: «كتبت إلي تسألني عن القضاء بين الناس، وإن رأس القضاء اتباع ما في كتاب الله، ثم القضاء بسنة رسول الله، ثم بحكم أئمة الهدى، ثم استشارة ذوي العلم والرأي»(١)

وعمل الأئمة الذي يمكن إدخاله في التقريب بين المذاهب كثير، فمن ذلك أخذ أحدهم باجتهاد غيره لاعتبارات شرعية، مثل ما روي عن الإمام أحمد أنه كان يرى الوضوء من الحجامة والفصد، فسئل عمن رأى الإمام احتجم وقام إلى الصلاة ولم يتوضأ: أيصلي خلفه؟ فقال: كيف لا أصلي خلف مالك، وسعيد ابن المسيب؟ وفي رواية أنه قال للسائل: أأنهاك أن تصلي مع فلان وفلان؟

وكان أبو حنيفة وأصحابه يرون الوضوء من خروج الدم، ولكن أبا يوسف رأى هارون الرشيد احتجم وصلى ولم يتوضأ. وكان مالك أفتى هارون بأنه لا وضوء عليه إن احتجم. فصلى أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة.

واغتسل أبو يوسف في الحمام وصلى الجمعة، ثم أخبر بعد الصلاة أنه كان في بئر الحمام فأرة ميتة، فلم يعد الصلاة، وقال: نأخذ بقول إخواننا من أهل الحجاز: (إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث)(٢)

والثابت أن المذاهب الفقهية تقاربت كثيراً في عهدها الأول، فمنهج أبي حنيفة مع تلاميذه كان الحوار والمناقشة ثم الخروج بالرأي الجماعي، وكان الشافعي يقول لأحمد وهو تلميذ له: «إذا صح عندك الحديث فأعلمني حتى أذهب له»، وقد تلاقحت أفكار ومناهج أهل الحديث وأهل الرأي فكل مدرسة خدمت الفقه من جانب، فتكاملت جهود هذه المدارس الفقهية، فأبوحنيفة يعد فقيه الفقهاء، ومالك فقيه المحدثين، والشافعي فقيه المحدثين والفقهاء، وأحمد محدث الفقهاء.

تلاقحت في المذاهب الفقهية أفكار ومناهج أهل الحديث وأهل الرأي وكل مدرسة خدمت الفقة من جانب

(تكامل الأئمة الأربعة في الفقه والحديث)

ومن الخير أن الأئمة الأربعة فاق كل واحد منهم في ناحية من العلم، واستفاد لاحقهم من سابقهم، وتنوع علمهم واجتهادهم، تواحي فقههم وعلمهم، وتراكمت إضافاتهم وخبراتهم، فاق أبوحنيفة في الفقه فوضع أسسه، وهو أول من دونه، وفاق مالك في الحديث، ثم في الفقه أيضاً، فقدم فقه أهل الحجاز، وفاق الشافعي في الفقه وأصوله وهو أول من دون هذه الأصول، فقدم فقه السنة وفاق أحمد في الحديث فقدم فقه أهل الحديث والأثر.

ويتضح هذا التقريب التكاملي الفقهي أكثر فيما يلي من النقاط.

١- وسعت مدرسة أبي حنيفة الفقه بكثرة الفروع، وبما يستلزمه ذلك من رأي وقياس واستحسان، ويمواجهة المشكلات المعقدة التي قدمتها لها المدنية الضخمة التي خلفتها الأمم المتمدنة في العراق من آشوريين وكلدانيين وفرس وغيرهم.

٢- أثرت مدرسة مالك بالمدينة في الفقة بما نقلت من أحاديث كانت وافرة فيها بحكم قيام الرسالة على أرضها وكثرة الصحابة بها، وبما قدمت من أشكال وأوضاع تداولها سكان المدينة جيلا عن جيل. ومن جهة أخرى نجد المدينة لم تخل من قائل بالرأي، مثل «ربيعة الرأي» شيخ مالك نفسه، وكان ربيعة من كبار علماء المدينة. لذلك تأثر به فقه مالك، فقال بالمصالح المرسلة والاستحسان والعرف.

٣- كان من أصحاب المذهبين الحنفي والمالكي من ينتفع بمزايا كل منهما، فهذا محمد بن الحسن الحنفي المذهب يرتحل إلى المدينة، ويمكث فيها ثلاث سنين يأخذ فيها الموطأ عن مالك، ويعود إلى العراق مزودا بالآثار. وهذا أبويوسف الحنفي المذهب كان أوسع اتصالا بالمحدثين وأكثر رواية عنهم، وقد خالف أبا حنيفة في المسألة بعد المسألة، والثابت أنه ارتحل أيضا الى المدينة ولقي مالكا وناظره، وأخذ عنه، ورجع عن بعض قوله الى قول مالك، وسهل له اتصاله بالمحدثين تقوية مذهب أبي حنيفة بالحديث، وتطعيم المذهب ببعض أقوال الحجازيين، ومخالفة أبي حنيفة إلى ما صح عنده من حديث أحيانا.

وكما كان أبو يوسف ومحمد ابن الحسن حلقة اتصال بين أهل الحجاز وأهل العراق، كذلك كان من تلاميذ مالك وفقهاء الحجاز من قام بالدور نفسه، مثل أسد بن الفرات تلميذ مالك الذي ارتحل إلى العراق، وهناك فعل ما فعله

محمد بن الحسن في المدينة، فكلاهما مزج الفقهين، وقرب بين المدرستين، فقد لقي أسد بن الفرات صاحبي أبي حنيفة، وسمع منهما الفروع الفقهية على طريقة العراقيين، ثم ذهب إلى مصر مزوداً بما حصله، ولقي أصحاب مالك بها ولاسيما ابن القاسم، وعرض عليهم هذه الفروع، وسمع منهم حكمها على مذهب مالك، إما حسب ما سمعوا من مالك، وإما اجتهاداً على أصوله، وجمع أسد بن الفرات ذلك كله في كتاب سمي المدونة، وصار هذا الكتاب المصدر الأساس في فقه المالكية، وعلى هذا فالمدونة لا تخلو من تأثير العراقيين في تفريع المسائل وتوليدها، وإن كانت أكثر تأثراً بالحجازين في تطبيق مذهب مالك على هذه المسائل. ومن هذا نرى كيف كان العصر والرجال والرحلات تعمل على التقريب بين المذاهب(٣)

٤- كثرت رحلات الشافعي بين الحجاز والعراق ومصر واليمن، والحضر والبدو، فاكتسب ثقافة واسعة بأحوال زمانه وباللغة والأدب والحديث والفقه: فقه الرأي العراقي، وفقه الحديث الحجازي، وكان الشافعي يحاول التقريب بين مدرسة الرأي التي استفاد من أهلها في العراق حين نزل بها أكثر من مرة، وأخذ فيها عن محمد بن الحسن، وهو من رؤوس المذهب الحنفي. كما أخذ من المدينة عن مالك، وهو رأس المذهب الأثري المتمسك بالحديث. وقد رأى الشافعي من غير شك ان طريقة العراقيين لا يحسن أخذها كلها، ولا تركها كلها.

فعندهم القياس وهو منهج صحيح، ولكنه في نظره ليس على إطلاقه، بل لابد أن يتأخر عن الأحاديث الصحيحة حتى ما كان منها خبر آحاد. وعندهم التفريع وتوليد المسائل الكثيرة من أصولها، وهي طريقة جيدة، وعندهم الجدل والاستدلال بالعلة والمصلحة، وإلحاق الشبيه بشبيهه. وقد رأى ذلك حسناً فاقتبس منه أحسنه، وأضافه إلى ثروته الحجازية من اللغة والأدب والحديث وطريقة الحجازيين في الاستنباط، وخرج من دراسة المذهبين بطريقة جديدة جمعت أفضل ما فيهما.

وقد تبع الشافعي على ذلك كثير من اهل العراق. الذين لم يملكوا إلا الانبهار بشخصيته العلمية الفذة، فاستفادوا منه إفادات كبيرة، فاجتمع لهم أحسن ما في المذهبين الحنفي والشافعي، بل الشافعي نفسه كان دائم التجديد لفقهه وعلمه، ولذلك كان له مذهبان: قديم حين كان بالعراق، وجديد حين نزل بمصر، وهذا يظهر أن الاجتهاد وتمحيص المذاهب الفقهية والتقريب بينها والاستفادة من كل منها - عمل لا ينتهي ما دامت الحياة.

ومن الطبيعي أن يكون أهل الحديث أميل للشافعي، وأكثر انبهاراً به لأنه واحد منهم، ومعبر عنهم أحسن تعبير، ذلك أنه توسع في الاستدلال بالحديث أكثر مما فعل مالك وأبو حنيفة، وحدّ من الرأي والقياس وضيق سلطتهما، ولذلك كان من أنصاره أحمد بن حنبل، وإسحق بن راهويه، وغيرهما من كبار المحدثين، كما أنه كان أقرب إلى نفوس الحنفية من المحدثين وفقهائهم، لأنه لم ينكر القياس جملة، بل قال به، وقعد له القواعد حتى لقد عدل بعض فقهاء العراق عن مذهب أبي حنيفة إلى مذهبه، ولعل هذا التقريب بين مدرستي الحجاز والعراق وانتخابه أحسن ما فيهما، هو أوضح ظاهرة في مدرسة الشافعي، قال الرازي: «إن الناس كانوا قبل الشافعي فريقين: أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، أما أصحاب الحديث فكانوا عاجزين عن المناظرة والمجادلة، عاجزين عن تزييف طريق أصحاب الرأي، فما كان يحصل بسببهم قوة في الدين، ونصرة للكتاب والسنة. وأما أصحاب الرأي فكان سعيهم وجهدهم مصروفاً إلى تقرير ما استنبطوه برأيهم ورتبوه بفكرهم ... (فجاء الشافعي) وكان عارفاً بالنصوص والقرآن والأخبار، وكان عارفاً بأصول الفقه وشرائط الاستدلال ... وكان قوياً في المناظرة والجدل... فرجع عن قول أصحاب الرأي أكثر أنصارهم وأتباعهم»(٤).

وعلى ما نظن يعد الشافعي أكثر صاحب جهد تقريبي بين المذاهب الفقهية في الأصول والفروع معاً، فكونه أول من وضع علم الأصول، وأن عمله كان

ناضجاً، جعل الناس من بعده حتى اليوم عيالاً عليه في ذلك، وكل من بحث في الفقه عن أصحاب المذاهب بعده جروا على ما قعده وأصله، وإن اختلفوا فيما بعد في تفصيل هذا العلم حين تطور بين شافعية متأثرين بطريقة المتكلمين، ومن خصائصها تجريد صور المسائل الأصولية عن الفقه والميل إلى الاستدلال العقلي ما أمكن، وطريقة الحنفية، وهي متأثرة بالفروع، وتتجه لخدمتها وإثبات سلامة الاجتهاد فيها. وتمتاز هذه الطريقة بأخذ القواعد الأصولية من الفروع والأحكام أي أنها استقرائية.

وهذا التطور عند الشافعية في دراسة علم أصول الفقه.. في رأينا، أبعد عن منهج الشافعي نفسه الذي هو أميل إلى الحديث، وجعل هذا العلم أقرب إلى علم الكلام الذي هو أميل إلى العقل والمنطق.

٥- ومثلما كان محمد بن الحسن حلقة اتصال بين فقهاء الحديث وفقهاء الرأي، كان حلقة اتصال بين مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل، أما أبو يوسف فقد أخذ عنه أحمد، وإذا كان رحم العلم هو الذي جمع بين محمد بن الحسن والشافعي حتى جعل الأول سبباً في إنقاذ حياة الثاني بكلمة قالها في مجلس الخليفة، فإن السياسة قطعت بين الشافعي وأبي يوسف مالم يصله العلم. وبرغم ذلك فإن تأثير الشافعي ومالك في مذهب أبي حنيفة كان كبيراً، حتى إن تلاميذ أبي حنيفة أنفسهم ضيقوا كثيرا من الرأي والقياس، وعدلوا عن كثير مما كان عليه المذهب على عهد أبي حنيفة، وذلك بعد أن أخذوا عن الشافعي ومالك كثيراً من الحديث، ولئن كان مذهب أبي حنيفة قد أثر تأثيراً غير منكور في المذاهب الأخرى من ناحية الرأي والقياس، فإن تأثير مدرسة الحديث في مذهب أبي حنيفة أقوى وأكثر. وساعد على هذا ما شنع به أهل الحديث على فقهاء الرأي، وبذلك التقريب ضاقت مساحة الخلاف التي كان يراها الدارس بين أبي حنيفة ومالك والشافعي، وعن ذلك يقول أحمد أمين.(٥)

«نرى أن الفروق بين المدارس المختلفة قلت: فلم تعد بين تلاميذ أبي حنيفة والشافعي ومالك فروق كالتي كانت بين مالك وأبي حنيفة، حتى ليظن الظان للوهلة الأولى أن منحى التشريع عند الجميع واحد، ولم يكن ذلك صحيحا عند تأسيس هذه المدارس، وإنما أظهره بهذا المظهر شيء واحد هو «غلبة رجال الحديث».

وليس الأمر فيما نرى «غلبة» فلم يكن صراعا مدرسيا، ولكنه كان تأثيرا طبيعيا بين أساتذة وتلاميذ على أسس علمية محددة، فاتباع الآثار لا محيد عنه، ولا بديل من رأي أو اجتهاد، كما أن جمهور المسلمين يميلون بعواطفهم الدينية إلى نصرة السنة ورجالها، فلا عجب أن تضيق دائره الرأي والقياس، وأن تتسع دائرة الحديث، وينشط المحدثون في ميدان الفقه.

وقد دل العقل على مشروعية هذا التقريب بين المذاهب لأن الشريعة الإسلامية تدعو إلى الجماعة ونبذ الفرقة ووحدة المسلمين. والشريعة صالحة لكل زمان ومكان، وفيها العلاج لكل مشكلات الحياة ووقائعها، والأصل أن تكون رحمة وعدلا ومصلحة للناس، لا فرقة وعذاباً لهم، ولابد من الاستفادة من تراثنا العلمي الفقهي في الوصول إلى الأمثل في الأحكام والقوانين التي تنظم حياة الناس. وإذا كان الله تعالى لم يتعبدنا باتباع مذهب معين من المذاهب الفقهية، فمن الأفضل أن نستفيد منها جميعاً.

حواشي

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٤)

(٢) يقصد أبو يوسف الحديث الذي يأخذ به أهل الحجاز، وقد رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث». أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن خزيمه والحاكم وابن حبان، واعتذر الحنفية عن العمل بهذا الحديث لاضطراب متنه.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، (٢/٢١٥-٢١٦).

(٤) أنظر: أحمد أمين: المرجع السابق نفسه، (٢/٢٣٧).

(٥) أحمد أمين: المرجع السابق نفسه، (٢/٢٠٦، ٢٤١)

ديون العالم الإسلامي

الأسباب والحلول

بقلم: د. حسن محمد الرفاعي
جامعة الإمام الأوزاعي - بيروت - لبنان

كلما تفاقم حجم ديون الدول، كلما أدى ذلك إلى تفاقم مشكلاتها على اختلاف أنواعها، وتأتي في طليعتها المشكلات الاقتصادية وتلك هي مصيبة معظم دول العالم الإسلامي، حيث خطط لها لتقع في حلقة الديون من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ونادي باريس، وبالشكل الذي يخدم مصالح الدول الصناعية.

وقد كشف تقرير أصدره البنك الإسلامي للتنمية «١» أن الدين الخارجي الإجمالي للدول الإسلامية بلغ نحو «٨٨٢» مليار دولار أميركي؛ وفقاً لأحدث الأرقام لدى البنك الذي يضم في عضويته «٥٤» دولة.

وأظهر التقرير السنوي للبنك أن الدين الخارجي الإجمالي للدول الأعضاء في البنك ارتفع في نهاية العام ٢٠٠٢م بنسبة مقدارها «١,٧» في المئة ليبلغ «٨٨٢,٢» مليار دولار أميركي، بعد أن كان بلغ في العام «٢٠٠١» نحو «٨٦٥» مليار دولار، بيد أن خدمة الدين تحسنت قليلاً؛ إذا انخفضت من ١٧,٧ بالمئة العام ٢٠٠١م إلى «١٥,٥» في المئة العام ٢٠٠٢ م.

وبين البنك نفسه أن الديون الخارجية للدول الأعضاء الأقل نموا ارتفعت من «٨٦,٩» مليار دولار في العام ٢٠٠١م إلى «٩١,٥» مليار دولار في العام ٢٠٠٢م بزيادة قدرها «٥,٣» في المئة.

وحول التطورات المتعلقة بمبادرات تخفيف الديون

على الدول الفقيرة التي اطلقتها الدول الدائنة بإشراف البنك الدولي العام ١٩٩٩م؛ والتي تشمل إعطاء الدول المعنية إعفاءات أكثر عمقاً واتساعا وسرعة وتقوية العلاقة بين الإعفاءات وجهود مكافحة الفقر، أوضح البنك الإسلامي للتنمية في تقريره، أنه سيسهم في هذه المبادرة بنحو «١٣٠» مليون دولار لصالح الدول الأعضاء في البنك التي تأهلت للاستفادة من المبادرة، وعددها ١٤ دولة، حيث اعتمد مجلس إدارة البنك ترتيبات لتخفيف الديون على هذه الدول، وفي مقدمها النيجر، غامبيا، تشاد، موريتانيا، أوغندا، بوركينا فاسو، بهدف إتاحة بداية جديدة لها لخفض نسب ديونها الخارجية إلى مستوى يمكن إدارته.

أما عن العوائق التي تقف أمام مبادرات تخفيف الديون على الدول الفقيرة فيتمثل أبرزها بما يلي:

١- معاناة معظم هذه الدول من المنازعات وتراكم المستحقات المتأخرة.

٢- حاجتها إلى تجاوز الصعوبات التي تعيق برامج الإصلاح الاقتصادي.

٣- تدهور الآفاق المرتقبة للكثير من هذه الدول حول إمكان تسديد ديونها في الآجال المتفق عليها، إضافة إلى وجود التراجع الاقتصادي العالمي وانخفاض أسعار السلع التي تصدرها.

وهكذا نلمس مما تقدم أن ديون معظم دول العالم الإسلامي في حال تزايد عوضا أن تكون في حال تناقص، حيث كانت في العام ٢٠٠١ م «٨٦٥» مليار دولار أميركي، وأصبحت في العام ٢٠٠٢م / «٨٨٢,٢» مليار دولار أميركي، حسب تقرير البنك الإسلامي للتنمية، الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم المشكلات الاقتصادية في دوله.

أما عن الأسباب التي أدت، ومازالت تؤدي إلى تفاقم أزمة الديون في دول العالم النامي «التي منها دول العالم الإسلامي» فقد حددها الباحثون «٢» في هذا المجال، وتمثل أهمها بما يلي:

أولاً: العوامل التي أدت إلى

تفاقم أزمة الديون على الصعيد العالمي:

١-ارتفاع أسعار الفائدة وزيادة أعبائها الحقيقية.

٢- التغيرات في الأسعار العالمية للبترول.

٣- تدهور شريط التبادل الدولي للبلدان المدينة

٤-آثار الركود الاقتصادي في العالم الرأسمالي.

ثانيا: أهم العوامل الداخلية المسؤولة عن تفاقم أزمة الديون على الصعيد المحلي:

١- الاعتماد المتزايد على العالم الخارجي والعجز عن تعبئة الفائض الاقتصادي الممكن.

٢- فشل نمط التنمية والتصنيع.

٣- الفساد الإداري وتهريب الأموال إلى الخارج.

٤-التضخم المحلي.

٥- غياب السياسة السليمة للاقتراض الخارجي.

٦- السياسة الليبرالية الفاشلة في قطاع التجارة الخارجية والنقد الأجنبي.

ويضاف «٣» إلى تلك الأسباب غياب تطبيق مفردات النظام الاقتصادي الإسلامي الذي لم يطبق بعد في معظم البلدان الإسلامية، والذي يعتبر عدم تطبيقه سبباً رئيسا في تفاقم أزمة ديون العالم الإسلامي، مع الإشارة إلى أن تلك الدول لا تطبق أحكام الشريعة- بما له علاقة بأسباب الدين، في مجالي جمع الأموال وإنفاقها، التي تظهر في الصورة كما يلي:

أ- الإنفاق غير المبرر على المظاهر والكماليات «والمصنف ضمن الإسراف والتبذير».

ب- الاقتراض إنطلاقا من الربا، ثم استخدام تلك القروض العامة في تمويل النفقات الاستهلاكية لا الإنتاجية التي تدر دخلا يمكن من خلاله سدادها.

ج - عدم الالتفات إلى الصيغ الإسلامية المتعددة في التمويل «القرض الحسن» أو الصيغ البديلة عن التمويل «المشاركة، والمضاربة، والإجارة»، وهناك سبب له اعتباره بالنسبة لتفاقم مشكلة الدين، يتمثل بارتفاع سعر الفائدة بمعدل يفوق ارتفاع معدل النمو في الناتج المحلي الإجمالي، وهكذا تلعب الفائدة (الربا) إضافة إلى عدم استخدام صيغ التمويل المشروعة الدور الأول لاتساع مشكلة الدين العام في دول العالم الإسلامي.

وكما هو معلوم، فإن معظم دول العالم الإسلامي التي تعاني من مشكلة تفاقم أزمة الدين تعاني أيضاً من مشكلات اقتصادية عدة، لأن لتفاقم مشكلة الدين دوراً في تفاقم المشكلات الاقتصادية.

وبناء على ما تقدم؛ فإنه يمكن استنتاج المفهوم الاقتصادي القائم على توضيح العلاقة بين عنصر تفاقم أزمة الديون في معظم دول العالم الإسلامي وبين المشكلات الاقتصادية، والمتمثل بما يلي:

يؤدي ارتفاع معدل تفاقم أزمة الديون إلى ارتفاع معدل المشكلات الاقتصادية والعكس صحيح، أي أن العلاقة بينهم طردية، ويوضح ذلك ما يلي:

معدل تفاقم أزمة الديون

معدل المشكلات الاقتصادية

الحلول المقترحة اعتماد سياسة اقتصادية ونقدية تؤدي إلى تسديد ديون دول العالم الإسلامي المدينة.

هناك حلول عدة تم اقتراحها بهدف إنقاذ دول العالم الثالث من أزمة الديون، صدرت عن البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ونادي باريس، كانت معظمها تصب في مصلحة الدول الدائنة التي لها نفوذ كبير على تلك المؤسسات، نذكر منها ما أورده صندوق النقد الدولي «٤٠» الذي يتلخص فيما يلي من النقاط:

١- العمل على تخفيض القيمة الخارجية للعملة الوطنية، أي هبوط سعر صرفها الرسمي، وذلك عن طريق إقامة السوق التجارية للنقود الأجنبية.

٢- عدم اتباع سياسة الرقابة على الصرف، والسماح بالتعامل في النقد الأجنبي للأفراد والهيئات الخاصة، واتباع حرية دخول وخروج العملات الاجنبية.

٣- إلغاء أي قيود تتعلق بسياسة الاستيراد، والسماح للقطاع الخاص بأن يستورد وليس القطاع العام، وإلغاء الإجراءات المتعلقة بتشجيع الصادرات.

ويستنتج من ذلك أنه يجب أن تخضع الدولة المدينة لنمط التجارة الحرة تحت حجة ضرورة الانفتاح، والمنافسة الأجنبية، ومنع الاحتكار الداخلي التابع للقطاع العام... وبصورة أوضح على الدولة المدينة أن تتخلى عن الإجراءات التي كانت تتبعها للحد من سيطرة نفوذ النقد الأجنبي على النقد الوطني.

كما يطالب الصندوق بوجوب إلغاء أو تقليل العجز في موازنة الدولة المدينة تدريجياً لمنع التضخم أو تلاشيه تدريجياً، وذلك عبر اتباع سياسة معينة تتمثل أهم ملامحها فيما يلي:

- التقليل من الإنفاق العام بقسميه الاستهلاكي والاستثماري.

- إلغاء دعم بعض السلع التموينية التي يتأثر بها الفقراء ومحدودي الدخل وبيعها بأسعار تجارية عادية.

- تجميد الأجور وتقليل حجم التوظيف الحكومي للحد من الإنفاق.

- زيادة أسعار الخدمات

العامة والطاقة، وزيادة الضرائب على السلع والخدمات.

وينجم عن اتباع مثل هذه السياسة الضغط على استهلاك فئة الدخل المحدود، ما يؤدي إلى إيقاعهم تحت المشكلات الاقتصادية.

وعندما تقوم الدول المدينة بتنفيذ هذه السياسة، فإن هناك إمكانات لإعادة جدولة الديون أو لزيادة إقراضها، مع الإشارة إلى أن الغاية من وراء اتباع تلك السياسة تحقيق الاستفادة للحكومات والمؤسسات المالية الخاصة في الدول الصناعية الدائنة.

والآن: ما الحل الذي يجب اقتراحه؟ ويجب أن يهدف إلى الدفاع عن مصالح المدينين في دول العالم الإسلامي التي تنطوي تحت دول العالم الثالث، وحماية استقلالهم السياسي والاقتصادي، وعلى النحو الذي يحمي جهود التنمية من غول الديون، ويتجاوب مع أماني الشعوب الفقيرة في وقف تردي أحوالهم المعيشية والاتجاه بها تدريجياً نحو التحسن.

ونظراً لخطورة أزمة المديونية التي تعيشها معظم دول العالم الإسلامي، فإن الحل المقترح يدور حول ثلاثة محاور

أ- صورة الحل المقترح على الصعيد الدولي:

● ضرورة الإسراع بتكوين تجمع دولي قوي ومتماسك للمدينين (ومن جملتهم دول العالم الإسلامي) لمواجهة بأس وقوة نادي باريس. وعليه أن يسعى لتحقيق مايلي من المطالب.

- تجميد الديون لفترة طويلة (من عشر سنوات إلى عشرين سنة).
- تخفيف أعباء الديون.
- تعديل طرق تسديد الدين (مثل الدفع بالصادرات)
- إشراك الدائنين في تحمل قسم من أعباء الأزمة.

● عند تتأسيس ذلك التجمع، فعلى دوله أن تدعو لإقامة مؤتمرات دولية لمناقشة أزمة المديونية التي ترهقة.

ب: صورة الحل المقترح على صعيد دول العالم الإسلامي:

على دول العالم الإسلامي أن تسعى لتحقيق أشكال عدة من التعاون فيما بينها، تخدم جميعها القطاعات الاقتصادية لتلك الدول. الأمر الذي يؤدي إلى معالجة مشكلة المديونية أو يخفف من وطأتها.

ويمكن إيجاد أنواع عدة من أشكال التعاون، يتمثل أهمها بمايلي:

● تشجيع التبادل التجاري فيما بين دول العالم الإسلامي بشكل مباشر، ومن دون أن تمر عبر وسيط ثالث.

● تشجيع ودعم اتحاد المنتجين للمواد الأولية التي تنتجها هذه البلاد للحصول على أسعار مجزية لصادراتها، ولتثبيت القوة الشرائية لها في السوق الرأسمالي العالمي.

● تشجيع حركة تدفق رؤوس الأموال من بلاد الفائض التي تنتمي لدول العالم الإسلامي وبين بلاد العجز، في ضوء صيغ محددة ومتطورة تعود بالنفع على أطراف التعاون.

● تبادل التكنولوجيا والمعارف والخبرات العلمية الموجودة في دول العالم الإسلامي بعيداً عن وساطة وسيطرة الشركات المتعددة الجنسيات.

ج: صورة الحل المقترح على صعيد كل دولة من دول العالم الإسلامي:

يجب على كل دولة من دول العالم الإسلامي- خلال هذه المدة الزمنية - أن تعتمد سياسة الاعتماد على الذات في سبيل الخروج من مديونيتها. وهناك إجراءات عدة يطلب منها اتخاذها؛ وذلك للانتقال في الفترة الأولى من مرحلة «وضع الأزمة» إلى مرحلة «محاصرة الأزمة»، ثم في الفترة الثانية من مرحلة «محاصرة الأزمة» إلى مرحلة التخلص من الأزمة»، ويتحقق ذلك من خلال اتباع سياسات معينة يتمثل أهمها بما يلي:

● وقف الإنصياع الأعمى الذي حدث في الماضي لشروط الدائنين ولصندوق النقد الدولي، التي كان من شأنها وقف التنمية وتردي الأحوال المعيشية وتهديد الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلاد المدينة.

● ضبط بوابة التجارة الخارجية وإحكام الرقابة عليها، وذلك عبر العودة لنظام الرقابة

على الصرف بالنسبة للدول التي تخلت عنه؛ وعلى النحو الذي يكفل ترشيد استخدامات النقد الأجنبي ومحاربة الاستيراد الترفي وتهريب الأموال والثروة إلى الخارج.

• وضع سياسة رشيدة للاقتراض الخارجي، تستهدف وضع حد لنمو الديون الخارجية القصيرة الأجل، وأن تكون الديون الجديدة من طبيعة إنتاجية وليست استهلاكية، وتنويع مصادر الإقتراض الخارجي، على أن يكون ذلك من دول العالم الإسلامي الغنية إن تيسر ذلك، وأن يكون بعيدا عن الربا.

•عند التعاقد على قروض جديدة، وبخاصة ما كان منها طويل الأجل، يجب أن يحرص المسؤولون على ألا تقل فترة السماح عن فترة تفريخ الاستثمار، حتى لا تأتي مواعيد السداد في أوقات غير ملائمة، حيث لا تكون المشروعات الجديدة قد بدات في الإنتاج.

• محاربة الاستهلاك غير الضروري (الترفي)، سواءً كان ذلك في القطاع العام أو في القطاع الخاص، إذ ينبغي أن يكون واضحاً أن رفع قدرة الدولة على سداد ديونها الخارجية، مع الاستمرار في التنمية الاقتصادية، يرتبط أساساً بألا تسمح لقوى الاستهلاك المحلي بأن تلتهم كل ثمار التنمية، وإنما يجب في هذا الخصوص مراعاة عاملين أساسيين:

-أولهما :ضرورة تخصيص نسبة معينة، متزايدة في المراحل الأولى للتنمية، من الزيادة التي تحدث في الدخل المحلي، لكي تخصص لتمويل الاستثمار المحلي، وبما يعنيه ذلك من رفع القدرة الذاتية على التمويل وتقليل الاعتماد على التمويل الخارجي.

العامل الثاني: ضرورة تخصيص نسبة معينة من الزيادة التي تحدث في الدخل لكي تخصص لخدمة أعباء الديون.

ومحصلة هذين العاملين تتبلور في ضرورة أن يكون معدل الإدخار الحدي أعلى من معدل الاستثمار المطلوب.

تلك هي مفردات معالجة أزمة المديونية التي ينبغي أن تحصل خلال الأجل القصير، وتؤدي بالتالي إلى محاصرة أزمة المديونية.

• أما العلاج - الذي يحصل خلال الأجل الطويل، والذي يهدف إلى نقل أزمة المديونية من مرحلة «المحاصرة» إلى مرحلة «القضاء عليها»، التي يصبح بعدها الاقتصاد القومي قادراً على الاستمرار في طريق التنمية، ورفع مستوى معيشة السكان بالشكل الذي يسهم في معالجة المشكلة الاقتصادية من دون الحاجة إلى الاقتراض الخارجي، أو تعبير أدق،من دون الاعتماد بشكل أساسي على الموارد الأجنبية، فيتمثل بالسعي لإيجاد نموذج ذاتي للتراكم، يدفع نفسه بنفسه من داخل إطار الاقتصاد المحلي وإمكاناته، ويتحقق ذلك من خلال:

١- التعبئة القصوى والرشيدة للفائض الاقتصادي الممكن.

٢- تبني خطة اقتصادية تؤدي إلى إشباع الحاجات الأساسية للسكان.

تلك هي الحلول المقترحة لمعالجة مشكلة تفاقم الديون في دول العالم الإسلامي التي إن اعتمدت، فإنها تؤدي على الأرجح إلى الإسهام في معالجة مشكلاته الاقتصادية.

الحواشي

١- المجلة، العدد ١٢٧٥ الصادر في تاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤ ص ٣٣، وقد قامت هذه المجلة في العدد نفسه بالحديث عن الديون العربية التي تجاوزت ٦٠٠ مليار دولار ثم استطلعت اراء عدد من الاقتصاديين حول ذلك «من ص ٢٥ وحتى ص ٣٥ ضمناً»

٢- انظر كذلك: أزمة القروض الدولية- الأسباب والحلول للدكتور رمزي زكي، دار المستقبل العربي، ط١، ١٩٨٧ ص ٨١ وما بعدها.

٣- الدين العام في دول العالم الإسلامي، المشكلة والحلول، للدكتور مرسي حجازي، مجلة اتحاد المصارف العربية، العدد ٢٧٨، كانون الثاني ٢٠٠٤م، ص ٦٠ .

٤- خصائص الفقر والأزمات الاقتصادية في العالم الثالث م س ص ٣٢٠-٣٢١ .

٥- أزمة القروض الدولية الأسباب والحلول المطروحة م. س. ص ٣٠٤ وما بعدها.

التنمية والفكر التنموي الجري في المكان !!

بقلم: شاكر عبدالقادر عبدالمقصود عمر

بدءاً علينا الحذر والاحتراز من خداع وكذب الأرقام «فالأرقام تكذب وتتجمل أيضاً في غياب الوعي اللازم لقراءتها بشكل صحيح» فالارقام المطلقة منذ بداية حقبة أو عقد يجب مقارنتها بنسب مئوية سواء على المستوى الوطني أو العالمي ويجب مقارنتها كذلك بمخصصات الإنفاق على مستوى القطاعات (التعليم والصحة والبحث العلمي مثلاً مقارنة بالجيش والشرطة) وتحليل نسب الإنفاق الظاهر والمباشر مقارنة بحجم الإنفاق الخفي في الموازنة العامة للدولة مقارنة بحصيلة الدخل العام وفارق إجمالي الموارد الحقيقة لإجمالي الدخل الحقيقي لا التقديري (الموازنات من الحكومات والخطط هي حسابات تقديرية وتحليل الإنفاق الحقيقي في حاجة إلى متابعة، ولو أن ذلك حدث فإن الحكومة المسؤولة عن المرحلة ربما تكون رحلت أو..) هذا إلى جانب مراقبة القروض الخارجية والداخلية والتضخم ومعدلاته وهل أن تحسن أسعار النفط إذ -ماحدث- ناتج من تحسن داخلي أو من أوضاع عالمية وبالتالي، هل يعبر عن اتجاه للتحسن والنمو أم أنه ظرف طارئ؟ وهل التحسن نتيجة بيع أصول الدولة «التي هي أملاك الشعب» في حركة الخصخصة والانتعاش الظاهر الموقت نتيجة بيع هذه الأصول. ماالأثر والمردود الحقيقي لها سواء الاقتصادي أو الاجتماعي وبالتالي أثرها على الاستقرار الاجتماعي أو السياسي وبالتالي على مستقبل وحركة العملية التنموية برمتها، وبلغة أخرى الاتجاهات السياسية والاقتصادية والتشريعية.. لصالح من ؟!! ولأي مدى؟

ومراعاة لماسبق يمكننا المرور سريعا على الفكر التنموي خلال النصف الأخير من القرن الماضي فالتنمية كحاجة اجتماعية، سياسية أخذت تتنامى مع اتجاه الدول المستقلة لتحسين أوضاع شعوبها ولكن وسط متناقضين أساسيين.

-أحادية الرؤية والتوجه، وهو ماجعلنا في العالم الإسلامي بعامة والعربي بخاصة نلجأ إلى إحدى النظريات أو المعطيات وفقاً لقناعات ورؤى الزعيم وتوجيهاته سواء الإشتراكية أو الليبرالية وحتى الليبرالية عبرت عن نمط يحمل ثمة اشتراكية «مركزيتها» وهو ما نتج بشكل مباشر كنتاج لطريقة الوصول للحكم «الثورة».

- غياب الاستراتيجية بعيدة المدى، فسواء كانت أوضاع عدم الاستقرار الداخلي أو الخارجي أو كانت الأطر الكاذبة التي سعى النظام لصناعتها أو كانت توجهات الزعامات والقيادات لشخصنة المرحلة وشخصنة السياسات وبالتالي للمشاريع والإنجازات بحيث يبدأ كل زعيم أو قيادة جديدة من نقطة بدء مغايرة ظاهرياً وهو ما قاد لحراك وبناء ظاهري. كانت هناك تنمية أحياناً ولكن في غياب الفكر التنموي وهو ما مثله غياب الاستراتيجية وافتقاد الرؤية المستقبلية.. إلى جانب ضعف الإنجاز الحقيقي مقارنة بالمطلوب، ومقارنة بالممكن أيضا.

كانت النتيجة المباشرة لتلازم كلاً من العاملين السابقين «إلى جانب عوامل أخرى، هي العشوائية من جهة والفقدان التدريجي لمبررات وجود وشرعية النظم من جهة ثانية، وكنتاج مباشر لغياب المصداقية بين التوجه والسياسة المعلنة والحركة على الأرض من منظور واقعي وتناقض القول والفعل في أحيان كثيرة، ومن جهة ثالثة، ولعله العامل الأهم هو الدور المحوري

والمركزي لسلطة متناقضة في ظروف متناقضة حيث كانت السلطة الوطنية لا تعير وزنا للمواطن، والتوجه للبناء والاستقلال الوطني كان في معزل عن العلماء والمثقفين والعمل للشعب لم يكن بالشعب أو من خلاله وهو ما قاد الى انفصال تدريجي، لقد تعلم الجميع أن يهتم كل بإموره الخاصة وألا يعير التفاتاً كبيراً للتصريحات والسياسات وهو ما أدى في صورته النهائية إلى انفصال حقيقي بين ثلاثة أطر أو دوائر أساسية في المجتمع «١» السلطة أو القيادة صانعة القرار «٢» الشعب والقوى الشعبية الفاعلة (المجتمع المدني) «٣» العلماء والمفكرون خارج السلطة.. وعالميا كان التناقض بين التصريحات والأقوال والقدرات الفعلية وعدم اتضاح الصورة الحقيقية إلى جانب التناقض بين رغبات القوى الدولية وفروض النظام الدولي والزعامة والإمكانية الفعلية التي تعكس القدرة على الحركة والمناورة، كل هذه العوامل مجتمعة بصفة رئيسة أدت الى حركة أشبه في توجهاتها بالسلوك التعليمي من خلال الصواب والخطأ، ليس على مستوى التنظير والفكر التنموي وحسب بل على مستوى السياسات والتشريعات والممارسات الفعلية كذلك، وهو ما قاد لتوجهات أقرب في تحليلاتها النهائية إلى أن تكون خطوة للأمام وخطوتين للخلف بحيث نجد أننا بعد خمسين عاماً من الثورة لنا أن نتوقف للتساؤل والبحث، ماذا بقي من الثورة؟ بل ربما أسوأ في بعض القطاعات والممارسات أيضاً!

والأمر الأهم والأعمق في الدلالة هو تشابه البدايات واختلاف النهايات بين بعض الدول العربية «مصر بصفة خاصة» وبعض دول جنوب شرق آسيا بل الهند بظروفها الاقتصادية والسياسية والعرقية والدينية والسكانية (لا أتحدث عن كوريا أو اليابان أو حتى عن الصين ولا عن النمور الثلاثة)، وبعيدا عن الاتجهات الطوباوية التي عادة ما تنتهي بجلد الذات وهو مالايمكن أن تقصد إليه هذه الورقة رغم أن بعضهم لن يرى فيها سوى ذلك، سيرى بعضهم الآخر هذه الأسباب ويعطي بعضها أهمية نسبية مقارنة بالأخرى، بدءاً من هشاشة المجتمع المدني وغياب الحرية وحركات الإقصاء الثقافي والفكري وتهميش المثقفين والمؤسسات البحثية والعلماء في حين ستبرز النظم ومنظّروها الصراعات الإقليمية والدولية والنزاعات المسلحة وهشاشة وضعف البنى الهيكلية والإرث الاستعماري والزيادة السكانية ونوعية السكان ومهاراتهم ومعارفهم.. فضلاً عن الإلحاق الذي يجعل كل فترة أو حقبة سلطوية تلقي بالأعباء واللوم على الحقبة السابقة، وبدورهم فإن المثقفين سيتحدثون عن هشاشة الدور والحيز المعطى لهم من جهة وغياب الوعي الثقافي والحضاري من جهة أخرى فضلاً عن الأحاديث الجانبية الخاصة بكل فئة أو نمط ثقافي، وعلى سبيل المثال سيبرز علماء الاجتماع وعلماء الدين خلل منظومة القيم والبناء الاجتماعي، وسيرى السياسيون أن الاتجاه لمركزية السلطة والاختيار للولاءات من دون الكفاءات هي السبب الأهم.. والحقيقة أن الأثر التعزيزي لجميع هذه العوامل وغيرها شيء ذي دلالات مركبة تقود حتما إلى دوران مستمر في دائرة مفرغة، وهو ماسميته بالجري في المكان.

ذلك أننا وكما أسلفنا لدينا ثلاث دوائر أساسية ترتبط كل منها بالكثير من الدوائر الفرعية وتكاد أن تكون كل منها مغلقة على مسلماتها ومضامينها الخاصة، وهي: السلطة وولاءاتها، والمجتمع المدني أو الشعب، والعلماء والمثقفون خارج السلطة وكل دائرة من هذه الدوائر لها معاييرها وقناعاتها وأولوياتها ورؤاها ومنظروها أيضا، وداخل كل دائرة هناك الاتجاهات الثقافية والفكرية والاقتصادية والحضارية المختلفة، وهناك داخل كل اتجاه مستويات مختلفة من التفاعل والاستجابة، كذلك من التوجه اليميني أو اليساري أو الوسطي الخ... إن المسألة برمتها أبعد ما تكون عن تحديدات ومعايير جامدة ولكنها لا تحمل دلالة على توافق وانسجام أيضا والى جانب ذلك هناك المحددات والأطر الطبقية والمجتمعية أو الفردية سواء السلوكية أو الفكرية أو النفسية أوالشعورية.. وهو ما يعني تباين حتمي في المنظور والتوجه والرؤى بحيث يتعذر حتما الإحاطة به أو حتى الإشارة لمعالمه بشكل محدد وهناك فارق كبير بين الاختلاف وبين الشتات والعبث!

وحتى يمكننا السعي لنضع أيدينا على جوهر المسألة برمتها ومنبع الخلل فيها، فإن المسافة الفارقة بيننا وبين الآخرين يمكن إدراكها بعيدا عن التعليلات والتنظيرات المتباينة إذا أدركنا الملاحظات التالية وما تقود إليه:

١- جميع الدول التي نتحدث عن بداياتها المتشابهة بدأت بدايات بسيطة بخطوات تحمل توجها استراتيجيا ورؤى بعيدة المدى من الواقع وخطوة خطوة في حين كان توجهنا الأساسي «من الإبرة إلى الصاروخ» وهو في جوهره توجه دعائي غير عملي وغير واقعي.

٢- في حين اتجهت هذه الشعوب والنظم للعمل اتجهنا بشكل أساسي للتحليل من جهة والتعليل والتبرير من جهة أخرى وفي عبارة دالة لأحد شيوخنا «فقد كنا أمة كثر فيها الجدل وقل فيها العمل». فلم نتوجه

للمنافسة في الفعل والعمل بدلا من الصراع حول الكلمات والرؤى والفكر.

٣- جميع تجارب التنمية التي أمكنها تحقيق قدر معقول من النجاح في العالم الثالث اتجهت لتوظيف الموروث القيمي والثقافي للشعب في حين سعينا لإقصاء موروثنا واستيراد النظريات والاستراتيجيات والخطط والأساليب والنماذج كما استوردنا الأدوات والآلات!

٤- اتجهت النظم لفرض منظورها ورؤاها وهو ما أدى عملياً ونظرياً لإقصاء وخروج وعدم مشاركة سواء من جانب العلماء الذين أصبح قطاع كبير منهم - ورغم الزيادة العددية - مجرد موظفين أو من جانب الشعب الذي تنامى لديه شعور بهشاشة وعدم قيمة الدور الذي يمكن أن يلعبه أو يؤديه.

٥- التنمية في جوهرها فعل تكاملي، بأوسع معاني الكلمة ومضامينها، يلزمها بالضرورة التقاء وتقابل وتكامل الدوائر الثلاث فلا يكفي إحداها بل لا يكفيا ثنتان منها من دون الثالثة، فقد علمتنا خبرة الماضي أن التنمية السلطوية (سادية) والتنمية الشعبية من دون رؤية تنظيمية من السلطة وتخطيط واستراتيجية من قبل المنظرين والعلماء (عشوائية) وبديهي أن الفكر المجرد الذي لا يلتحم بالناس وحاجاتهم ويسعى لاقناعهم وينبع منهم لا يؤدي لشيء فهو «مجرد عبث» رغم أنه قد يكون ذا مظهر خلاب ويحمل جوانب طوباوية حالمة في أحيان كثيرة «والنموذجان البارزان كحدي نقيض هنا هما نموذج «محمد علي» وجمال عبدالناصر».

٦- علينا أن نعترف صراحة أنه كما يوجد أنصاف مثقفين وأنصاف علماء يوجد أنصاف سياسيين.. وإلى جانب هذا الخلل

النوعي هناك خلل وظيفي ناتج من الاتجاه المتنامي والمستمر للتبرير والتعليل من دون الاتجاه للعمل والكذب على الذات رغم وضوح الحقيقة للجميع. ورغم كل السلبيات الظاهرة فإن إعادة بناء الثقة المفتقدة بين السلطة والشعب من جهة والسلطة والعلماء من جهة ثانية ودعم الحركة التي تراعي قناعات وتوجهات ورؤى الأطراف الثلاثة من جهة أخرى أمر ليس واجباً أو حتى حتمياً، الأهم أنه ممكن شرط التخلي عن بعض التوجس والانغلاق والبحث عن مشترك قابل فعلاً للممارسة والتحقيق.

٧- هناك خطأ رئيس في لهجة الخطاب السلطوي وتوجهاته يتمثل في شقين: الإفراط الدعائي والتبريري والمنُ السياسي غير المبرر، ففي حين يعرف الجميع أن خيار التوجه للداخل يكاد يكون توجها إجباريا تفرضه ظروف سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية فضلاً عن أثر المتغيرات الدولية والتكنولوجية، وهو مايفرض التوجه للداخل كسياسة مرحلية فإن التوظيف الدعائي الزائد للإصلاحات الحذرة، بل شديدة الحذر يجب أن يوازى بينه وبين تطلعات الجماهير والنخب من المثقفين والعلماء خارج السلطة وهي أكثر من ذلك بكثير.

٨- يجب أن يوازي بين طبيعة المرحلة على المستوى الدولي وتداعياتها الداخلية ومايفرضه الحس السياسي من حذر وشك وتوجس وريبة وبين الحرية والمرونة اللازمة للإبداع وهو ما يعني تقديم دعم حقيقي للمثقفين والعلماء ليس مادياً وأدبياً فقط بل إعلامياً للإسهام في تثقيف الشعب وهو من منظور بولوتيكتيكي خطاب تعبوي مخطط وهادئ وتدريجي وحذر.

٩- الإشكالية المحورية هنا: هي غياب الاستراتيجية وهو ما يعني عمليا غياب الميراث المشترك الذي يلازم جو عدم الثقة والتوجس والشك من الأطراف الثلاثة، وهذه مسألة في حاجة إلى دراسات جادة وإلى عمل مشترك على الأرض لبناء هذه الثقة وتقديم الحلول معا فالخطأ الثقافي المتمثل في انتظار الحال المثلى من دون السعي إلى التواصل والحل في إطار الممكن والواقعي لايقل فداحة وخطلاً عن الخطأ السياسي المتجاهل للحل المناسب في الوقت المناسب لأنه جاء من جهة ما.

١٠- إننا جميعا مسلمون سواء كان ذلك بالانتماء العقدي أو بالانتماء الثقافي وعلينا أن نوازن في مشاعرنا ومدركاتنا بين الإسلام الدين، كأسس وقيم وقواعد وبين الإسلام من خلال سلوك بعض المسلمين التنفيري والاستفزازي في أحيان كثيرة وسنجد عند ذلك أننا نرفض السلوك الشاذ بغض النظر عن الانتماء العقدي لصاحبه وهو مايفرض علينا ببساطة السعي للمعرفة الجادة لأن عدم المعرفة أو المعرفة المشوهة لا تسهم إلا في زيادة الانشطار والفرقة، وهو الخطر الداهم الذي طالما عانينا منه ومالم يدفعنا الشعور بالخطر الذي بات واضحا للجميع للسعي للتواصل، رغم إقرارنا بأننا مختلفون، فمتى نسعى لذلك؟!

إنها دعوة لدعم الانتماء وبناء الثقة، دعوة للتواصل، ورغم كل شيء، دعوة للمعرفة!!

أ.د. حامد الرفاعي:

الحوار مع الآخر يقوم على أساس الشراكةفي مهمة الاستخلاف في الأرض

حاوره - د. محمد الأمين ولد سيد المختار

حوار الحضارات أم صراع الحضارات ذلكم هو الإشكال المحوري الذي ظل يطرح بحدة منذ العقد الأخير من القرن الماضي ولايزال صداه يتردد في الساحة الفكرية والإعلامية اليوم .. ويزداد الأمر تعقيدا عندما يتعلق الأمر بطبيعة العلاقة بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارات الأخرى وبصفة خاصة الحضارة الغربية، هل هي علاقات صراع أم حوار وما نقاط التلاقي والخلاف بين كل من الحضارتين؟

ولعل حدة هذا الإشكال ومحوريته هي التي جعلت منه قضية مركزية شغلت حيزا مهماً من اهتمام المفكرين والعلماء في مختلف مناطق عالمنا الإسلامي وخصوصا في ظل الحملة القوية التي يتعرض لها الإسلام اليوم مستهدفة النيل من مبادئه السمحة وقيمه النبيلة ومشككة في نوايا المؤمنين به والعاملين على نشر دعوته وإبلاغ رسالته إلى الناس جميعاً، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وللحديث عن مختلف جوانب هذه القضية الشائكة والمشغل الفكري المهم الوعي الإسلامي التقت الأستاذ الدكتور «حامد أحمد الرفاعي» رئيس المنتدى الإسلامي العالمي للحوار والأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي ورئيس لجنة الاتصال الكاثوليكي (الفاتيكان) والعضو في هيئة رئاسة المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وهو واحد من فرسان هذا الشأن العارفين بشعابه ومنعرجاته فكان لنا معه هذا الحوار:

العمل الخيري والدعوي الإسلامي يواجه اليوم تحديات كبيرة وخصوصا بعد أحداث ١١ سبتمبر واتهام بعض المنظمات الخيرية الإسلامية بتمويل الحركات المتطرفة كيف ترون واقع العمل الخيري الإسلامي اليوم؟

هناك فعلاً تحديات كبيرة تواجه العمل الخيري الإسلامي وهي في الواقع تعود لفترات سابقة لـ«١١ سبتمبر» ذلك أن هذا العمل بدأ بالفعل ينافس المنظمات الخيرية العالمية وتحديدا المنظمات التي تتخذ من العمل الخيري الإنساني غطاء للتبشير والدعوة لدين معين، ولعل ذلك هو ما يفسر الهجمة الشرسة التي يواجهها العمل الخيري الإسلامي اليوم وإطلاق التهم عليه جزافا، وهنا نشير إلى أن مايميز العمل الخيري الإسلامي عن غيره ، وهذا يجب أن يكون واضحاً في أذهان القائمين على هذا العمل، إنه لا يخضع للاعتبارات السياسية أو الدينية، فهدفه إنساني أولا وقبل كل شيء يتلخص في التخفيف من معاناة الإنسان أيا كان بغض النظر عن جنسه أو عرقه أو دينه وذلك لتحقيق الأخوة الإنسانية. ونذكر هنا قصة «عمر بن الخطاب» ﷺ مع الكتابية التي أغاثها بعد أن تقطعت بها السبل وانقذها من هلاك محتوم، فلما رأى علامات الارتياح تنوح على قسمات وجهها حدثته نفسه بأن يدعوها للإسلام لينقذها في الآخرة كما أنقذها في الدنيا، فعرض عليها الدخول في الإسلام إلا أنه تفاجأ برفضها الشديد. وذكر عنه أنه فزع من هذا الموقف أشد الفزع وظل يؤرقه طوال حياته وذلك مخافة أن يكون قد مارس عليها إكراها في الدين، وفي الاطار عينه كذلك نذكر موقف الرسول ﷺ مع الجنازة التي مرت عليه فوقف إجلالاً لها فهمس في أذنه أحد الحاضرين بأنها جنازة

يهودي قرد عليه بقوله «أليست نفساً» هكذا كان هدي الرسول ﷺ وصحابته في التعامل مع الآخر، وفي العمل الخيري والدعوي بصفة عامة، ومن ثم يجب الاقتداء بهم في هذا المجال ونحن هنا لانرفض أن يكون الهدف من العمل الخيري الإسلامي دعوة الناس للإسلام لكن يجب ألا نربط هذا العمل بدخولهم في الإسلام حتى لا نقع في الموقف عينه الذي نعيبه على الهيئات الخيرية الغربية والتبشيرية منها على وجه الخصوص.

هل يعني ذلك أنكم ترون أن العمل الخيري الإسلامي يجب ألا يستهدف المسلمين وحدهم وإنما يتجاوزهم إلى ساحات أخرى ومناطق أخرى غير إسلامية.

لاشك أن الاسلام يعطي الأولية للأقربين من المسلمين إلا أن ذلك لا يعني ان يقتصر العمل الخيري الإسلامي على الأوساط الإسلامية فقط بل إن الأولية قد تكون لغير المسلمين في بعض الحالات مثل حالات الكوارث والأوبئة والأخطار التي تهدد مناطق من العالم في لحظات معينة، وذلك لأن الهدف الأساس من العمل الخيري هو اسعاد الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض واستعمره فيها بغض النظر عن جنسه أو عرقه أو دينه.. وقد جعل الإسلام هذا الأمر عبادة ففي الحديث «والله لا يؤمن من بات شبعان وهي جواره جائع».

والحديث هنا لم يحدد عقيدة هذا الجار، فهلا نربطنا بالمسلمين رابطة الأخوة الإسلامية ورابطة لجوار ورابطة الأخوة الإنسانية في حين أننا نرتبط مع غير المسلمين برابطة الأخوة الإنسانية والجوار في بعض الحالات.

● إذا تجاوزنا ذلك إلى مسألة الحوار مع الآخر، وبصفة خاصة الآخر المسيحي او ما يسميه بعضهم بالتقارب المسيحي- الإسلامي وبوصفكم رئيسا للمنتدى الإسلامي العالمي للحوار، كيف ترون أفق هذا الحوار او هذا التقارب؟

- أولاً أسجل اعتراضي على عبارة «التقارب المسيحي- الإسلامي» وذلك لأن هذا التقارب مستحيل في مجالات معينة وتحديداً في مجال العقيدة، فنحن المسلمين نؤمن بأن ديننا الخاتم المهيمن على الديانات الأخرى، وأنه هو وحده الحق والمسيحيون بلا شك يعتقدون أن دينهم هو الحق، وكثيراً ما كنت أركز في أثناء حلقات الحوار التي نجريها مع أصحاب الديانات الأخرى على أن المطلوب ليس هو أن يتنازل المسلمون عن جزء من عقيدتهم ودينهم ليتقبلهم أصحاب الديانات الأخرى ولا أن يتنازل أصحاب الديانات الاخرى عن بعض من عقائدهم ليتقبلهم المسلمون، وبالتالي فإن التقارب في مثل هذا النوع من القضايا مستحيل.

ما يجب أن يتجه إليه الحوار هو قضايا أخرى تتعلق أساساً بالمشترك الإنساني وخصوصا في المجالات الإنسانية المفتوحة التي يمكن أن نصل فيها إلى كلمة سواء، وبخاصة المسائل المتعلقة بعمارة الأرض بالبناء، بخدمة الإنسان بالبيئة، وأعتقد أن هذا مجال رحب يمكن أن يكون الحوار فيه مجديا ويمكن أن نصل فيه إلى كلمة سواء، والقضية في النهاية هي قضية تعارف مصداق لقوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ «الحجرات - ١٣».

والتعارف هو الوسيلة الأولى والخطوة الأولى للحوار وأذكر هنا أن أحد الإخوة سألني عن فتوى لأحد مشائخنا في فضائية إسلامية أفتى فيها بعدم جواز معايدة أهل الكتاب والكفار وموادتهم في مناسباتهم واعيادهم، فقلت له إن هذا الكلام غير صحيح وهو مجرد رأي شخصي مغلوط فنحن عندنا نص قرآني واضح وهو قوله تعالى: ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾ «الممتحنة -٨».

وهذا صريح في أن لنا مع هؤلاء في حال السلم البر والاقساط اليهم أما الذين يقاتلوننا ويخرجوننا من ديارنا فلنا أن نقاتلهم ونرد عليهم بالمثل وهناك نص قرآني آخر يؤكد هذا الرأي وذلك في قوله تعالى: ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنو الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ «المائدة -٨٢».

وبالتالي فما ذكره هذا الشيخ غير صحيح ولا يجوز أن نقول هذا الكلام بل بالعكس المطلوب هو أن يزوره وأن يطيب خاطره فهو أخ في الإنسانية وقد يكون في حالات معينة وخصوصاً في البلدان العربية والإسلامية التي يوجد فيها مسيحيون، جار ومواطن له حقوق الجوار وحقوق المواطنة. وهنا نشير إلى أن هؤلاء يخلطون بين المفاصلة العقدية أو البراء العقدي وما ينبغي أن تكون عليه العلاقات في المجالات والدوائر الأخرى، والبراء العقدي يقوم على أن أتبرأ من عقيدتك وأنت تتبرأ من عقيدتي، أنت في نظري كافر وأنا في نظرك انت كافر، والوصف بالكفر بحد ذاته ليس سبا فكلمة كافر أو مصطلح الكفر هو مجرد وصف حال معينة، ومن حسن الموافقات أن كلمة كفر تعني الغطاء في اللغة العربية والانكليزية، والكفار عندنا الزراع الذين يكفرون الحب، والكافر هو الذي غطى بصره عن الحقيقة

مايميز العمل الخيري الإسلامي أنه لايخضع للإعتبارات السياسية أو الدينية

فإذا قلت لك أنت كافر فمعناه أنك غطيت الحقيقة التي عندي عنك وأنا في نظرك غطيت علي الحقيقة التي عندك، وورد في سورة الكهف ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ «الكهف - ١٠١».

فكلمة كافر إذا ليست مسبة والله يأمرنا بألا نسب ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ الانعام -١٠٨».

فكيف يكون اطلاق الكفر فيه مسبة وهو وارد أكثر من مرة في القرآن، فالكفر هو مجرد وصف حال، وكنت قلت هذا الكلام في حوار مع قادة بعض الكنائس وقد ارتاحوا لهذا القول كثيرا وقالوا بأنهم للمرة الأولى يسمعون مثل هذا الكلام.

هكذا ينبغي أن يكون طرحنا لهذا النوع من المواضيع طرحا واعياً يبتعد عن أجواء التشنج، والمظالم التي تعانيها أمتنا الإسلامية اليوم، فلا شك أن المسلمين ظلموا وأسيئ إليهم لكن ينبغي ألا نجعل من هذه المظلمة والإساءات غطاءا لحقائق الإسلام ويجب على الذين يتحدثون للناس سواء في الفضائيات أو غيرها أن يفصلوا حالتهم النفسية عن الاسلام وأحكامه وأن لايقوموا بلي أعناق الآيات والأحاديث لتخدم حالتهم النفسية المتشنجة.

في ظل الواقع الذي تعيشه اليوم الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية كيف تتصورون أن يكون الخطاب الإسلامي في هذه الأوساط؟

الخطاب الإسلامي في هذه الأوساط يجب أن يكون خطابا تعايشيا خطابا يركز على المشترك الإنساني، ذلك أن الآخر بالنسبة لنا سواء كان في الغرب أو في الشرق مسيحيا أو يهوديا أو هندوسيا... الخ هو أخ لنا في الإنسانية أولا وشريك لنا في الحياة ثانياً.. وشريك لنا ثالثا في المهمة الإنسانية العظمى وهي عمارة الأرض، فالله تعالى يقول ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ «البقرة -٣٠».

● الغلو والتطرف لايحل مشاكل الأمة

ولم يقصر الأمر على المسلمين بل شمل الإنسان أيا كان لونه أو جنسه أو معتقده، ويقول كذلك ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ «الإسراء- ٧٠». ولم يقل أنه كرم المسلمين فقط، وإذا كان الله جل جلاله كرم هذا الإنسان فهل يجوز لنا أن نسيء إليه؟ والله يعلم أن هذا الإنسان الذي كرّمه سيكون يهوديا او مسيحيا او مجوسيا أو بوذيا فهذا معلوم بعلم الغيب ﴿ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ «هود-١١٨».

إذا يجب أن نتعامل مع هذا الآخر من منطلق الأخوة الإنسانية وعلى أساس أنه كرمه الله سبحانه وتعالى ومن منطلق أنه شريك لنا في مهمة الاستخلاف في الأرض لإقامة العدل وعمارة الأرض وتحقيق الحياة وسلامة البيئة وسلامة الأرض.

﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ «الحجرات - ١٣» ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ «البقرة-٢٥١» ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ «المائدة -٢»، ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ «الزخرف - ٣٢»، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ «الأنبياء -١٠٧»، فهل اليهود والنصارى والمجوس ليسو من العالمين؟ بعضهم يرى أن الرحمة هنا معناها أن أبلّغهم الإسلام وهذا معناه أننا نريد أن يدخل الناس كلهم في الإسلام والله يقول إنه لا يريد ذلك ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ «يونس-٩٩»، هذه الرحمة للمسلم وغير المسلم، طبعاً لاشك أن الرحمة الإنسانية عندما تلتقي مع الرحمة الإيمانية، فستكون قمة الرحمة لكن إذا لم يكن الشخص مؤمناً فعليك أن ترحمه كإنسان، خلق من خلق الله كرمه الله «أليست نفسا» يعني كرمها الله لعينها، هذه المعاني نحن في حاجة لإبرازها لأن شبابنا اليوم مشوشون وضعوا مسألة العقيدة نصيب اعينهم وأصبح معيارهم الوحيد إما كافر وإما مؤمن، وهو أمر لا ينبغي فكافر ومؤمن هذه صحيحة لكن هناك دوائر أخرى لماذا نغلقها خصوصا أن دائرة العقائد هي أصغر دوائر الإسلام والدوائر الكبرى هي دائرة الشريعة ودائرة الرسالة، فلماذا نغلق هاتين الدائرتين لحساب الدائرة الصغيرة، وهنا أؤكد على أنه يجب علينا التركيز على البعدالإنساني، والذي يعني أننا شركاء فيما أسميه أنا العبادة العمرانية، ذلك أن العبادة عندي نوعان عبادة روحية نختلف فيها مع هذا الآخر وعبادة عمرانية لا نختلف فيها معه، فالفيزيائي والكيميائي والطبيب والنجار هؤلاء وغيرهم هم فرسان العبادة العمرانية وقد يكون طبيب مسيحي أكثر علماً في مهنته من طبيب مسلم ونجار يهودي متمكناً في حرفته أكثر من نجار مسلم، فهذه العبادة العمرانية لها جزاؤها في الدنيا والله سبحانه وتعالى يقول ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ «هود - ١٥»، طبعا الآية تقول ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ «هود -١٦».

أما الدنيا فيأخذون حقهم منها وهم لا يبخسون، والعبادة العمرانية هذه الرجال فيها والمتعبدون فيها هم أصحاب العقول، أصحاب الاختصاص لا الناقمون عنها.. والعبادة العمرانية نحن شركاء فيها وهي التي ينبغي أن نتعاون فيها، طبعا بالنسبة لنا نحن المسلمين نسعى إلى أن تلتقي عبادتنا العمرانية مع عبادتنا الروحية ونأخذ الأجرين في الدنيا والآخرة.

تصنيف الصخور في القرآن الكريم

بقلم: مصطفى يعقوب عبدالنبي

يعد التصنيف أو التقسيم Classification من الأمور الواجب دراستها في مختلف العلوم Sciences، ولاسيما تلك العلوم التي تتعرض لدراسة الأعيان مثل علوم النبات والحيوان والمعادن والصخور الخ... ، ومن مميزات التصنيف أنه يتدرج من العام إلى الخاص وذلك تبعاً لبعض الأسس العلمية التي يبنى عليها الهيكل التصنيفي وبالتالي تسهل دراسة مثل هذه الأعيان مجموعات أو فرادى. وعلى هذا فالتصنيف من ألزم الأشياء في دراسة العلوم الطبيعية، فقبل البحث في الجزئيات يجب أن تدرس الكليات أولاً، متمثلة في أطر تصنيف تلك الجزئيات تمهيداً لدراسة المزيد من التفصيلات.

وعندما نأتي إلى تصنيف الصخور سنجد أنه معروف أن سطح القشرة الأرضية يتكون في معظمه من الجبال، والجبال لفظة تطلق للدلالة على العموم دون الخصوص لسبب بسيط للغاية، هو أن كل ما هو فوق سطح الأرض يمكن اعتباره من الجبال. جاء في «لسان العرب» لابن منظور: الجبال، اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطواد، أما ما صغر وانفرد فهو من «القنان والأكم».

والحديث عن الجبال هو بالضرورة حديث عن الصخور، لأن الصخور هي أصل الجبال وقوام مادتها ومحتواها بينما تنصرف لفظة «الجبال» إلى المعنى الذي يؤديه الشكل وتدل عليه الهيئة. وفي معظم الأحوال تكاد كلمة «صخور» ترادف في معناها كلمة «جبال» لأن المراد بالجبال في هذه الحال ما تحويه من صخور، ولأن الصخور هي الوحدة البنائية التي تتكون منها الجبال.

وعندما نأتي إلى تصنيف الصخور نجد أن هناك أكثر من تصنيف للصخور حيث يستند كل تصنيف إلى أساس من الأسس العلمية، ومن أشهر التصنيفات وأكثرها تداولاً في كتب الجيولوجيا، بصفة عامة وفي علم الصخور بصفة خاصة، ذلك التصنيف الذي يقوم على أساس كيفية الوجود Mode of occurrance حيث تقسم الصخور على هذا الأساس إلى ثلاثة أنواع هي:

١- صخور نارية Lgneous Rocks

تكونت نتيجة لتبريد وتصلب المادة الصخرية المصهورة في جوف الأرض والتي يطلق عليها الصهير Magma ومن أشهر الصخور النارية الجرانيت Granite والبازلت Basalt.

٢- صخور متحولة Meta-morphic Rocks

وهي صخور تكونت من صخور سابقة التكوين سواء نارية كانت أم رسوبية وهي ناتجة من فعل تأثير الحرارة أو الضغط أو الحرارة والضغط معاً، ومن أشهر الصخور المتحولة الرخام Marble والإردواز Slate.

٣- صخور رسوبية Sedimentary Rocks

وهي صخور تكونت من صخور سابقة ظهرت نتيجة لعمليات طبيعية شتى مثل التجوية Weathering بنوعيها، الميكانيكية والكيمياوية، والنقل والترسيب ومن أشهر الصخور الرسوبية، الأحجار الجيرية والصخور الطينية.

وعلى الرغم من أن هذا التقسيم هو من أكثر تقسيمات الصخور شهرة وتداولاً في مراجع علوم الجيولوجيا إلا أنه ليس بالتقسيم الوحيد للصخور، فهنالك أكثر من تقسيم للصخور غير أن الأساس العلمي الذي يستند إليه هذا التقسيم أو ذاك يختلف عن الآخر في وجه من الوجوه.

وإذا اتخذنا من تصنيف الصخور النارية مثالاً لتعدد التصنيفات والتقسيمات فإننا نجد أن هناك أكثر من عشرة تقسيمات، إذ أن كثرة المدارس العلمية قد تبعها بالتالي كثرة التقسيمات، حيث يستند كل منها إلى أساس علمي ما.

ومن الحقائق التي تبدو غريبة بعض الشيء والتي لا تزول غرابتها بغير التحقيق والمراجعة، أن القرآن الكريم كان أول من أشار الى تصنيف الصخور تصنيفاً علمياً مستندا في ذلك إلى أساس علمي سليم قد أثبته أخيراً العلم الحديث.

ولكي نزيد الأمر تفصيلاً نقول: إن القرآن الكريم قد تحدث عن نوعين من الجبال (الصخور) على أساس وضعهما وامتدادهما في الأرض، وهذين النوعين هما الجبال ذات الأوتاد والجبال الرواسي.

فمن الآيات الكريمة التي

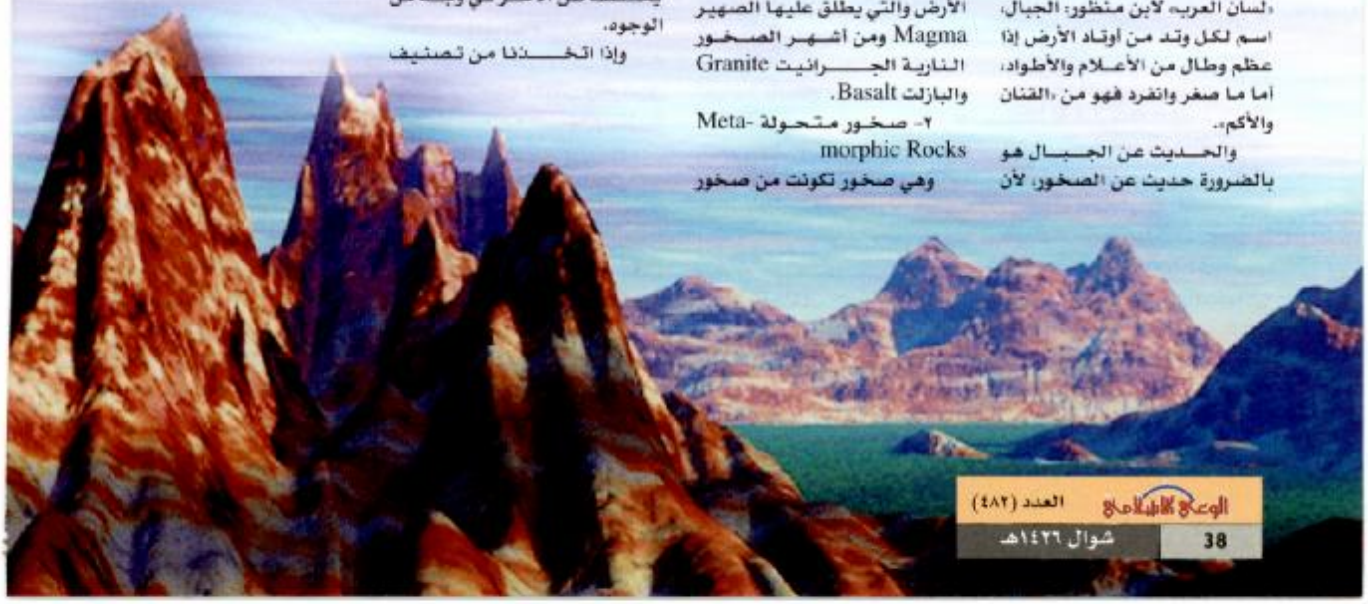

تتحدث عن الجبال ذات الأوتاد قوله تعالى: ﴿والجبال أوتادا﴾(النبأ، ٧)

ومن الآيات الكريمة التي تتحدث عن الجبال الرواسي قوله تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا﴾(النحل، ١٥)

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم﴾(الأنبياء، ٣١)

وقوله تعالى: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها﴾(فصلت، ١٠)

ولعل الكشف عن الدلالة اللفظية لكل من «الجبال ذات الأوتاد» و«الجبال الرواسي» هي خير تمهيد لبيان الوجه العلمي المراد بكلمتي «وتد» و«رواسي».

جاء في «لسان العرب» لـ«ابن منظور»: «الوتد، ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من الخشب والجمع أوتاد ووتد الوتد ثبت الخ... ، وجاء في «اللسان» أيضاً: رسا الشيء يرسو رسوا وأرسى ثبت، ورسا الجبل يرسو ثبت أصله في الأرض والرواسي من الجبال، الثوابت الراسخ الخ...».

ومعنى هذا أن الصخور نوعان، نوع غائر في الأعماق وهو الذي يعبر عنه بالجبال ذات الأوتاد، ونوع قليل العمق وهو الذي يعبر عنه بالجبال الرواسي.

(الأول) الجبال ذات الأوتاد: وهي عبارة عن صخور ذات أعماق بعيدة داخل القشرة الأرضية، ويشمل هذا النوع من الصخور كلاً من: الصخور النارية والصخور المتحولة. الأمر الذي أدى إلى جمعهما معاً في مصطلح علمي واحد يطلق عليه صخور القاعدة Basement Rocks . فالصخور النارية توجد في الطبيعة على هيئة أشكال مختلفة وأحجام مختلفة، ويطلق عليها بالتالي أسماء مختلفة، غير أنها تشترك جميعها في شيء واحد وهو أنها تصل إلى أعماق بعيدة لا قرار لها داخل القشرة الأرضية.

أما الصخور المتحولة فتوجد في أماكن مجاورة لتلك الأشكال السابقة لسبب بسيط للغاية، وهو أن العوامل التي تؤثر في عملية التحول ذاتها ثلاثة عوامل، الأول: الحرارة أو فيما يعرف بالتحول التماسي Contact Meta-morphism الحراري، والثاني: الضغط أو فيما يعرف بالتحول الديناميكي Dynamic Meta-morphism ، والثالث: الحرارة والضغط معاً، أو فيما يعرف بالتحول الإقليمي Regional Metamorphism.

والسبب في هذا التحول أن الكتل الكبيرة من أشكال الصخور النارية قد تداخلت - بما تحتويه من سائل صهيري - في الصخور المجاورة فأثرت عليها بحرارتها فغيرت من خصائصها وأحالتها بالتالي إلى صخور متحولة. كما أن الضغط وهو من عوامل التحول ناتج من كون هذه الصخور لها أعماق بعيدة إلى حد ما داخل القشرة الأرضية، وبالتالي فهي واقعة تحت ضغط الصخور التي تعلوها.

نخلص من هذا القول: إلى أن كلاً من الصخور النارية والصخور المتحولة مرتبطان مع بعضهما بعضاً أشد الارتباط في أكثر من وجه، إذ يجمعها مصطلح علمي واحد وهو «صخور القاعدة»، كما أنهما يشتركان

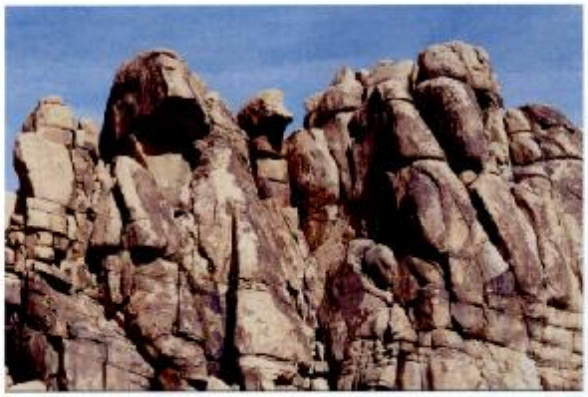

في كونهما من الصخور ذات الأعماق البعيدة في القشرة الأرضية، إذاً فلو بحثنا عن وصف مناسب لهذين النوعين من الصخور لما وجدنا وصفاً أنسب من «الجبال ذات الأوتاد».

(الثاني) الجبال الرواسي

ولعل معنى الإرساء هذا يدل على أن الجبال راسية وثابتة الأصل دون أن تكون لها أوتاد غائرة في أعماق القشرة الأرضية. إذاً فالجبال الرواسي هي صخور ذات عمق قليل داخل القشرة الأرضية بحيث تكون ثابتة الأصل وهذا ما ينطبق تماماً على الصخور الرسوبية، بدليل أنها ترتكز على صخور القاعدة أي تعلوها. وربما كانت نسبة وجود كل من الصخور الرسوبية وصخور القاعدة تبين لنا بعض أوجه معاني الجبال ذات الأوتاد والجبال الرواسي. فالصخور الرسوبية، أي الجبال الرواسي تفترش نحو من ٧٥٪ من مساحة الأرض أي أنها ذات امتداد أفقي، بينما صخور القاعدة وبخاصة النارية تكون أكثر من ٩٥٪ من حجم القشرة الأرضية ككل، أي أنها ذات امتداد رأسي.

نخلص من هذا القول: إلى أن الصخور نوعان، نوع ناري ومتحول معاً، وهي معروفة باسم «صخور القاعدة» وهذا نوع ينطبق عليه وصف الجبال ذات الأوتاد. ونوع رسوبي ينطبق عليه وصف الجبال الرواسي.

وقد وضع بعض العلماء تصنيفاً يضم هذين النوعين فقط وفقاً لنوع العمليات الجيولوجية المؤثرة في القشرة الأرضية:

النوع الأول: وتشمل العمليات الخارجية Epigene processes وهي العمليات التي تؤثر على القشرة الأرضية عند سطحها أو بالقرب من السطح كنتيجة لحركة الهواء والماء والجليد وتأثير الكائنات الحية. وهذه العمليات ذات أصل خارجي

وتستمد الطاقة اللازمة لحدوثها من حرارة الشمس وتنقسم العمليات الخارجية إلى قسمين: (الأول) التعرية Denudatian وتتضمن التجوية Weathering والنحت Erosion والنقل Trans-portation و(الثاني) الترسيب ويتم على ثلاث صور: ميكانيكياً كما في حال الصخور الرملية، وكيمياوية كما في حال الرواسب الملحية وبعض أنواع الحجر الجيري وعضوية كما في حال رواسب الفحم والفوسفات.

النوع الثاني: وتشمل الحركات الأرضية والنشاط الناري والتحول وتتضمن عمليات تنبع من داخل الأرض كنتيجة للظروف الفيزيائية والكيمياوية وما يتبعها بالتالي من نشاط فيزيائي وكيمياوي لمادة باطن الأرض، أي الصهير الموجود في باطن الأرض - والذي يمر خلال القشرة الأرضية وتسمى مثل هذه العمليات بالعمليات الداخلية Hy-pogene Proceses وتستمد الطاقة اللازمة لحدوثها من الحرارة المنطلقة في باطن الأرض.

وعلى حسب هذا التصنيف فإن الصخور نوعان: نوع على السطح أو بالقرب منه ناتج من عمليات خارجية وهي الصخور الرسوبية (الجبال الرواسي)، ونوع له امتداد داخل القشرة الأرضية ناتج من عمليات داخلية ويشمل كلاً من الصخور النارية والمتحولة (الجبال ذات الأوتاد).

ومن الجدير ذكره أن هناك تصنيفاً من تصنيفات الصخور قد وضعه العالم الجيولوجي ت. كروت T. Crook (١٩٢٣م) يقترب في جوهره من هذا التصنيف وهو تصنيف تكويني قد قسم فيه الصخور حسب مجموعة من العمليات الجيولوجية إلى قسمين:

الأول: صخور داخلية المنشأ Endogenetic قد تكونت نتيجة عمليات ذات منشأ داخلي وهي التي تعمل في الأعماق ومن الداخل الى الخارج بالنسبة للقشرة الأرضية مثل التأثيرات الحرارية وتأثير المياه المصاحبة لهذه العمليات من أصل صهاري.

وتشمل هذه الصخور كلاً من الصخور النارية والمتحولة معا.

الثاني: صخور خارجية المنشأ وهي التي تكونت نتيجة عمليات ذات أصل خارجي تعمل سطحية أو من الخارج للداخل. وتتكون هذه الصخور تحت درجات الحرارة العادية، وتشمل هذه الصخور، الصخور الرسوبية فقط.

إذاً فالصخور داخلية المنشأ Endogenetic هي تلك الصخور الغائرة العمق في داخل القشرة الأرضية، أي أنها جبال ذات أوتاد، بينما الصخور خارجية المنشأ En-dogenetic هي تلك الصخور الراسية فوق سطح القشرة الأرضية أو على أعماق قليلة داخلها أي أنها راسبة فحسب.

والذي نراه أن تصنيف الصخور إلى نوعين فقط - على الرغم من إجماله - أنسب من التنصيف الأول - على الرغم من تفصيله - لسبب بسيط للغاية، وهو أن الصخور النارية والمتحولة أشد ما يكونا تلازماً في مكان واحد، بل ويجمعهما مصطح علمي واحد وهو «صخور القاعدة»، كما أن الكيفية التي يمر بها التحول عينه لابد أن تتعرض للكثير من المعطيات العلمية المشتركة بينها - أي الصخور المتحولة - وبين الصخور النارية، ولاسيما فيما يتعلق بالنشاط الناري وحرارة الصهير.

فمن الواجب في هذه الحال أن تأخذ مراجع علوم الجيولوجيا في الوطن العربي والعالم الإسلامي بهذا التصنيف حتى ولو في معرض الإشارة، فهو تصنيف يستند إلى أساس علمي سليم كان القرآن الكريم أول من تحدث به قبل علماء الصخور بأكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أساسيات علم الجيولوجيا، د. محمد يوسف حسن وآخرين، جون وايلي وأولاده، نيويورك، ١٩٨٣ .

٣- الجيولوجيا العامة، روبرت فوستر، ترجمة عبدالقادر عابد وآخرين، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ١٩٨٠ .

٤- علم الصخور النارية، د. محمد كمال العقاد، منشورات جامعة أسيوط، ١٩٧٦ .

٥- علم المعادن، د. محمد عزالدين حلمي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣ .

٦- قواعد الجيولوجيا العامة والتطبيقية، د. محمد فارس إبراهيم وآخرين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٢ .

٧- لسان العرب «ابن منظور»، تحقيق عبدالله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ .

٨- محاضرات في الجيولوجيا، د. محمد فتحي عوض الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦ .

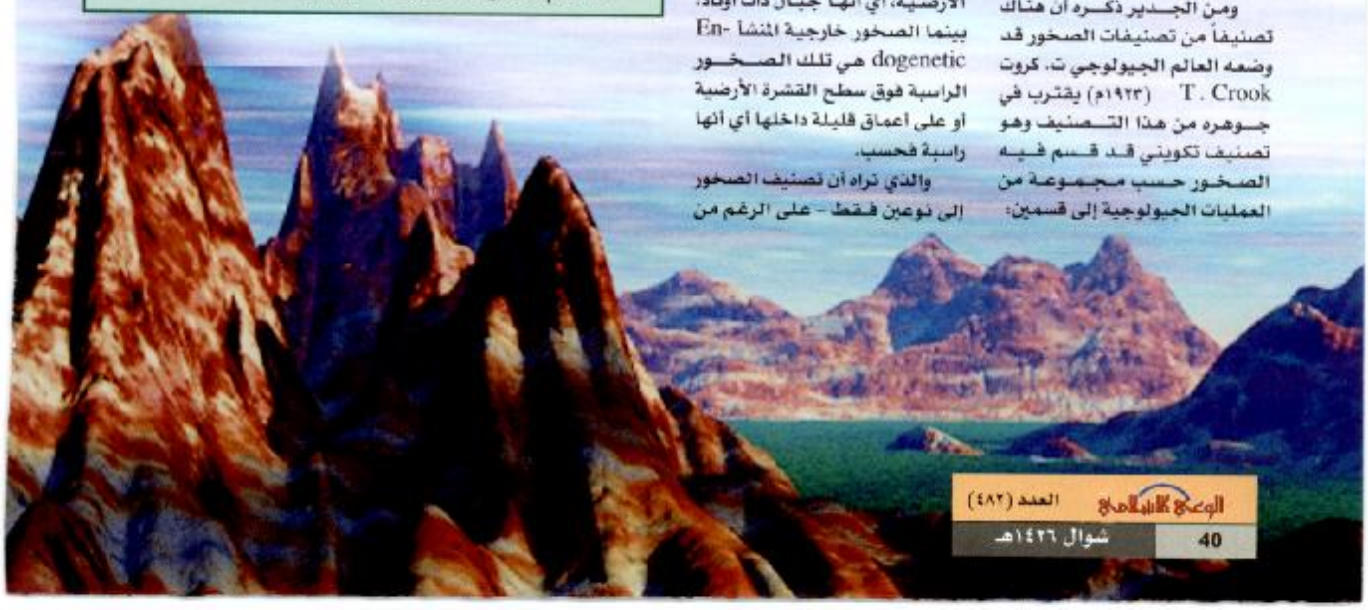

زغاريد صَفِيّة.. ورَفَحْ

من مشاهد تحرير غزة في شعبان ١٤٢٦ هـ (سبتمبر ٢٠٠٥م)

● شعر:
علي محمد محاسنه

يأتيكَ بَعْضُ حديثهمْ
من سائلٍ «مَنْ ذا يكون..؟ وبَعْضُ مَنْ..؟»
تَعِبا.. وأينَ المُفْرداتُ لتُنصِفَه
لكنّما.. إن شئتَ قُلْ
هو بعضُ من عشقُوا فصاروا للجَمالِ مَلامِحهْ
صدَقُوا فكانوا المؤْتَمَنْ
قاموا أقاموا لَيلَهُمْ يَخشونَ لا يخشَونَ إلا واحداً..
ضاقتْ بهم في رحبِها.. وتكالَبتْ
من حولِهم
ذئبٌ وسِمسارٌ بليلٍ والعلَقْ
واستحكَمتْ حلَقاتُها
ليظنّ بعضٌ خاسرٌ بهم الظنُونَ ومادرَى
أنّ الصباحَ صباحُهم إذ ينْطلِقْ
يرثُونها

❖❖❖

نادَى المُنادي فجْرُنا آتٍ تَنَفّسْ .. أسْرِعُوا، فتَوضّأت
أيْمانُهم وعَزيمةٌ
والهامُ توجَها السّجودُ تَدافَعتْ
مَوْجاً لتغسِلَ من درَنْ
صُبْحَ الأديمِ مباركاً مِنْ حوْلِه
ولِتُرْتَوي..
زيتونةٌ.. لَيمونةٌ.. صبارةٌ ذَهلَتْ طويلاً عاتِبه
والعمّةُ «١» الكُبرى تلفّتْ.. أين هو
في حُرْقةِ ظَمأى لَمَنْ
أتْ برغْمِ الجدْبِ والجرْدانِ والقرْمِ الأجيرِ ومرجِفٍ
وأتَى.. به الورْقاءُ تَهتِفُ والندَى يَتقدّمُه
ومآذنٌ مُترنّمه..
ملءُ الوُجودِ مَجينَةٌ.. وحكايَتُهْ

❖❖❖

أتيكَ يازمناً لنا
أتيكَ من يمينِه فَصلُ الخطابِ وصدقُهُ
عدْلاً له قلبٌ يرِفُّ ومبسَمٌ سبحانَ مَنْ..!

وجَوادُه ومهنّدُهْ
وبَصيرةٌ من غَيْرِ كُحْلِ أسرَه
الحافظُها.. سُبحانَ مَنْ..!
والسرُّ في زوادَتِه
تَرنُو إليه خَديجةُ غزّية «٢»،
وصَفيّةٌ ونَسيبةٌ والفاطِمَهْ

❖❖❖

..جاؤوا.. «وهيها» أشْرقَتْ «٣»
يُوفونَ عهْداً.. أقْبلوا
«هيها» .. خَديجةُ زغْرَدَتْ
طلّي صَفيةُ زغْردي
«هيهاً «٣»، وشوفي خيلَهمْ .. طَلّوا مِثلَ عينِ الشمْسِ»
يا زينَهُم
«شوفي وهلّي «٥»، وافْرحي»
«صلّوا على خيرِ البَشَرْ»
«هيها. وقولي للقُدسِ «٤»»
«جايينها قَبلَ الأذانْ تَصبّري»
«هيها.. ودمْعكِ والكحلْ»
«غالي.. وهيها.. والفدا»
«بيدِ النّشامى تَحزّموا وتجنّدوا»
«كرمالِ عينيكِ.. زَغْردي»
طلّي وهلّي وزْغردي»

حواشي:

١- النخلة كما ورد في الحديث الشريف «عمتكم النخلة»
٢- نسبة إلى مدينة غزة في فلسطين
٣ - لفظة بدء الزغرودة في أفراح بلاد الشام عموما (هييها) ونص الزغرودة وحتى آخر القصيدة هو باللهجة المحلية مضبوطا حسب مقتضى التفعيلة.
٤ - كما يلفظها بعض عرب الشام بكسر الدال.
٥- رحّبي «من تعبير- أهلاً وسهلاً»
٦- إكراماً أو لأجل.

الجدل منهج

من مناهج المعرفة ٢/٣

سبق وأن أوضحنا في الجزء الأول من هذا المقال كيف جعل الإسلام من الحوار طريقاً للفكر ومنهجاً للعقيدة يقوم على أساس الحجة والبرهان والدليل. وقدمنا نماذج من الحوار في القرآن الكريم، مثل حوار الملائكة في شأن استخلاف الإنسان في الأرض، والحوار مع ابليس والحوار بين ولدي آدم، قابيل وهابيل، وابرزنا في هذا الصدد الفرق بين الجدل والاختلاف، والأسباب التي تجعل الاختلاف يتحول إلى جدل... وسيتجه اهتمامنا في هذا الجزء إلى إبراز جوانب من آداب الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي.

بقلم: د. بركات محمد مراد

والجـــدل يطلق في الأصل اللغـــوي على مـعنيين حسـيين: أحـدهما: الشـد، والفـتل، والإحكام.

جاء في مفـردات الراغب «١»: جدلت الحبل، أي أحكمت فتله، و«جدلت البناء أي أحكمته».

وثانيهما: الإلقاء، والإسقاط على الجدالة: التي هي الأرض الصلبـــة، جـــاء في «أســـاس البلاغة» «٢»: «جدله أي ألقاه على الجدالة».

وإذا اعتـبـرنا تسـمـيـة المنازعة الكلامـيـة أو الفقهية جدلا استنادا إلى المعنى الأصلي الأول، فذلك لأن كل واحد من المتجادلين إنما يعمل على شـد رأيه وإحكامه بما يقـدمه من أدلة تأييدية، وبما يكشف عنه من وهن في رأي خصمه، وقد بين الراغب ما يراد بالجدل على اعتبار كونه متولدا عن المعنى الأول فقال: «فكان المجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه».

وإذا اعـتـبـرنا التـسـمـيـة متـأتـيـة عن المعنى الثاني، فذلك لأن كل واحد من المتجادلين إنما يجتهد في استجماع قواه العقلية بإبراز المؤيدات وإظهار الشواهد لبيـان وجـهـة مـا الـتـزم به من مذهب، وما اعتنقه من مبدأ قصد تبكيت خصمه ومباهتته، ولبيان العلاقة بين مايحوية الجدل من مـضـمـون وصلتـه بالمعنى اللغـوي الثـاني، قـال الراغب: «وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسـان صـاحـبـه على الجـدالة وهي الأرض الصلبة» و قـال «الشـوكاني»: «وقيل مـأخـوذ من الجدالة، وهي الأرض لأن كل واحد من الخصمين يريد أن يلقي صاحبه عليها» «٣».

وسواء أكان الجدل مستمدا من الفتل والشد أم من الصراع والإسـقـاط، فـالمهم أنه يطلق على المشادة الفقهية أو الكلامية أو الفكرية التي تهدف إلى تحقيق الغلبة لما اعتنق من مذهب، ولما اتخذ من رأي، فهو يقوم على «إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما» كما يقـول «الإمام الجويني» في كتابة «الكافية في الجدل» حيث إن من أسسه أنه يتم على «التـدافع والتنافي» فهو الوسيلة الناجحة أكثر من غيرها في تصحيح المذهب «٤»، بل هو في بعض الأحيان الوسيلة الوحيدة المجدية في إزالة اللبس، «من حيث لم يجدا بدا منه في تحقيق ما هو الحق وتمحيق ما هو الشبه والباطل» «٥».

ومن الملاحظ أن الجدل في الفكر الإسلامي لا يعني مـا تعنيـه كلمـة «Dialectique» في الفـرنسـيـة أو «Dialectic» في الانكليـزية التي

أصلها في اليونانية «Dailektike»، من حيث إن المعرفة المترتبة على هذه الأخيرة «ظنية» في الفكر اليوناني «٦»، فالمعرفة المترتبة على الجدل في الفكر الإسلامي معرفة يقينية تمثل الحق وتؤكده، وخصوصا أنها مبنية على أسس ودعائم يقينية، ماجعل الإمام «الجويني» إمام أهل السنة والجماعة، يؤكد على أن الجدل يشمل مايسمى «منطق البرهان».

وبهذا يخالف الجدل مدلوله عند كل من «أفلاطون وأرسطو» قديماً، حيث يجعله الأول طريقا يرتفع به الفكر من الإحساس إلى الظن ومن الظن إلى العلم والاستدلال، ومن العلم على العقل المحض، وطريقاً هابطا من أعلى المبادئ إلى أدناها متوسلا بالقسمة الثنائية «٧»، ويجعله أرسطو مبنيا على الآراء الراجحة أو المحتملة، فهي عند أرسطو وسطا بين الأقاويل البرهانية والأقاويل الخطابية «٨».

كما أن الجدل في الفكر الإسلامي أوسع مدى بالنسبة لصلاحية التطبيق على مختلف الموضوعات لأنه لا يتقيد بنسق منطقي محدد «القياس الأوسطي»، وعلى الرغم من أنه كثيراً مايستعين بهذا النسق الأخير، ولكنه يستعين أيضا بأساليب البحث على اختلافها، رغم التزامه أسلوب المدافعة والتناقي، وهذا ما يجعله أسلوبا قابلاً للتكيف بمقتضيات طبيعة الموضوعات التي يطبق عليها، ولو تعمقنا في الأمر، لوجدنا له كثيراً من التطبيقات في الفكر الإسلامي، فهو يستخدم بشكل جيد في الأصول والفروع، وقد استفاد منه علماء الكلام وأصحاب المدارس العقدية المختلفة، كما استفاد منه الفقهاء والباحثون في أصول الفقه على اختلاف اتجاهاتهم وتباين مدارسهم.

ونجد هذا المنهج الإسلامي الخالص، يتفوق على «منطق البرهان» ذلك المنهج التحليلي الذي صيغ مسبقاً لتصب فيه الموضوعات، فتفقد كثيراً من حقيقتها وصفاتها المميزة، من حيث إن الجدل الإسلامي سيستفيد من «الاستقراء» و«الاستدلال» على حد سواء، ويجعلها بعض أساليبه التي يتوسل بها إلى إدراك الحقيقة وإقناع الآخرين بها، كما سيتأثر خطى كل أنواع الاستدلال المستخدمة في القرآن الكريم، ويستخلصها ثم يعيد استخدامها في ترقية كثير من العلوم التي يستنبطها العلماء المسلمون أو يتوصلوا إليها مثل : الاستدلال بالتعريف أو بالتعميم والتخصيص، أو بالمقابلة أو السبر والتقسيم أو قياس الخلف أو التمثيل أو غيرها من أساليب الاستدلال العامة والخاصة، ولذلك حقق كثيرا من الإنجازات والرقي في علوم الفقه

وأصوله في استنباط المبادئ والأحكام في الشريعة الإسلامية، كما ساعد على بناء المنهج النقدي المستخدم في دحض ونقد الآراء والمعتقدات والمذاهب في علم الكلام والعقائد.

فهو أسلوب نظر حي، يتآزر فيه أكثر من عقل، للكشف عن الحقيقة، أو إلزام الآخرين بها، ومن البدهي أن يقال: إن الجدل في كل كتاب من كتب الفقه وأصوله أو كتب الكلام ونقد يتخذ شكلاً عملياً في دراسات يجد المؤلف نفسه فيه مدفوعا إلى أن يفكر متتبعا لوجهة نظر مناوئة، وقد يتخذ شكلا نظريا يخضع لاعتبارات تمهيدية، يختصر فيها نوع الجدل، من حيث قوانينه وقواعده، وفائدته، وأدلته العقلية أو النقلية التقليدية «٩»، إلا أنه في نهاية الأمر إبداع إسلامي خالص له دلالته على مدى التقدم الفكري والثقافي الذي حققه المسلمون في مجال المناهج والطرق المستخدمة في إدراك الحقائق والمفاهيم والمبادئ، وخصوصا في تلك العلوم الشرعية- الفقه وأصوله- والأخرى العقلية- الكلام والفلسفة- وهي مناهج وطرق احتوت على الأساليب المنطقية اليونانية القديمة، وزادت عليها بفضل ذلك التفحص والاستبصار العقليين اللذين داومهما كثير من المفكرين والمجتهدين المسلمين وخصوصا في تلك القرون الأولى من الإسلام قبل وبعد تمثيلهم للفكر اليوناني بخاصة وفكر الأمم والحضارات السابقة بعامة.

أما آداب البحث والمحاورة فهي التي يطلق عليها ابن خلدون «آداب المناظرة» «١٠» وسنحكم عليها طبقا للنص الذي كتبه عنه يقول: «وأما الجدل، وهو معرفة آداب المناظرة التي تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول منه، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابه ومنه مايكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاماً، يقف المتناظرون عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب حيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصصا منقطعا، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال، ولذلك قيل فيه «إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواءكان ذلك الرأي في الفقه أو غيره» «١١».

ومن الممكن أن نضيف إلى هذه الاعتبارات العامة، ملاحظات أخرى، أكثر تحديدا: يمكن استقاؤها من كتاب «الكافية في الجدل» لإمام الحرمين، أو من كتاب «الجدل على طريقة الفقهاء لـ «ابن عقيل» (٥١٣ هـ/ ١١١٩) أن الآداب تفرض تحديد المسألة تحديداً دقيقاً، وكذلك تحديد الإجابة المقدمة عليها، وهي تلزم الخصمين أن يمتنعا عن الحديث معاً، وفي الوقت نفسه، ألا يقاطع احدهما الآخر وأن التلطف والرقة مما ينبغي التزامهما، وتذكر إلى جانب الأدب شروط الجدل: فالمناقشة لايمكن أن تنعقد إلا بين خصمين متساويين، لأن الطرف الأدنى يقف تلقائيا موقف الشخص الذي يلتمس تعليماً، أو يكتفي بطرح أسئلة، ومن اللازم أن يتمتعا بشروط الأمان والصحة نفسها وألا تكون

بهما عاهة، أو علة طارئة. إلى آخر هذه الشروط العامة «١٢».

الطابع الإسلامي للجدل

إن الجدل في الإسلام بعامة، وفي القرآن بخاصة ليس ترفاً فكرياً ولا طريقة لإضاعة الوقت ولا أسلوباً من أساليب الإفحام والانتصار بعيداً عن قضية الحق والباطل، ومعياراً للصواب والخطأ، ولكنه منهج من مناهج المعرفة وأسلوبا من أساليب الكشف عن الحقيقة وإلزام الخصم بها، ومن هنا تختلف وظيفته في الإسلام عن وظيفة ذلك الجدل اليوناني القديم الذي كان يراد لذاته، بغض النظر عما يحققه من نتائج فالجدل الذي كان يتمثل في محاورات أفلاطون مثلا، ليس القصد منه الخروج بنتيجة بصدد المشكلة المعروضة، بقدر مايجعلنا أقدر على الجدل في كل الموضوعات، فهدف المحاورات، إذن ليس إمدادنا بالمعلومات والحقائق بقدر ما تقدمه من مساعدة على التدريب على فن الجدل، ولذلك كان هذا الفن هو الشغل الشاغل لطبقة النبلاء والمثقفين غير المشتغلين بهموم الحياة وقضاياها.

ولعل السر في ذلك هو أن هدف الإسلام الأساس هو وصول الناس إلى الحق بالطريقة التي تعمق الإيمان في نفوسهم، وتشرح به صدورهم، ولذا فإن وسائله العملية لا تتجه إلى هذا الهدف فحسب بل ربما تشجع في بعض الحالات، اتجاه الإنسان إلى التدريب على فن الجدل، في غير أجواء الفكرة، ولكن ذلك لا ينشأ من خلال كونه ترفاً فكرياً يرضي في نفس الإنسان زهو الغرور الذاتي بالانتصار والتفوق، بل من جهة إنه يوفر للإنسان القدرة على استعمال أدوات الدفاع عن الحق، بطريقة أكثر قوة ومرونة.

وقد نجد في القرآن الكريم ملامح هذا الخط الذي يتجه إلى رفض الجدل على أساس أن يكون فناً قائماً بذاته، يتحول به الإنسان إلى شخص جدلي لاهمّ له في المجال الفكري إلا أن يتغلب على خصمه، أو يضيع الوقت بمجادلات تبتعد عن الهدف ولا تحقق الغرض الذي من أجله يحيا ذلك الإنسان، وقد صور القرآن الكريم لنا ذلك كله في نطاق حديثه عن الكافرين الذين انطلقوا بالجدل في طريق إطاعة الفكرة، وإنكار الحق، فقد حدثنا عن المشركين في مكة، عندما استمعوا الى الآيات القرآنية التي تتحدث عن عيسى ابن مريم كيف كان رد فعلهم عن ذلك، وكيف واجهوه؟

وذلك في قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون، وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ «الزخرف - ٥٧-٥٨».

فقد حدثهم النبي ﷺ عن «عيسى ابن مريم» بأنه «عبد الله ورسوله» ولكنهم أعرضوا عن هذه الحقيقة واتجهوا بالحديث من خلال الفكرة المنحرفة، التي يعتقدها النصارى المتمثلة بالاعتقاد بألوهيته، فأثاروا التساؤل عن المفاضلة بينه وبين ما يعبدون، على أساس أن الفكرتين تتجهان- معا- إلى خلاف مايدعو إليه النبي ﷺ من عبادة الله الواحد، ويعلق القرآن الكريم على ذلك بأن هؤلاء لم يسلكوا الطريق الصحيح في الحوار الذي يرتكز على مناقشة الفكرة من خلال مايثيره صاحبها، لا من خلال مايثيره الآخرون ممن يختلف معهم في طبيعة الفكرة، لأن ذلك لا يلزمه، فقد حاولوا أن يسلكوا الجدل المحض الذي يدفع الإنسان إلى الهروب من الموقف الحق إلى موقف آخر يثير الضباب فيه حول الحق بالأساليب المختلفة من المغالطة.

وقد تمثل هذا الأسلوب أيضا في سلوك بعض المؤمنين حين أرادوا التخلص من مسؤوليتهم بالأساليب الجدلية هروبا من مواجهة الحقيقة، حين كانوا يرفضون الخروج للحرب مع النبي ﷺ باحثين عن المبررات والأعذار التي تسوغ لهم ذلك ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون، يجادلونك في الحق بعدما تبين لهم كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون «الأنفال :٥-٦».

وعبر القرآن الكريم في أكثر من آية عن كثير من المجادلين في الله، وفي القرآن، وفي الرسالة، وينتقد مواقفهم المنحرفة، لأنهم يوجهون الجدل في اتجاه الباطل، وإنكار الحق الواضح من دون بينه ولا برهان ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون» «الأنعام - ١٢١، ١٣٠».

ثم نواجه في هذا الإطار الآيات القرآنية التي تصور لنا الاتجاهات الدجلية التي قد تنتهي إلى توظيف الجدل في خدمة الخيانة والخائنين، وذلك في حديثه عن قصة أولئك النفر من المسلمين الذين أرادوا إلصاق تهمة السرقة ببعض اليهود ليرفعوها عن أنفسهم، ظنا منهم أن يهوديته ستكون أساسا صالحا للحكم عليه، بغض النظر عن قضية الحق والباطل، ولذلك انطلق الجدل آنذاك في هذا السبيل الذي يراد منه تبرئة المجرم، وتجريم البرئ، وذلك في قوله تعالى:﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لايرضى من القول وكان الله بما يعلمون محيطاً هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ «النساء - ١٠٧-١٠٩».

الجدل في الإسلام بعامة، وفي القرآن بخاصة ليس ترفاً فكرياً ولا طريقة لإضاعة الوقت ولا أسلوباً من أساليب الإفحام

الجدل الممدوح والجدل المذموم

يقول «ناصح الدين

الحنبلي، ١٤٠» فأما الجدل، فهو مذموم في كل موضع ذكر إلا في ثلاثة مواضع، أحدها النحل«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» «النحل - ١٢٥»، والموضع الثاني في العنكبوت «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن» «العنكبوت ٤٦».

والثالث: في المجادلة «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» «المجادلة -١» وهذا الجدل الممدوح هو مسلكه الأنبياء الكرام مع أقوامهم من طرق بيانية في سبيل نشر ماكلفوا به من دعوات ورسالات، وخصوصا ما كانوا يقومون به من مناظرات ومحاورات ومناقشات، يعرضون فيها ماتيسر من بيانات، وما توافر لديهم من مؤيدات، ويرون فيها على ما يلاقونه من مواجهات ومجابهات كل ذلك إظهارا للحق الذي ينادون باتباعه وإزهاقا للباطل الذي يطالبون بتجنبه كما قال تعالى:«بل نقذف بالحق على الباطل، فيدمغه فإذا هو زاهق» «الأنبياء - ١٨».

فالجدل الممدوح والمفيد هو ما كان بالتي هي أحسن، بعد إقامة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذه الأساليب الثلاثة أي الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن أساليب ومناهج ناجعة اقتضتها الدعوة القرآنية، من حيث كونها دعوة إلى الحق والخير والعدل، واقتضتها حال الدعوة من حيث كون الناس يتفاوتون في مراتب الإدراك ويتباينون إزاء مختلف التوجهات فلا العنف من وسائلها ولا الإكراه من مناهجها.

فالجدل بالتي هي أحسن وإقناع الآخرين بالكملة الطيبة، وإبانة الحق بالهدوء، والحجة الظاهرة، وإثباته وتأييده بالأدلة القاطعة مبدأ عام ومنهج ثابت لا يقبل الإسلام تعطيله ولا التفريط فيه، كلما كانت هناك محاورات ومناظرات طبقا لمضمون «لا إكراه في الدين» «البقرة - ٢٥٦».

والجدل الممدوح هو الجدل الصحيح المبتغى به وجه الحق، والمراد به إثبات لدلالة وتأييد الدعوة يقول «الشوكاني» «١٥»: «فأما الجدل لا ستيضاح الحق، ورفع اللبس، والبحث عن الراجح والمرجوح، وعن المحكم والمتشابه، لحل مشكلات الآيات وكشف معضلاتها، واستنباط حقائقها الكلية ولتوضيح مناهج الحق في مضائق الأفهام، ومزالق الأقدام، وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال، فمن أعظم الطاعات».

كما يوضح القرآن الكريم أن الجدال يحسن في مواضع مثل تلك التي يكون القصد منها إيقاف مظلمة قد وقعت أو حل إشكال قد استجد ، كما حدث مع «خولة بنت ثعلبة» حسب رواية «عروة» عن «عائشة» رضى الله عنها «١٦» حين ظاهرها زوجها ونزل قوله تعالى :«قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله» «المجادلة -١» فالآية قد أبانت أن الله قد سمع جدالها ومحاورتها وقبل شكواها في شأن سلوك زوجها.

وهو ما يفيد أن الجدال في الحوادث الواقعة قصد تقويمها، وتحليل ما يترتب عليها من نتائج بغية إيقاف ما وقع من ظلم ودفع ما نشأ من مفاسد، هو جدال مرغوب فيه شرعا، لما يهدف إليه من إصلاح بدليل أن الله قد أنزل في شأن جدالها ما أزال غصتها وفرج كربتها، وأقر عينها «١٧».

أما الجدال المذموم فهو جدل من دون أدلة ولا يستند إلى براهين، ولذلك لا يوصف بكونه بالباطل، ولا يحدد غرضه بكونه لدحض الحق، ولا لكونه لم يعتمد على الحجج القاطعة، ولم يرتكز على المستندات الثابتة من عقل متبصر، ونقل متفحص «الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم» «غافر- ٣٥»، وهو جدل مبني على أسباب غير موضوعية، ويعتمد على أسباب لا يقرها عقل ولايستسيغها منطق، تنتهي في التحليل النهائي إلى أسباب ذاتية أو بيئية. مثل الكبر الذي يحول بين المرء والاعتراف بالحقيقة، فسعى جاهداً في تبرير موقفه وهو على بينة بأنه غير صادق، هذا الكبر هو الذي دفع إبليس إلى عدم السجود لآدم ،فكانت معصيته العظمى التي باء على إثرها باللعنة والإبعاد من الرحمة الإلهية ومثله ذلك الكبر الذي دفع كثيرا من مشركي مكة إلى عدم اتباع الإسلام، على الرغم من إدراكهم بصدقه وصدق من أتى به، ويفسر لنا القرآن ذلك العناد والصدود الذي قابلوا به آيات الله وكثرة جدالهم للنبي صلى الله عليه وسلم بالباطل بقوله تعالى: «إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر» «غافر -٥٦».

كما أن سيطرة العادات وتمكن التقاليد الباطلة من النفوس كثيراً ما تحول بين الاعتراف بالحقيقة والإقرار بها، بل المجادلة ضدها،«إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون»«الزخرف -٢٢»، ومن هنا كان اهتمام القرآن بالحوار والجدل في جو من الحرية، وبعيداً عن التعصب والعصبية، ودفع الإنسان المسلم إلى التنزه عن الأغراض والتخلص من كل الاعتبارات القبلية، حتى يأتي حواره موضوعيا.

الحواشي:

١- الراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن، كتاب الجيم ص ١٢٣ مصر.

٢- الزمخشري: أساس البلاغة ص ٨٥ بيروت العام ١٩٦٥ م

٣- الشوكاني: فتح القدير ج ١ ص ٥١١ دار المعرفة بيروت

٤- الجويني: الكافية في الجدل، تحقيق د. فوقية حسين محمود، ص ٢٣ مصر العام ١٩٧٩ م

٥- المرجع السابق ص ٢٤

٦- المعرفة الجدلية في فلسفة أرسطو، انظر د. أميرة حلمي مطر: تاريخ الفلسفة عند اليونان

٧- جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج١ ص ٣٩٢ بيروت العام ١٩٨٢ م

٨-المرجع السابق ج ١ ص ٣٩٣

٩- انظر مثلا ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام ج١ ص ٩- ٢٧ القاهرة العام ١٣٤٧ هـ

١٠- انظر ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٧ وما بعدها

١١-المرجع السابق ص ٤٥٧ وانظر ابن عقيل: الجدل ص ٢٠٣ والجويني: الكافية ص ٥٣٠ ، ٥٥١

١٢ -أنظر د. عبد المجيد التركي: مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية ص ٤٣، ٤٤ حيث يشير إلى الفروق المنهجية التي بين آداب البحث والجدل والمناظرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦ م

١٣- انظر د. محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن ج١ ص ٢٥، ٢٦

١٤- انظر محمد الحبيب المهلية: استخراج الجدل من القرآن

١٥- انظر الشوكاني: فتح القدير ج ٤ ص ٤٨١

١٦- انظر علي بن أحمد النيسابوري: أسباب النزول ص ٢٣٠

١٧-انظر أ.د. محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم ص ٤٨

من عِلَلِ المحاورة..

بقلم محمد حسون (العكاري) المغرب.

من اللطائف اللغـوية التي وقفت عندها أنّ لفظ " الجَدَر " في الكلام هو ما ينطبق على الشّخص الذي لا يقهر في القول، لأنّه يملك مقومات الفصاحة والتدليل، يقول لسان العرب ١:

«الجـدَرُ جـدَرُ الكلام وهو أن يكون الرجل محكما لا يستعين بأحد ولا يعاب فيقال: قاتله الله كيف يجدَرُ في المجادلة؟».

لكن القلّة القليلة هي التي يمكن أن تتصف بهذا الوصف، بل من النادر والصّعب جدّا أن تجد إنسانا يمكنه أن يجدَر في الكلام، وليس مطلوبا من كلّ المجادلين أن يكونوا كذلك، و إن كان هذا الوصف هو الأعظم والأروع في المنافحة عن العقيدة والمبدأ والحقّ ومن باب الإحسان في الدّعوة، وإنّما المطلوب هو تجنّب (أمراض المحاورة)، أي العوامل التي تقتل المناقشة وتضرّ بالدّعوة ومنها:

• التصلب في الرأي في أثناء المحاورة: وهو من أشهر آفات الحوار ويكون إما بحكم نية مسبقة، وإما لهدف معين وإما بحسب عامل عارض ...

فكيف يتبلور التصلب في عملية؛ وفعل الحوار؟ .. وما الذي يترتب عليه

فيما بعد؟..

يتولد التصلب من التعصب للذات أولا: " ذلك لأنّ التعصب للذات يجعل المتحاورين أطرشين يتكلمان بلغتين كل يكلم نفسه، لا يسمعان ولا يفهمان، وذلك يؤدي إلى صمم ثقافي خطير، لأنّ كلا منهما يظنّ نفسه صاحب حق مطلق، ويظنّ الآخر صاحب باطل مطلق " ٢ . ويشكل التعصب قمة الخوف على الأمة لدى «فهمي هويدي» إذ يقول : " لا خشية على أمتنا من التمذهب، إنما الخوف كل الخوف من التعصب، إذ التعصب ليس سبيلا إلى الفرقة والفتنة فقط، لكنه في الوقت عينه علامة على التخلف والانحطاط " ٣ .

وينشأ التصلب، ثانيا، من الإصرار على التشبث بالرؤية الشخصية والتمسك بها رغم وضوح خطئها .

وينشأ، ثالثا، من المحدودية الفكرية والثقافية للمحاور حول قضية معينة.

وينشأ، رابعا، من التعصب للمرجعية الأيديولوجية التي تؤطره، أي التعصب للنطاق الفكري الضيق والإيمان الأعمى بأفكار نسبية زيّنت على أنها مبادئ مطلقة وجب التعصب لها أو بفعل التبعية لدعوات شخصيات(كاريزمية) لا ينبغي أن تناقش أفكارها بل يجب تقبلها في تسليم !!.

وينشأ، خامسا، بفعل العناد الذي هو ظاهرة نفسية تنبثق في خضم حماسة الحوار أو بسبب الإصرار على الخطأ مع عدم الاعتراف به أثناء المجابهة الفكرية أو المحاجة ...، أو بفعل طبيعة المحيط الذي تنجز في إطاره عملية الحوار، أو بسبب غلبة الشعور العاطفي على التفكير العقلي المصدق لصحة الحجة والدليل.

إن التصلب في الموقف والرأي، إذا ما ارتفعت درجة وتيرته، حتما يؤدي إلى سلوكات أخرى خطيرة أدناها التشنج، التصادم الشجاري والإقصاء، و أقصاها العنف و الإرهاب بأنواعه الفكرية، السياسية والدموية.

لقد عدّ «أحمد عبّاس صالح التّصلب مرضا نفسيا وفرّق بينه وبين الإيمان بالقضية، إذ يقول:

" والتصلب ليس هو الإيمان بالقضية، الإيمان يتطلب قدرة على الرؤية الصّحيحة وإعمال العقل والاطمئنان القلبي الناضج عن طريق الفهم والإقناع. ولذلك فالمؤمن يجادل ويقنع فإذا لم يستطع الإقناع لا يقوم بعمليات إكراه. فالمفروض في الإنسان السوي أن يتهيأ له الإقناع عندما تتوافر أمامه الحجة العقلية والبرهان. وكان هذا طريق الدّيانات السماوية وهي مقدّمها الإسلام."٤ .

إن النتيجة المنطقية للتصلب هي إخفاق الحوار في الوصول إلى المأمول عبر السبيل الحضاري الحقيقي المبني على التفاهم و الاعتراف بالآخر - المحاور اعترافا وجوديا و فكريا كاملين، و إلا فإن الأمر سيؤدي إلى ما يشبه هذه الحادثة الطريفة التي تلقفتها يدي وأنا أتصفح عددا من أعداد مجلة العربي، أرهص بها الأستاذ أحمد زكي المقال الافتتاحي الذي كان يحرره والمعنون بـ " منطق الحوار.. منطق القوة "تقول الحادثة:" التقى رجلان، زيد و عمرو، و تصافحا، و دعا زيد عمرا إلى الجلوس معه فقبل و الظاهر أنه كانت بينهما بقية من مناقشة سالفة، فما أن جلسا حتى بداها، وبدأت هادئة، كل يدلي بحجته، فرفع الثاني صوته بحجته و زاده رفعا، واحتر الجو بينهما و سخن الهواء و إذا بأحدهما يصفع الآخر. و إذا بالمصفوع يصبح صافعا، و تبادلا اللكمات حتى كفّ أعجزهما ساعدا فكف الأخر و افترقا غاليا و مغلوبا. ٥

و يعلق الأستاذ على هذه الواقعة التصويرية قائلا:"إنهما بدءا بالحجة، كما يراها كل منهما، و في الحجة منطق يراه صاحبه، أو لعله لا يراه وإنما يدعيه، فلما لم يفلح الحوار، وأخفق بينهما المنطق، صادقا أو مكذوبا، لم يبق شيء يحسم النزاع بينهما إلا الكف تهوي بثقلها على الصدغ.

والعادة أن الكف تهوي على صدغ الضعيف"٦ . ثم يضيف قائلا : "وهذه الصورة من طباع الناس الأولى، لا تزال موجودة بيننا إلى اليوم، حتى في ظل القوانين و مع

وجود المحاكم والشرطة و هما حماة الحقوق و الحرية"٧ .

● المراء، المماراة أو التّماري

نهى الله تعالى عن الامتراء فقال:

ولا تكن من الممترين.

في لسان العرب وكذا النهاية في غريب الحديث،وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، أنّه قال: لاتماروا في القرآن فإنّ المراء فيه كفر، المراء: الجدال، والتّماري والمماراة:المجادلة على مذهب الشّكّ والريبة، ويقال للمناظرة مماراة لأنّ كلّ واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللّبن من الضرع(...) (وقال ابن الأثير،عبارة أضافها لسان العرب،) والتنكير في المراء إيذانا بأنّ شيئا منه كفر وفضلا عمّا زاد عليه وقيل إنّما جاء هذا الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذكر القدر ونحوه من المعاني على مذهب أهل الكلام وأصحاب الأهواء والآراء دون ما تضمّنته من الأحكام وأبواب الحلال والحرام فإنّ ذلك قد جرى بين الصّحابة فمن بعدهم من العلماء وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحقّ ليتّبع دون الغلبة والتعجيز والله أعلم٨ .

وفيه أيضا:

«... وقال الفراء في قوله عزّ وجل: ﴿فبأيّ آلاء ربّك تتمارى﴾ (النجم،٥٥) يقول الفراء بأي نعمة ربّك تكذب أنّها ليست منه، وكذلك قوله عزّ وجلّ: (في الآية ٣٦ من سورة القمر) ﴿فتماروا بالنذر﴾ وقال الزّجاج: «والمعنى أيها الإنسان بأي نعمة ربّك التي تدلّك على أنّه واحد تتشكّك»٩ .

وهنا ينبغي الحذر في أثناء المحاجّة و المفارعة الفكرية بالتأكد أوّلا من منطلقات الأفكار، فربّما كانت فكرة الآخر المجادل توافق معنى من المعاني الصحيحة لدليل شرعي أو منطق عقلي أو واقعي، فيعمد الدّاعية من دون أن يشعر إلى دحضها وهو يظنّ أنّها من تخريج مناظره، فيسقط في التناقض المنهجي.

● الخصام في الجدال

وهو من المذمومات مع الجدال بالباطل. وفي " النهاية في غريب الحديث":

«(جدل) فيه" ما أوتي قوم الجدل إلاّ ضلّوا" الجدل مقابلة الحجّة بالحجّة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل، وطلب المغالبة به، فأمّا الجدل لإظهار الحقّ فإنّ ذلك محمود لقوله تعالى: (في الآية ١٢٥ من سورة النحل) ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ١٠ . والخصام متعلّق بما سبق من تصلب ومماراة إذ هو نتيجة الأول ومظهر الثّاني.

● الرياء: وهو مذموم قطعا، «وفي حديث الرياء من طلب العلم ليجاري به العلماء أي يجري معهم في المناظرة والجدال ليظهر علمه إلى النّاس رياء وسمعة.»١١، وصاحبه لا ينفع الدعوة بل يضرّها لأنّ عمله لا يكون خالصا لوجه الله، وسرعان ما يتبدّل إلى غيره، وقد يحالف مناظره إذا رأى أنّ ذلك سيخدم مصلحة ذاتية صرفة حتى وإن كانت مخالفة للمبدأ.

● الاختلاف والتّنطّع

في الفائق: «وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: إياكم والاختلاف والتّنطّع، فإنّهما كقول أحدكم: هلمّ وتعال، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه: اقرؤوا القرآن ما اتّفقتم فإذا اختلفتم فقوموا عنه. ولا يجوز توجيهه على النهي عن المناظرة والمباحثة، فإنّ ذلك سدّ لباب الاجتهاد، وإطفاء لنور العلم، وصدّ عمّا تواطأت عليه العقول والآثار الصّحيحة على ارتضائه والحثّ عليه، ولم يزل الموثوق بهم من علماء الأمّة يستنبطون معاني التنزيل، ويستثيرون دفائنه، ويغوصون على لطائفه، وهذا الحمّال ذو الوجوه، فيعود ذلك تسجيلا له ببُعْد الغَوْر واستحكام دليل الإعجاز، ومن ثمّ تكاثرت الأقاويل واتّسم كلّ من المجتهدين لمذهب في التأويل يعْزى إليهم ١٢٠ .

إنّ الاختلاف المذموم والمرفوض ليس هو المعروف لدينا اليوم بالاختلاف في الرأي، مع أنّ هذا النوع هو الآخر له أصوله، وإنّما المقصود هو ذاك الذي يقوم على نفي النّصّ الشّرعي الثّابت أو محاولة تعطيل حكمه خاصّة القطعي الدّلالة، وكذلك الاختلاف المؤدي إلى التنازع والتفرقة والتشرذم، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا﴾ آل عمران/١٠٣ .

الحواشي:

١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ج٤ص١٢٣، مادة " ج ذ ر". الموسوعة الإلكترونية للسنّة النّبوية، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي/إصدار٥ ,١/١٤١٩هـ ١٩٩٩م. الأردن.

٢- الحوار لماذا؟..وكيف؟، عبد الله الحامد، مجلة الفيصل ع ١٨٨، ص٨-٩ (ملف الحوار)/١٩٩٢ .

٣- التمذهب والتعصب والتخلف !، فهمي هويدي، كتاب العربي ع ٤٥/٢٠٠١، ص١٣٢ .

٤- التصلب والإرهاب، أحمد عبّاس صالح، مجلة الكاتب (المصرية)ع١٥٨، ص٢ .

٥- منطق الحوار.. منطق القوة، أحمد زكي، مجلة العربي، ع١٧٥، ص٨ .

٦- نفسه.

٧- نفسه.

٨- لسان العرب، مرجع سابق، ج١٥ص٢٧٨/النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ج ٤ ص٣٢٢ . الموسوعة الإلكترونية للسنّة النّبوية، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي/إصدار٥ ,١/١٤١٩هـ ١٩٩٩م. الأردن.

٩- لسان العرب، مرجع سابق، ج١٥ص٢٧٨ .

١٠- النهاية... مرجع سابق، ج١ص٢٦٤ .

١١- لسان العرب..مرجع سابق، ج١ص٢١٧ .

١٢- الفائق للزمخشري، ج٣، ص٣٥٧، الموسوعة الإلكترونية للسنّة النّبوية، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي/إصدار٥ ,١/١٤١٩هـ ١٩٩٩ ,م.الأردن.

«كلام في التكافل والتكامل»

وا.. إسلاماه..

بين هَزِّ الرؤوس .. ومَصْمَصَةِ الشفاه..

بقلم: أحـمـد المزاري

• بذور قديمة

أسفرت غُمَّةُ السيول.. التي اجتاحت أخيراً «أو تجتاح بين الحين والآخر» بعض ربوع الوطن العربي والعالم الإسلامي، عن ظهور حفنة عجيبة من البذور.. كانت مدفونة تحت طبقة سميكة من الطين والرمال.. أو مخبوءة بين صخور الجبال، وكانت تنتمي، وفق ما كشفت عنه اختبارات العلماء، إلى نوع قديم من الأشجار.. أتت عليه، «فيما مضى» شظايا حمم.. وبقايا إحن.. وبعض أسباب الدمار.. ونسي معظم الناس - أو تناسوا - طعم ما كانت تنتج من ثمار.

وتتابعت المعونات.. من الأغذية والأغطية والأدوية.. وتتابعَ السيل.. من بعض الدول.. والرذاذ.. من بعضها الآخر.. وحالت أحوال بعضها الثالث.. في عدم المشاركة.. إلا من بعض برقيات العزاء.. وهواتف المواساة .. واكتفت دول أخريات.. بهَزِّ الرؤوس.. ومصمصة الشفاه..

• .. خريطة.. بالية

.. يحكى أنه كان للإسلام.. في سالف الزمان.. دولة واحدة.. عظيمة، ترامت أطرافها.. وانبسط ثوبها الناصع.. حتى آخر أصبع في قدمي شبة الجزيرة العربية جنوباً.. وأطول شعرة في رأس الغرب غرباً.. وامتد نفوذها.. حتى بلغ تواصي الروس وأرمينيا وبحر الخزر شمالاً ..، وأقدام بلاد السند وما وراء النهر شرقاً «١»، وكان لتلك الدولة العظمى .. حاكم واحد .. عادل وقوي.. يرعى مصالحها نهاراً.. ويسهر الليل في تدبير شؤونها.

- ولقد قام بتقسيمها إلى بضعة أقسام إدارية.. سُمِّيَتْ بالولايات الكبرى. وهي:

مكة، المدينة، الشام، الجزيرة، البصرة، الكوفة، مصر، فلسطين..

- كما أنشأ بعض الولايات الفرعية.. التي سُمِّيَتْ وقتها، بالولايات الإقليمية. وهي:

الأهواز، البحرين، سجستان ومكران وكرمان، طبرستان، خراسان.

ثم قام بتقسيم بلاد الشام إلى قسمين:

الأول: وحاضرته حمص.. والثاني: وحاضرته دمشق..

أما فلسطين فكانت كما سبق الإشارة إلية ضمن الولايات الكبرى.. كقسم قائم بذاته.

ثم قسم أفريقيا إلى ثلاث ولايات.. وهي:

مصر العليا، مصر السفلى، غربي مصر وصحراء ليبيا «٢».

- وكان من الضروري، بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية العظمى، ابتداعُ نظام مالي.. يتلاءم مع الوضع الجديد للدولة، يفي بحاجاتها.. وتتوافر ضرورات النهوض بها..، لذا اهتم الحاكم العادل، ببناء بيت للمال.. في كل ولاية من الولايات .. تحفظ فيه الأموال الزائدة عن أرزاق الجند..، وأعطيات عامة المسلمين..، وكذا الأموال التي تفيض بعد الإنفاق الضروري على المصالح العامة.. في جميع الأنحاء والأرجاء.

-ولقد كانت موارد بيت المال المتمثلة وقتئذ.. في الزكاة والغنائم والجزية والخراج، كافية لتدبير شؤون الدولة الإسلامية العظمى، في ذلك العهد، وزيادة، حتى إن الحاكم العادل، كان يفرض للمولود فرضاً، يعين أهله على رعايته، كما كان يضع الجزية، عن فقراء وشيوخ أهل الذمة.. بل يجري عليهم من بيت المال مايصلح أحوالهم وأهليهم.

-هكذا كانت الدولة الإسلامية العظمى- في أول عهد المسلمين بمفهوم الدولة - جسداً واحداً.. تصل بين جوانحه العروق- لا الأعراق-وتربط الأعصاب- لا العصبيات-بين أعضائه والدماغ..الذي كان يعلو على الغرور.. ويتسامى عن الأطماع.. فأحس بالمسؤولية عن تعثر شاة رخيصة او بغلة عقيم - ولو كانت في العراق - وشعر بالألم.. عندما حمل إليه الأثير.. صدى وقع سوط ابن الأكرمين.. على جسم قبطي من مصر.. وقلباً واحداً.. تقابل الأوردة التي تَصُبُّ فيه بعض الهموم- وربما السموم - شرايين.. تحمل إلى كل الأعضاء.. الترياق والشفاء ..، ولسانا واحدا. يتردد في بواطن خلاياه - قبل أن يطفو على ظواهرها - شعار الإخلاص والتوحيد..، لا يختلف في الأذان جرس حروفه.. ولا يتخلف في النفوس أثره العميق..، بين عشية ليل يمضي.. وضحى يوم جديد..

• شجون

ابتعد الماء كثيراً عن المنبع.. تلوي به الطريق .. بين الصخور والحجور .. والأحراش..

- كان هَمُّ الطامعين - كُل في زمنه - أن ينفردوا بالغنيمة..، أن ينالوا - من دون عناء

- مـا في أحـشـائه من درٍّ.. حـفـروا له الأخاديد.. عمقوا الشقوق.. حولوه- لبعض الوقت - عن مساره الطبيعي.. وألقوا في أعماقه بشباك ضيقة الثقوب.. لا تدع شيئا يمر من خلالها.. سوى الماء .. ثم لم يكتفوا بذلك .. بل عكروه.. ورسموا له طريقا آخر.. يمضي به بعيداً عنهم .. حاملا غثاءهم وفضلاتهم .. إلى من يجيئون .. بعدهم..

- .. تطوّحت به السنون.. هذه السير.. كبِّل خطاه الوحل.. فتباطأ .. توقف.. كي يستعيد بعد أنفاسه. ويستعد لإكمال الرحلة..

- بيد أن وقفته طالت بعض الشيء - فركد.. تحول الغثاء والفضلات السابحة في مياهه.. إلى عوالق وطفيليات .. تتلاحم على سطحه.. تتصارع في أعماقه.. تراهن على تحلله.. وتغيره..

- الأمة الإسلامية اليوم .. رأس مصدوع.. يعالج الدوار.. وذهن مشتت الرؤى والأفكار.. وقلب متقلب.. لا ينتظم له نبض أو يقر له قرار.. وجسم متفسخ.. كلما عن له الوقوف.. أصابه الضعف والخور.. فانهار.. تطفح على بشرته البثور والدمامل.. وتغور في مواضع كثيرة منه.. الأخاديد والشروخ .. يتليس الشلل عضواً من أعضائه .. فيتوقف عن العمل.. ويسري الخدر في عضو آخر.. فيتطوّح .. ويترنح.. ثم يسقط.. ويصير من العسير على بعضه أن يشعر بما يعاني بعضه الآخر.. من جوع ومرض.. أو .. موت بطيء..

- وحين يظن الدم المسلم.. أن من حقه التجول بحرية .. داخل عروق الجسد الواحد .. يفاجأ - عند بعض المعابر - بنظم وقوانين.. تمنعه من المضي في طريقه.. إلا بجواز سفر.. وتأشيرة مرور.. محدد معها زمن الإقامة.. الغرض من الزيارة.. وكأنما بات المسلم المسافرُ .. من موضع إلى آخر.. داخل حدود الدولة الإسلامية الواحدة.. مستأمنا.. بعقد موقت.. لا ترقى صيغته.. إلى مستوى عقد الأمان.. الذي يمنح للقادم من دار الحرب - سواء كتابيا كان أو وثنيا - إن رغب في زيارة أو استيطان دار الإسلام..

- بعد أفول شمس الخلافة عن سماء الدولة الإسلامية الواحدة.. استقلت كل ولاية من ولاياتها عن أخواتها.. بمقدراتها وثرواتها.. وقصرت خيراتها - غالبا - على أبنائها ورعاياها.. وتفاوتت - بمضي القرون واختلاف القوانين التي تسودها من حيث الدنو من الإسلام أو التداني عنه - مقومات الحياة.. بين كل منها والأخريات. أو بين كل من أفراد كل منها والآخرين.. كما اختلفت - بتوالي الصراعات بين القبائل والعشائر والبطون.. وكذا احتكاك بعضها بما يجاورها من أعمال غير المسلمين - نظم الحكم في تلك الولايات .. بين إمارة وسلطنة.. جمهورية ومملكة.. وغيرها من النظم. التي لا يستطيع الحكم بدونها من الإسلام أو نبوها عنه .. إلا من توافرت فيه الكفاءة والعدالة.. وسنحت له فرص القرب منها والاحتكاك بها.. ثم تفرغ الدراسة المتأنية الجادة.. والمقارنة الموضوعية المحايدة..

- أما نحن - أنا وأنت وسوانا- فلن نختلف على اعتبارها أنظمة بشرية .. لها مالها.. وعليها ما عليها.. وما أكثر الأحوال.. التي تقدمت فيها مسميات النظم على التطبيق.. أو تخلفت عنه.

❖❖❖

● شؤون

- تبحث أمم الغرب اليوم - بجد واجتهاد - عن صيغة حتمية موضوعية للتجمع والاتحاد.. تمليها ظروف التقارب أو التشابه.. في الرؤية الواقعية.. لما هو متاح اليوم.. وما هو ممكن في الغد.. وتؤيدها في ذلك.. وحدة المصالح وضرورة التصالح.. كما تدفعها إليه نية خالصة - أو هكذا تبدو.. لتحقيق أعلى مستوى ممكن.. من الرفاه والإشباع.. بأدنى أو أنسب جهد مستطاع.. من دون التغاضي عن أصول الإتقان والإبداع.. وتستفتي في ذلك الشعوب والجماهير .. قبل الحكومات أو الدساتير..

- لقد أدركت أمم الغرب.. أن الطريق إلى الغد.. لا يستقيم.. من دون الاسترشاد بمعالم واضحة .. من التكاتف والتضامن.. التحالف والتعاون.. الاتحاد - إن أمكن - بين الأحلاف.. أو الائتلاف - رغم الاختلاف - بين العقائد والحضارات.. نظم الحكم والتوجهات .. الحظوظ والمقدرات.. ولا يزيدها ماتسفر عنه اجتماعات ممثليها.. من تباين عميق .. إلا ثباتا على الطريق .. وإيمانا بلزوم المضي فيه من دون إبطاء.. لقطع السبيل.. أمام الخطر المقبل من بلاد.. مازال فيها إناس يركبون الحمير.. ويرعون الضأن.. ويستسيغون لحم الجزور..

- وتبحث الأمة الإسلامية المفككة اليوم.. عن وشيجة تضم أجزاءها.. أو حلقة تلملم ما انفرط من حبات عقدها.. فلا تجد.. رغم اتفاقها في الكثير الكثير.. مما تختلف عليه أمم الغرب.. واتحادها في الكثير الكثير.. من أواصر القرب ولحم النسب..

- ولسنا في حاجة إلى إجازة تشخيص العلل والأدواء.. لتحديد ما انصب على ربوع الإسلام من بلاء.. خلال بضعة قرون.. نمت أيامها وأعوامها .. صنوف شتى من التفسخ المذهبي والفساد الاجتماعي.. كما تسربت خلال سنيها ولياليها.. تيارات كثيرة من الأفكار الفلسفية الوضعية.. ونظريات الحكم الاجتهادية.. التي تلبست ببعض الأنظمة التي كانت من قبل.. ضمن منظومة الإسلام .. فانحازت بها إلى الانعزال.. أو انطلقت بها نحو التوسع والاستغلال.. أو انحرفت بها إلى ما يشبه التبعية والتواكل..

- ما إن يبزغ فجر يوم جديد.. ببشرى توقيع اتفاق مبرم - بالتضامن والتعاون أو التكامل والتكافل - بين اثنتين أو أكثر من دول الإسلام.. حتى يحل ليل يوم آخر.. بنذير نقض ما تم إبرامه.. أو فسخ ما تأكد عقده..

- المسلمون اليوم .. يأسهم بينهم شديد.. وحاجتهم إلى اجتماع الكلمة.. وإعادة بناء الأمة.. بغير حاجة إلى توكيد .. وإلا.. كان في انتظارهم.. البديل اللامعقول.. أو الحليف القوي.. وإن كانت له - في ثرواتهم ومقدراتهم - تطلعات وأطماع.. أو هو - بمعنى آخر - الخليفة العصري.. وإن كان متهما - في أخلاقه وذمته - من أقرب الرعايا والأتباع.

- ولهذا الخليفة الجديد .. ملامح أخرى .. غير التي كانت للخليفة العادل .. فقوة الثور ورعونته.. من مزاياه.. ودناءة الخنزير وبلادته.. بعض سجاياه.. وعشق النفوذ والتسلط على النفوس..غريزة ثائرة.. لا يكبح جموحها اصطباغ الأرض بدماء ما لا يحصى.. من ضحاياه..

- لديه الكثير من المكاييل والأقداح.. التي اختص الصهيونية بأوفاها.. وجعل

للصليبية ماتلاها.. وللإلحاد عنده مكانة رفيعة.. لا يزاحم إياها.. وما تبقى من صنوف الموازين.. فللعرب غير المسلمين ..، ثم للعرب وغير العرب من المسلمين..

- والخليفة الجديد..، غير جديد في طرازه وأسلوبه..، فهو نموذج مكرر..، وقالب غير مطور .. للاستعمار في أقبح صوره وأحط أطره..، جل همه..، التسلط والقهر..، وغاية حلمه.. الولاية العامة والخاصة ..، على البشر .. كل البشر.. في البر والجو والبحر...

- وهو يسعى لتحقيق ذلك .. بين سبل كثيرة ودروب معهودة..، فالرقاب يأسرها المنح والعطاء..، ويكسرها المنع والإقصاء..، ويكبلها القرض حين يعز الوفاء..

- وبيت ماله.. فيه عجيب... لا تحصى مفاتيحه ولا تحصر مفاتحه..، بيده أنه - رغم ذلك - شره لا يشبع ..، طموح لا يقنع..، بفرض مايشاء من الخراج والجزاء .، على من يشاء من رعاء البقر أو رعاء الشاء...؟ ومن يسوف في الدفع أو يتردد ..، يناله العقاب الصارم .. من دون تردد..

- وحين يقوم بتطوير أسلحته..، يفتعل الخصومات بين الأشقاء ..، وينفخ في اللهب .. حتى يصير ناراً شعواء .. يمد أطرافها بما فاض عن حاجته.. من قديم «موديلاته» أو فائض ترسانته..، ليستبدل بها نعما من البترول..، أو نظماً سياسية.. تحظى منه بالرضوان والقبول..

- كلما بدت على سيماء إحدى ولايات الإسلام - أو ما تبقى فيها من صبغته - بوادر عملقة..، سارع إلى عزلها. وتأليب أتباعها عليها..، تمهيدا لافتراسها.. أو بتر ذراعيها ..، وإطفاء الضياء في عينيها .، لوقف نموها وتقدمها..

- وحين تلوح تباشير صحوة... أو علامات يقظة.. على قسمات حكومة إحدى هذه الولايات..، يبادر الخليفة العصري.. إلى وضعها في قائمة ما يسمى بالإرهاب الأصولي..، كخطوة أولى.. تليها خطوات... لا يناسبها أن ننسبها إلى أفعال الوحوش في الغابات..، ويدفع العلم بعواقبها أغلب حكومات الولايات الأخرى .. الى تجنب المخالطة ..، حذرا من شبهة الاتهام.. بالعدوى..

◆◆◆

● واقع .. مر

- إن تداعيات الواقع الراهن .. لدول الإسلام..، تكاد أن تتفق مع الرأي القائل:

- .. إن تلك الدول..، قد غيرت اسم دينها القديم.. لا الدين نفسه..، وإن الدين الجديد هو الذي تغير.. حتى يتفق مع المعتقد القديم..، بل إن التغير الذي لحق بالأديان..، التي انتقلت من أمة إلى أخرى.. وصل إلى درجة..، لم يبق معها من الدين المعتنق حديثاً.. إلا اسمه.. وصورته..»

- كان من الطبيعي ..، أن يقوم الاستعمار - بعد لم الفلول وجر الذيول ..، من ربوع العالم الإسلامي - بعملية انسلاخ..، يخرج بعدها الى الناس.. في ثوب جديد..، تلونه الحضارة الفتية ..، وتزينه نقوش السلام والحرية..، ولقد نجح - بعد إضافة بعض الرتوش إلى وجهه وأثيابه - في إخفاء معالمه القديمة..، خلف ابتسامة ساحرة..، خدع بها .. أو انخدع لها .. بعض ضحايا الأمس القريب..

- قام يدعو - بكل تبجح وصفاقة - إلى الأخوة والتعاون.. نبذ الأحقاد والتطاحن..، في سبيل النهوض بالمجتمع الإنساني..، وتحقيق العدل بين الداني والقاصي..، تأكيدا للمساواة في الحقوق ..، ومحواً لما نما بين الناس.. من فروق.

- ولقد أفلح- خلال فترة قصيرة من احتكاره للخلافة العالمية.. من دون مبايعة - في طمس الكثير من ملامح الهوية الإسلامية..، بتفريغ التاريخ الإسلامي من مضمونه ومقوماته..، وتجريد الفكر الإسلامي .. من قيمه وقناعاته..، وطرح الكثير من نظريات التطور والتحول والتجديد..، وما صاحبها من افتعال الصراع بين الأجيال ومقارنة الأديان..، وإحياء الأساطير والفلسفات الوثنية ..، داخل إطار ما يسمى بالحرية الفكرية..، وانسحاب ذلك كله.. على أغلب النظم السياسية والعلوم الإنسانية..

◆◆◆

● خطوة .. على الطريق

- كثيراً ما يهمل المريض تناول الدواء .. الذي نصح به طبيب أريب.. أو صيدلي مجرب..، لا لشيء سوى مرارة المذاق..، وربما كانت المرارة في حلقه هو.. لا في الترياق..

- وحين تسوء به الحال..، يهفو ما به من علل .. إلى شيء من الأمل..، ولو كان طعمه الحنظل..

- بيد أنه يفاجأ.. أن بينه وبين مارفض بالأمس .. مفازة كبرى ..، ينبغي اجتيازها..، ببرنامج طويل .. من العلاج بالمسكنات والمنظمات ..، وشيء غير قليل.. من المقومات البدنية والنفسية ..، قبل أن تستجيب علله.. للدواء الأول..

- ولما كان المرضى يعانون .. أشد المعاناة..، من الأعراض الجانبية..، للأدوات المخلقة من مواد كيمياوية..، فقد قام جماعة من الحكماء.. ببادرة تصحيح ..، تدعو للعودة إلى الطبيعة..، لعلاج ما يصيب البدن من سقم..، بما تنبت الأرض من بلسم..، وهي دعوة طيبة..، لا يدوم أثرها..، إلا أن يتساوق معها.. دعوة أخرى..، للعودة إلى الفطرة..، لعلاج ما يلم بالروح من ألم ..، بما نزلت به ملائك السماء.. من هدى وشفاء..، لا يلزم لتعاطيه..، سؤال طبيب أريب.. أوصيدلي مجرب..

- والفطرة.. هي الإسلام..، إقامة الإسلام في القلوب قبل القوالب..، في الصدور قبل السطور..، رؤوس الحكام .. قبل من تطبق عليهم الأحكام..

- وقيام دولة الإسلام..، يقتضي إفراغ القلوب من الأزلام والأنصاب..، تفريغ الجيوب من هويات الأحساب والأنساب..، دفن مومياوات الجنسيات في التراب..، وإعادة بناء الصرح من جديد..، بدءاً من توحيد التوحيد.. ومروراً بإصلاح بيت المال..، وانتهاء بإعادة بناء النساء والأطفال والرجال..

- وإن عزت الخلافة اليوم..، ففي الإمتثال للأحكام الشرعية.. استخلاف ..، وفي صدق الاعتصام بحبل الله تعالى تحالف..، وفي إخلاص العمل لصالح المسلمين .. تمكين..، وفي وحدة الصف ونبل الهدف.. بديل عن التبعية أو الخوف..

- وفي الغد القريب ما يؤيد ذلك..، لو صحت النيات والعزائم.. منذ اليوم..

بنواسماعيل وبنو إسرائيل

قراءة فكرية في الصراع الحضاري

الدكتور/ أحمد عيساوي

الجزائر

شجر منذ قرون بعيدة جدا خلاف كبير بين أبناء إسماعيل وأبناء إسرائيل، ومازال هذا الخلاف قائما - للأسف- إلى اليوم، نظرا لتمسك كل طرف بأطره المرجعية المُعضدة لموقفه الحضاري تجاه نظيره الآخر، ما أدى إلى استمرار واشتداد حدة التوتر والصراع بينهما جيلا بعد جيل.

وبالرغم من طول وشدة عمر الصراع القائم بينهما، إلاّ أنهما مازالا يغلقان أبواب الحوار الحر والجاد والهادف بينهما، تأسيسا على مقولات أطرهما المرجعية المانحة الحق لكل منهما فيما يذهب إليه ضد الآخر.

ولذا فقد بات من الضروري اليوم على عقلاء الأمتين فتح قنوات الحوار الجاد والموضوعي بينهما، يعرضون من خلاله وقائع وأحداث الصراع بكل موضوعية وصدق وحياد، باسطين - في الوقت عينه - صفحاته التاريخية الدامية بينهما، مشرحين كل أسبابه ودوافعه وامتداداته ونتائجه وإفرازاته على الأمتين طيلة القرون العدائية المنصرمة.

مستبعدين - في الوقت عينه - مرجعية التحاكم للأطر المرجعية الخاصة بهما، لكونهما يشكلان أس الخلاف القائم بينهما، على اعتبار وضوح الروح الإقصائية والإلغائية العلنية بداءة للطرف الآخر لدى مرجعية بني إسرائيل الدينية (التوراة + التلمود)، وتدرج مرحلية وحكمية البراءة من الطرف الآخر لدى مرجعية بني إسماعيل الدينية.

وبالتالي فكلا المرجعيتين تشكلان وتري إلغاء وإقصاء وحرمان للطرف الآخر، بالرغم من وضوح وتميز الفارق المنهجي والحكمي لدى مرجعية بني إسماعيل الدينية، التي تدرجت - منهجيا - في صيغتها الحكمية والتبرئية من الطرف الآخر، عبر ثلاثة مستويات تاريخية من عمر الدعوة الإسلامية تبلور معها الحكم الشرعي التبرئي من الطرف الآخر، فبعد تقديم الصورة النموذجية الاقتدائية الاهتدائية عن بني إسرائيل في القرآن المكي للمؤمنين من أتباع الرسالة الإسلامية كمضرب مثل للإيمان بالله تعالى واتباع تعاليمه وأنبيائه ونصرتهم والصبر على البلاء ومقاومة الطغيان والجبروت الفرعوني في الأرض .ما جعلهم أنموذجا يحتذى ويُقتدى به لدى الفئة المؤمنة بالرسالة الإسلامية من أبناء إسماعيل، مركزا فقط - ولاعتبارات دعوية منهجية - على الجوانب المضيئة من تاريخهم الديني، ثم تدرج بهم حكميا - من بعد ذلك تمهيدا للتبرىء النهائي منهم - في بداية المرحلة المدنية مراكز على أهم وأكمل صفاتهم بين بني عمومتهم العرب الأميين، كأهل علم وكتاب مقدس وقراءة وتاريخ، وبكونهم كانوا محضنا إلهيا مختارا لمعظم النبوات والرسالات، على أمل استمرارهم وتوغلهم في أبعاد الصورة النموذجية الاقتدائية الاهتدائية التي رسمها لهم في المرحلة المكية السابقة، ولكنهم - وللأسف - وقفوا من مرجعية ونبي بني إسماعيل المُصدق والمُؤيد والمُوقر لهم ولمرجعيتهم ولتاريخهم ولأنبيائهم ولنضالهم وجهادهم الدعوي المرير موقفا عدائيا شديدا، كُشفوا وفُضحوا فيه تدريجيا، ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون. وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون﴾(البقرة : ٤٠، ٤١)، ولم تُقص المرجعية الدينية الإسماعيلية منهم أحدا أحب أن يلتحق بركب الدعوة الإسلامية، فكان منهم كبير أحبارهم الصحابي الجليل (عبد الله بن سلام) رضي الله عنه صاحب المكانة المرموقة في صدر الإسلام، كما كان منهم شهيد أحد الذي لم يصل قط، وكانت منهم أم المؤمنين وزوجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (صفية بنت حيي بن أخطب) رضي الله عنها، وبعد أن طهرت وبرأت ولُعنت مرجعية الإسلام صورة أعظم نبيين عندهم (داود وسليمان) عليهما السلام المحمولين في خلد الأجيال عبر التاريخ كساحرين كبيرين، وطفا السحر والشعوذة لاستعباد الإنس والجن، ولتضعهم في النهاية في خانة المعادين المقصين من الكفار الخائنين المعادين لله ولرسوله ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾(التوبة،١)..... ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ..﴾(التوبة، ٣).

فهي على العكس من مرجعية بني إسرائيل الإقصائية بداءة والإلغائية أصلا من دون مناقشة أو

تدرج حكمي في حق بني عمومتهم التي ترى إمكانية قبولهم ومحاورتهم وفصلهم عن جرائر وتبعات سابقيهم، وذلك قبل إصدار الحكم النهائي عليهم عملاً بالمبدأ القرآني (ولا تزر وازرة وزر أخرى).

ولذلك فإننا سنبقي في قراءتنا الفكرية هذه المرجعيتين الدينيتين - على الرغم من التفاوت المنهجي بينهما في روح الانفتاح والانغلاق والتحاور مع الآخر - بعيدا عن مجال النقاش، ولن يكون لنا مصدر تعبير أو تقويم أو عودة مرجعية - إلاّ بمقدار ما يخدم الموقف - بقصد تحرير النقاش.

ولنستعرض القضية تاريخيا باحثين عن نقطة الخلاف الجوهرية بينهم وبين بني عمومتهم بني إسماعيل، الذين صار بيت النبوة فيهم، بعد أن تحول إليهم من بني عمومتهم بني إسرائيل إلى الأبد، ولنر أيضا حجم الامتيازات التي جنوها من تلك النبوة طيلة قرون التفضيل والاستعلاء على الناس، وما قدموه من إسهامات حضارية للبشرية كحملة للوحي وكمحضن للنبوات - إن وجدت قبل الإسلام - مقارنة بالامتيازات التي جناها بنو عمومتهم بنو إسماعيل عندما تحولت النبوة فيهم .

ما فضل بني إسرائيل على العالمين من يوم أن ولدوا من نسل إبراهيم أبي الأنبياء؟

• أين هو فضل بني إسرائيل على العالمين ؟

ونتساءل الآن، ما فضل بني إسرائيل على العالمين من يوم أن ولدوا من نسل إبراهيم أبي الأنبياء، ومن بعد أن صارت فيهم النبوة والكتاب أيضا؟

تبعا لما أشارت إليه توراة العهد القديم وخصوصاً في سفري التكوين والخروج، وكذلك القرآن الكريم.

نزلت التعاليم الإلهية في بني إسرائيل منذ أن رزق نبي الله إسحاق عليه الصلاة السلام بابنيه (عيصو ويعقوب إسرائيل) عليهما السلام، وكانت النبوات فيهم تباعا لحقب عديدة من الزمان، واختارهم الله تعالى ليكونوا أفضل العالمين، وذلك باتفاق وتصريح المرجعيتين (التوراة، والقرآن) حول هذا التفضيل.

وكما فُضلوا على العالمين اعتباريا، بهدف تشكيل المجتمع الأفضل الذي يُرضي الله تعالى في الأرض، ويجعله يفتخر بهم على سائر مخلوقاته البشرية ككيان نموذجي فاضل اتقن تشكيل وصياغة الفرد والكيان، فإن الله تعالى كان قد أكرمهم وفضلهم بمكارم مادية ومعنوية شتى فوق احتضان النبوات والتفضيل على العالمين، منها ما هو معيشي حياتي: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المَنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)(البقرة : ٥٧)، ومنها ما هو بيئي: (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)(البقرة : ٦٠)، ومنها ما هي كياني تكريمي يدخل في صميم نهضة كياتهم وقيامه، (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) (البقرة : ٤٩)، ومنها ما هو تربوي تعليمي تمثل في إتياء الكتاب: (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون)(البقرة : ٥٣)، ومنها ما هو تعظيمي لهم : (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون)(البقرة، ٥٠)، ومنها ما هو أخلاقي.. وذلك باتفاق وتصريح المرجعيتين معا، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا.

وفوق هذا وذاك فقد كان المولى تبارك وتعالى يخاطبهم عن قرب، وينادي بأحب آبائهم إليهم، وينسبهم إلى أبيهم إسرائيل عليه السلام، ويصفهم بكونهم أهل الكتاب والكتابة والقراءة .. وغيرها من قيم التكريم ..

ولكن ماذا جنى بنو إسرائيل جراء سيول التكاريم الإلهية لهم، وجراء خلقهم من نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب؟ وماذا فعلوا طوال القرون التي فاخروا وتفاضلوا على البشرية بها ؟ وماذا قدموا لأنفسهم بذلك التفضيل؟ وما قدموه للبشرية الضالة ؟ وما الخدمات التي قدموها وخدموا بها الحضارة الإنسانية؟ كما نتساءل أيضا عن موقعهم الحضاري قبل الإسلام؟ وموقعهم عند مجيئه ؟ ثم موقعهم بعد عالميته وانتشاره؟ وما المكانة التي أولاها لهم ؟ في المشرق أو في المغرب أو في الأندلس ؟

تكفي بعض الإحالات العلمية نحو المصادر التاريخية لمعرفة موقع اليهود الحقيقي بين الأمم قبيل مجيء الإسلام، وما الفوائد التي قدموها للأمم المجاورة لهم التي كانوا يعيشون في كنفها، وتوعية الإسهامات المضيئة في تاريخ الحضارة الإنسانية التي أضافوها.

كما تكشف لنا المصادر التاريخية عن مكانتهم الوضيعة لدى الشعوب التي عاشوا بينها مترقبين العودة المزعومة إلى أرض الميعاد التي رفضوا الدخول إليها، والتي لم يحسن أحفادهم الحفاظ عليها بعد داود وسليمان عليهما السلام.

ومن دون الدخـول للبـحث في التفاصيل التاريخية نتساءل عن نوعية المعايير التي وضعها اليهود للرقي قدما بالحضارة الإنسانية، التي يدعي الكثير من الجاهلين بحقائق التاريخ دور اليهود وإسهاماتهم الزاهرة فيها، كما نتساءل ايضا عن نوعية المعايير التنافسية التي دعموا بها مسيرة الإنسانية؟

لقد ترتب عن تلك التكريمات الربانية لهم أن خلع اليهود على أنفسهم هالة من الامتيازات، وبوأوا أنفسهم مكانة سامقة بعد رب العالمين الذي ادعوا بنوتهم إليه تارة، ومحبته الخالصة لهم تارة أخرى، ودلالهم المتميز عليه تارة ثالثة، وحسن المآب والعاقبة لديه حين موتهم تارة أخرى.. مستبعدين أي معيار تنافسي آخر يُدخل غيرهم من الأمم في عملية التفضيل تلك.

كما ترتب عن بنوتهم لإسرائيل - يعقوب -عليه السلام أن جعلوا أنفسهم عرقا مفضلاومتميزا على سائر العالمين، مؤصلين بذلك النهج العنصري الضال بروز أولى بذور الكيانات العنصرية والعرقية في الأرض.

فكانت طبيعتهم الابتزازية واضحة، ومن خلال ممارساتهم العملية الفردية والجمعية والكيانية المتسمة دائما بروح الاستعلاء والاستكبار على الناس، فهم - على عكس ما يزعم به بعض الجاهلين بحقائق التاريخ -لم يقدموا للحضارة الإنسانية غير التعالي والتكبر والحقد والكراهية، والحسد للأمم الناهضة مثل (الرومان . العرب . الفرس ..) التي أنشأت الكيانات القوية والحضارات الراقية من دون تمييز عرقي أو عنصري بين أفرادها، ولذلك فقد كرهتهم الإنسانية قرونا طويلة، وعادتهم وحاصرتهم في (غيتوهات مغلقة) تحسبا لطبيعتهم الشريرة.

كما أغلقوا على أنفسهم حصونهم وصياصيهم بعد توجس ومحاصرة الأمم المجاورة لهم، فإنهم قد منعوا الناس من اعتناق دينهم والدخول فيه، جاعلينه دينا عنصريا مغلقا مقصورا عليهم فقط، مستبعدين أيضا أي ميزان تنافسي يرتقي بغيرهم نحو معارج الكمال الديني، ليبقوا وحدهم سادة العالم وقواده.

وهكذا - كما يشير تاريخ وتوراة اليهود - فقد سخّر بنو إسرائيل الدين وعراقة النسب الإبراهيمي للتمايز عن الآخر، وجعلوه معيار التفاضل وأساس التشامخ الأبدي بينهم وبين سائر البشرية . الذين كانوا في بدء الأمر كسائر الشعوب والأمم المجاورة وصاروا اليوم على وجه الخصوص أمة العرب والشعوب الإسلامية وأعداء السامية.

• بنو إسماعيل والعالمية العقدية

ونتساءل الآن عن نقطة الخلاف الجوهرية بين بني إسرائيل وبني إسماعيل التي نراها متركزة أساسا في تحول بيت النبوة منهم إلى بني عمومتهم بني إسماعيل ؟ كما نتساءل عن الامتيازات التي جناها بنو إسماعيل جراء تحول بيت النبوة فيهم ؟ ونوعية المعايير التنافسية التي وضعوها أسسا للتفاضل بين البشرية ؟ وماذا قدموا للحضارة الإنسانية؟ وما قدموه خصوصاً لليهود المحاصرين فيها؟

يمكن إجمال وضعية بني إسماعيل بعد تحول بيت النبوة فيهم فيما يلي من العناصر:

١ - رفضوا كل تمايز عرقي عنصري يُفضّلهم على غيرهم، وجعلوه أسا عظيما من أسس دينهم، حاشرين بميزان المساواة كل من اعتنق دينهم، وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية يبين موقع ومكانة وإسهامات ... المسلمين من غير العرب فيها، عملا بالمبدا الإسلامي (يأيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب) «حديث مقتطف من خطبة حجة الوداع».

٢ - جعلوا معيار التفاضل بين الناس معيارا روحيا وسلوكيا نوعيا، يمكن أن يمارسه ويأتيه جميع المعتنقين للدين عملا بالمبدا الإسلامي (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، «لا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود ولا أبيض على أحمر إلاّ بالتقوى) .

٣- وقفوا مع الناس جميعا في خط الانطلاق، ولم يتفاضلوا عليهم، وتسابقوا معهم بعدالة ومساواة مطلقة، عملا بالمبدا الإسلامي (الناس سواسية كأسنان المشط)، و (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه).

٤- اعتبروا الانتساب لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مسؤولية أخلاقية وحضارية، وليس شرفا وتشامخا على الناس.

٥ - فتحوا الدين ولم يجعلوه دينا مغلقا امتيازيا خاصا بهم، يمنحهم فرصة التفاضل الأبدية على الناس.

٦ - جعلوا الناس جميعا بمن فيهم أبناء عمومتهم بني إسرائيل في الميزان والمعيار التنافسي الطبيعي نفسه.

٧ - منحوا الناس بعامة وأبناء عمومتهم بخاصة فرصة تطلعية ثانية للنهوض الحضاري، ولم يغلقوا على الناس منظومتهم الحضارية.

٨ - لم يلقوا من سيول التكريم الإلهي مثل ما لقيه بنو عمومتهم، بل على العكس منهم، فإن كل ما حصلوه من نهوض حضاري كان بفضل التضحيات الجسام والجهود العظيمة التي بذلوها بإخلاص وصدق وصبر في مشارق الأرض ومغاربها.

٩ - أعطوا الفرصة تلو الأخرى لبني عمومتهم أبناء إسرائيل، وسمحوا لهم في حال اعتناق الدين أن يصبحوا كغيرهم من المسلمين، وأن يحتلوا مكانتهم المهنية والإنسانية في حال حفاظهم على خصوصيتهم الدينية.

١٠- بوأوهم مختلف المناصب السامية في الحضارة الإسلامية (الطب . الصيدلة . التعليم . الترجمة . الصيرفة).

١١- تبنوا الإرث النبوي السماوي السابق عملا بالمبدأ الإسلامي (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ..) (البقرة:٢٨٥).

فأين هي - تاريخيا والآن - مكانة أبناء العمومة في البشرية لما وصلوا إلى مسؤولية التكليف ؟ ومن منهما قدّم للبشرية الخير والتقدم والازدهار ؟ ومن منهما خدم الحضارة الإنسانية وأسهم فيها ؟ ومن منهما فتح منظومته الدينية على الآخرين ؟ ومن منهما ساوى نفسه مع غيره؟ نحن أبناء إسماعيل .. أم أبناء العمومة أبناء إسرائيل؟

الاقتصاد الإسلامي بين تحقيق العدل وتحقيق التقدم

د. رفعت السيد العوضي- مصر

يعارض الإسلام أناس من غير المسلمين وهؤلاء يصنفون على أنهم يعارضون الاقتصاد الإسلامي صراحة وضمناً، بجانب هؤلاء فإن هناك فريقاً من المسلمين يعارض الاقتصاد الإسلامي. وهؤلاء يصنفون في فريقين: فريق يرى أن إسهام الإسلام في الاقتصاد إنما يتمثل في الجانب الأخلاقي وفريق يرى أن الاقتصاد الإسلامي بأحكامه الثابتة كانت له صلاحيته التطبيقية في العصر الذي جاء فيه التشريع الإسلامي، وقد انقطعت هذه الصلاحية في العصر الحاضر.

هذا الفريق بقسميه أعلن صراحة أن الاقتصاد الإسلامي لا يمكن أن يصبح نظاماً، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن تطبيقه يؤدي إلى تخلف الحياة الاقتصادية والعودة بها إلى ما كانت عليه عندما جاء الإسلام (في القرن السابع الميلادي).

وسنحاول أن نثبت أن تطبيق الاقتصاد الإسلامي يحقق العدل والتقدم ونانج ذلك من طبيعة التشريع فيه، وعندما يثبت أن الاقتصاد الإسلامي يحقق التقدم الاقتصادي ويدعمه، فإنه يثبت معه عدم صدق القول إنه يؤدي إلى العودة بالحياة الاقتصادية إلى الماضي وبالتالي إلى تخلفها.

أولاً: الأصل في الاقتصاد الإباحة

يقول الإمام ابن تيمية(١): "إن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم وعادات يحتاجون إليها في دنياهم. فمن خلال استقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع، أما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه والأصل فيه عدم الحظر فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى. وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لابد أن يكون مأموراً بها، فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم عليه بأنه عبادة؟!.. وما لم يثبت من العادات أنه منهي عنه كيف يحكم عليه أنه محظور؟! ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾(سورة الشورى،٢١)، والعادات الأصل فيها العفو فلا يحظر منها إلا ما حرمه الله وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا﴾(سورة يونس، ٥٩)، وإذا كان كذلك فالناس يتبايعون ويستأجرون كيف يشاؤون ما لم تحرم الشريعة .. ولم تحد الشريعة في ذلك حداً فيبقون فيه على الإطلاق الأصلي".

يتبين من هذا الرأي للإمام ابن تيمية أن الأصل في العادات الإباحة.

والعادات مصطلح يشمل كل ما يتعلق بأمور الحياة الدنيا من اقتصاد وسياسة وغير ذلك بعبارة أكثر توضيحاً: الأصل في كل أمور الاقتصاد أنها مباحة.

بناء على ذلك نستنتج أن أمور الاقتصاد قسمان: القسم الأول يكون على الإباحة الأصلية والقسم الثاني فيه أحكام، يشيد رأي الإمام ابن تيمية(٢) أن معظم أمور الاقتصاد تصنف في القسم الأول، أي أنها مباحة.

ماذا يعني ذلك في موضوع الاقتصاد الإسلامي والتقدم الاقتصادي، لقد ترك الإسلام أكثر أمور الاقتصاد للإنسان يديرها بعقله وبتجربته، لقد ترك الإسلام أكثر أمور الاقتصاد للإنسان ليتفاعل معها وفيها، بحيث يختار منها الأصلح والأنفع للحياة الاقتصادية. لقد ترك الإسلام أكثر أمور الاقتصاد للإنسان ليطورها. لقد ترك الإسلام أكثر أمور الاقتصاد لتتطور مع تطور كل مجالات الحياة وبحيث لا تنقطع عنها. لقد ترك الإسلام أكثر أمور الاقتصاد ليطورها الإنسان تفاعلاً مع الآخر واستفادة من التراكم الحضاري للإنسان.

النتيجة التي نستنتجها: هي أن الاقتصاد الإسلامي مع أنه يعتبر الفقه ضمن مصادره يحقق التقدم الاقتصادي في هذا الجانب من جوانب الاقتصاد عندما يربطه بالتطور العام للإنسان.

هذه المنطقة في الاقتصاد إذا كانت قد ربطت بالتطور العام للإنسان فإن الإسلام يؤمن التطور الصحيح فيها ويدعمه.

استكمال النص السابق لابن تيمية، يقول فيه: "إن التشريع قد جاء في هذه العادات بالآداب الحسنة"(٣).

والآداب الحسنة مصطلح يشمل كل ما ينظم سلوك الإنسان وعلاقاته في أمور الاقتصاد التي جاءت على الإباحة الأصلية، هذه الآداب الحسنة جاءت تفصيلاتها في كتابات المسلمين، وعندما تعرف وتعرض فإنها كما قلت عنها تؤمن التقدم الاقتصادي وتدعمه، ومعنى تؤمنه أن هذه الآداب تربط الاقتصاد الإسلامي بقيم عليا تجعله يحقق العدل.

ثانياً: طبيعة منطقة الإباحة وتفاعلها مع التقدم

الاقتصاد الإسلامي فيه منطقتان: منطقة الإباحة ومنطقة الأحكام، واعتبرنا ذلك مرحلة في إثبات أن الاقتصاد الإسلامي يحقق التقدم الاقتصادي. نعمل في هذه الفقرة على أن نتقدم في إثبات ذلك، أي إثبات أن الاقتصاد الإسلامي يحقق التقدم الاقتصادي وذلك بالتعرف إلى طبيعة كل

من منطقة الإباحة ومنطقة الأحكام.

فأمور الاقتصاد تصنف في تصنيفات متعددة أو تقسم إلى أقسام متعددة ونقترح تصنيفاً أو تقسيماً لأمور الاقتصاد بحيث يمكن أن نوظفه في الموضوع الذي نتحدث عنه. هذا التصنيف أو التقسيم هو كمايلي: أمور الاقتصاد منها ما يتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومنها ما يتعلق بالجوانب الفنية للحياة الاقتصادية. نحاول أن نزيد هذا التصنيف أو التقسيم توضيحاً من خلال أمثلة. كل ما يتعلق بالفن الإنتاجي في الزراعة أو الصناعة أو غيرها يصنف على أنه أمور فنية في الاقتصاد، كل ما يتعلق بوسائل الاتصالات في الاقتصاد من بيوع وغيرها مثل الاتصال الشخصي أو بالتليفون أو بالإنترنت (التجارة الإلكترونية) يصنف على أنه أمور فنية في الاقتصاد، كل ما يتعلق بأساليب الصياغة والتحليل في علم الاقتصاد يصنف على أنه أمور فنية في الاقتصاد، كل ما يتعلق بالمؤسسات مثل الدواوين والوزارات والأشكال القانونية للشركة والمصارف يصنف على أنه أمور فنية في الاقتصاد. هذه أمثلة للأمور الفنية في الاقتصاد والتي يمكن القياس عليها والاسترشاد بها.

أمور الاقتصاد التي تتعلق بالإنسان فيها ما يلي: العقود التي تحقق العدل أو تمنع الظلم، العقود التي فيها غرر غير مقبول شرعاً، العقود التي فيها جهالة تفضي إلى ظلم، النشاط الاقتصادي الذي ينتج سلعة ضارة بالإنسان. هذه أمثلة لأمور الاقتصاد التي تتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، ويمكن القياس عليها والاسترشاد بها.

الإمام الشاطبي يعبر عن هذه المنطقة في الاقتصاد التي جاءت فيها أحكام بالعبارة التالية:

"إنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرة فوت النجاة والنعيم"(٤).

نوظف هذا التصنيف أو التقسيم الاقتصادي في موضوع التقدم الاقتصادي في ظل الاقتصاد الإسلامي. نبدأ هذا التوظيف بالتساؤل التالي: هل يقع التقدم الاقتصادي في منطقة الفن الإنتاجي ووسائل الاتصالات والمؤسسات أم في منطقة العلاقات بين الناس؟ الإجابة على هذا التساؤل تحدد العلاقة التي تقوم بين الاقتصاد الإسلامي والتقدم الاقتصادي، لا شك أن الجانب الفني في الحياة الاقتصادية بما فيه من أساليب إنتاج ووسائل اتصالات ومواصلات، وبما فيه من مؤسسات وبما فيه من أشكال ونماذج للصياغات في العلوم - هذا الجانب هو موضع التطور، التطور في هذا الجانب ملموس وواضح، بل إن التطور في هذا الجانب يتتابع وباستمرار، بل إن عالمنا المعاصر يشهد طفرة غير مسبوقة في تطور أساليب الإنتاج والاتصالات، ويشهد تطوراً واضحاً فيما يتعلق بالمؤسسات، ويشهد تطوراً عميقاً فيما يتعلق بالصياغة في العلوم.

أمور الاقتصاد التي تقع في هذه المنطقة تركها الإسلام للإباحة الأصلية، أي أنها ربطت بالتطور العام للإنسان. ما دام الأمر على هذا النحو فإنه لا يقبل القول: إن تطبيق الاقتصاد الإسلامي يعوق التقدم في هذا الجانب أو يؤدي إلى تخلفه. إن الصحيح أن يقال: إن الإسلام يحض المسلم ويدفعه ويحفزه على التطور في هذا الجانب، وذلك بأمره بتحقيق العمران الذي ألزمه الله به في قوله تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(سورة هود، ٦١)، يترتب على ذلك أن المسلم مطالب فريضة بتحقيق التقدم، والصحيح أن يقال أيضاً: إن الإسلام بجانب أنه يعمل على تحقيق التقدم فإنه يعمل في الوقت عينه على تأمين هذا التقدم وذلك بإعمال الآداب الإسلامية، تأمين التقدم يشمل أنواعاً متعددة من التأمين: تأمين التقدم بحيث لا يكون ضاراً بالإنسان، تأمين التقدم بحيث لا يكون ضاراً بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان .. وهكذا.

النتيجة: الاقتصاد الإسلامي مع اعتماده للشريعة مصدراً من مصادره

يحقق التقدم الاقتصادي ويدعمه في أمور الاقتصاد التي تركت للإباحة الأصلية والتي تشمل: أساليب الإنتاج والاتصالات والمؤسسات والصياغات في العلوم وغير ذلك.

ثالثاً: طبيعة منطقة الأحكام وتحقيقها للعدل

تبين أن أمور الاقتصاد فيها منطقتان، المنطقة الأولى تشمل الجوانب الفنية، وقد استنتجنا في الفقرة السابقة أن الاقتصاد الإسلامي يؤمن التقدم الاقتصادي ويدعمه ويحفزه في هذا الجانب الفني للاقتصاد. المنطقة الثانية في أمور الاقتصاد تشمل علاقات الإنسان بأخيه الإنسان. هذا الجانب هو الذي نناقشه في هذه الفقرة لنثبت به أن الاقتصاد الإسلامي بأحكامه الثابتة يحقق العدل، وسنحاول أن نتعرف إلى ذلك بالإجابة على أكثر من تساؤل.

التساؤل الأول: ماذا يدخل في هذه المنطقة، هذا تساؤل عن العناصر التي تدخل في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، من الممكن أن تكون الإجابة على هذا التساؤل تحدد العلاقات التي تقوم بين الإنسان وأخيه في عقود المعاملات الاقتصادية والمالية أو العلاقات التي تقوم بين الإنسان وأخيه الإنسان في السلوك المتعلق بأمور الاقتصاد أو النتائج التي تقع على الآخرين عندما يمارس الشخص نشاطه الاقتصادي. هذه عناصر تدخل في الإجابة على التساؤل الخاص بالجانب الاقتصادي المتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان. نفضل أن نحدد العناصر التي تدخل في هذا الجانب (الإنساني) من مدخل آخر وهو مدخل القيم الأخلاقية التي تحكم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان. هذا التفضيل في الإجابة على هذا التساؤل له أسبابه. عندما يكون الأمر متعلقاً بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان فإننا لا نتحدث عن آلة وسرعتها وطاقتها الإنتاجية وهكذا، وإنما نتحدث عن قيمة تحكم هذه العلاقة، قيمة تترتب على هذه العلاقة، قيمة تقوم بها هذه العلاقة، قيمة يوزن بها الإنسان بشأن هذه العلاقة، قيمة يتفاضل بها الناس بشأن هذه العلاقة. هذه أسباب تجعلنا نفضل مدخل القيم لتحديد العناصر التي تدخل في الجانب الاقتصادي المتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

تحليل التشريعات الاقتصادية التي جاء بها الإسلام تحليلاً قيمياً يكشف عن أنها تحمل مايلي من القيم: العدل وتكافؤ الفرص، المشروعية وهذه أمثلة أو نماذج لقيم تحملها أو تحققها التشريعات الاقتصادية الإسلامية.

التساؤل الثاني: هل القيم متطورة أو تخضع للتطور، والتساؤل عن القيم على وجه العموم التي تدخل فيها القيم المتعلقة بالاقتصاد والتي ذكرنا بعضاً منها، فعلماء الإسلام يقولون عن القيم إنها ثابتة وعامة ودائمة، يترتب على ذلك أن القيم لا تتطور، ولا تخضع للتطور. فلنأخذ قيمة العدل، إذلا يمكن القول: إن العدل كان قديماً قيمة وهو الآن ليس قيمة أو يقال: إن العدل كان قديماً هو القيمة والآن مع التطور فإن الظلم أصبح هو القيمة المعتبرة، هذا هو المعنى الذي نريده: أي إن القيم لا تخضع للتطور.

نوظف ذلك أي أن القيم لا تخضع للتطور في الموضوع الذي نتحدث عنه وهو جزء من الاقتصاد الذي يختص بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان. موضوع هذا الجزء هو القيم التي تحكم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، ما دام كذلك فإنه لا يخضع للتطور. إن العدل الاقتصادي قيمة ولن يحدث مع التطور أن يكون الظلم الاقتصادي هو القيمة البديلة، منع الاستغلال الاقتصادي من إنسان لإنسان هو القيمة ولن يحدث مع التطور أن يصبح الاستغلال الاقتصادي من إنسان لإنسان هو القيمة، تأسيس العقود بين الناس على اليقين هو القيمة ولن يحدث مع التطور أن يصبح الغرر هو القيمة أو أن تصبح الجهالة هي القيمة. اكتساب الثروة بالحلال هو القيمة ولن يحدث مع التطور أن يصبح اكتساب الثروة بالحرام هو القيمة. هذه أمثلة لقيم معتبرة في جزء الاقتصاد الذي يتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

لم يعط الإسلام الحق لإنسان لأن يحكم على الآخر ويتحكم فيه وإنما الحكم لله وحده سبحانه

التساؤل الثالث: إذا كان الأمر متعلقاً بعلاقة الإنسان بالإنسان فمن الذي يأخذ الحكم على الآخر؟ لم يعط الإسلام الحق لإنسان لأن يحكم على الآخر ويتحكم فيه وإنما الحكم لله وحده سبحانه.

الأمر على هذا النحو فيه كل الخير للبشرية. وقائع التاريخ قديماً وحديثاً شاهدة على أن الإنسان عندما أخذ حق الحكم في أمر هو فيه طرف فإنه لم يستطع أن يتجرد عن الهوى وأن ينزع نفسه من مصالحه وارتباطاته وتحالفاته، ولذلك يكون الخير أن يبعد الإنسان أن يكون حكماً وأن يقبل أن يكون الحكم فوق الجميع ويحقق حكمه العدل للجميع وهذا الحكم هو الذي جاء به الإسلام في تشريعاته الاقتصادية.

التساؤل الرابع: ما طبيعة التشريع الاقتصادي الإسلامي لأمور الاقتصاد التي تختص بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان؟ التشريع الإسلامي فيما يتعلق بهذه الأمور الاقتصادية جاء بأحكام محددة ثابتة. ومن أمثلة هذه الأحكام: الربا حرام، الاحتكار حرام، الرشوة حرام، البيع حلال، الزكاة ركن من أركان الإسلام، الميراث فريضة.

التساؤل الخامس: ما طبيعة الملاءمة بين أمور الاقتصاد التي تختص بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان وطبيعة التشريع الاقتصادي المتعلق بهذه الأمور؟ الملاءمة بين الاثنين كاملة وتامة، هذه المنطقة في الاقتصاد ثابتة ولا تخضع للتطور والأحكام التشريعية العاملة عليها ثابتة ولا تخضع للتطور.

الوصول بالمناقشة إلى هذه النقطة يجعلنا نتقدم بالتحليل والمناقشة إلى مرحلة جديدة. الأحكام التشريعية الإسلامية هي التي جعلت أمور الاقتصاد التي تختص بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان قيماً ثابتة. وهذا يحقق الخير للمجتمع الإنساني.

التساؤل السادس: هل ثبات الأحكام التشريعية التي تعمل على أمور الاقتصاد التي تختص بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان يعطل التطور ويمنع التقدم الاقتصادي؟ هذه المنطقة في الاقتصاد ليست منطقة تطور وإنما منطقة قيم ثابتة ولذلك يكون ثبات الأحكام في هذه المنطقة لا يعطل التطور ولا يمنعه، بل إن ثبات الأحكام العاملة على هذه المنطقة يدعم التطور ويرشده ويحفزه. القيم الاقتصادية التي أشرنا إليها مع قيم أخرى

الحكم الفقهي الاقتصادي جاء في صورتين الصورة الأولى لأحكام مفصلة والصورة الثانية للأحكام من طبيعة كلية

كثيرة تؤمن التقدم وترشده وتحفزه. ونستطيع أن نقول: إن الثبات في الأحكام أفاد التغير في الواقع، إن عندنا أحكاماً ثابتة لا تتغير مع التطور كما أن عندنا واقعاً اقتصادياً مطلوب تغييره باستمرار إلى أعلى. النتيجة التي وصلنا إليها هي أن الأحكام الثابتة عملت بالإيجاب على تطور الواقع.

رابعاً: تطبيقات الأمور الفنية الاقتصادية في الحضارة الإسلامية

في فقرة سابقة حددنا مفهوم الأمور الفنية في الاقتصاد وأعطينا أمثلة لها، في هذه الفقرة نعمل على أن نتعرف إلى بعض تطبيقات هذه الأمور كما حدثت عبر مسيرة الحضارة الإسلامية.

التطبيق الأول

نبدأ هذه التطبيقات بواقعة حدثت في عصر رسول الله ﷺ فقد مر بقوم يلقحون النخل فقال: "لو لم تفعلوا لصلح". قال: فخرج شيصاً، فمر بهم فقال: "ما لنخلكم؟" قالوا: قلت كذا وكذا، قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"(٥)، من هذا التطبيق نحصل على مايلي النتائج:

أساليب الإنتاج الفنية ليست موضع تشريع. نؤسس على ذلك نتيجة أخرى هي أن تطبيق الاقتصاد الإسلامي لا يعوق التطور الفني في الإنتاج، بل إنه يسع كل التقنيات الحديثة. إعمال كل ما جاء به الإسلام بشأن العلم وتطبيقاته يجعلنا نطور النتيجة السابقة بحيث تصبح على النحو التالي: الاقتصاد الإسلامي يشجع التطور الفني ويحفزه ويدفعه إلى الأمام. عندما نعمل على ما جاء به الإسلام من آداب تتعلق بالجانب الفني في الإنتاج وبالسلوكات المرتبطة به فإننا نستطيع الوصول إلى النتيجة التالية: تطبيق الاقتصاد الإسلامي يرشد التطور والتقدم ويجعله في تلاؤم مع مصلحة المجتمع.

نلخص النتيجة لهذا التطبيق: الاقتصاد الإسلامي ومع اعتماده الشريعة ضمن مصادره يتمتع بخاصية استيعاب التطور الفني في أساليب الإنتاج وتطويره وترشيده.

التطبيق الثاني

هذا التطبيق نأخذه من استحداث نظام الدواوين في الدولة الإسلامية. في عصر الخليفة «عمر بن الخطاب» ﷺ حيث اتسعت الدولة الإسلامية اتساعاً كبيراً، لقد فتحت بلاد فارس وبلاد أخرى غيرها كثيرة. وقد استلزم ذلك أن يتطور الجهاز الإداري للدولة. أشار بعض الصحابة على الخليفة «عمر بن الخطاب» ﷺ بإنشاء الدواوين، وهو نظام معمولاً به في الأمبراطورية الفارسية(٦)، وقد طبق الخليفة «عمر بن الخطاب» لذلك وبدأ نظام الدواوين في عصره بديوانين: ديوان الجند وديوان الخراج. وقد تطور هذا النظام إيجاباً في ظل الحضارة الإسلامية ووصل عدد الدواوين في عصر الخلافة الأموية إلى أربعة وفي عصر الخلافة العباسية إلى عشرة دواوين رئيسه وبجانبها دواوين فرعية أخرى. وفي دراسة حديثة عن الدواوين ثبت ما يلي: لقد أشبعت هذه الدواوين كل الحاجات المؤسسية لإدارة مالية الدولة(٧).

من هذا التطبيق نحصل على مايلي من النتائج:

الاقتصاد الإسلامي يستوعب كل تطور في المؤسسات التي يدار الاقتصاد من خلالها، بل إنه مع تطبيق الاقتصاد الإسلامي لا يوجد حظر على الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في المجال المؤسسي. يضاف إلى ذلك أن التجربة التاريخية أثبتت أن المسلمين عندما استفادوا من تجارب الأمم الأخرى في هذا المجال فإنهم أضافوا إلى ذلك إضافات عميقة بحيث طوروا هذا الجانب المؤسسي وجعلوه وعاءً إدارياً ملائماً لاستيعاب تطور المجتمع بعامة وتطور الواقع أو الحياة الاقتصادية بخاصة.

نلخص النتيجة العامة لهذا التطبيق: الاقتصاد الإسلامي ومع اعتماده الشريعة ضمن مصادره يتمتع بخاصية استيعاب التطور في مجال المؤسسات وتطويرها وترشيدها.

التطبيق الثالث

هذا التطبيق يتعلق أيضاً بالجانب المؤسسي، ولكن في القطاع الخاص الذي يمتلكه ويديره الأفراد. لقد أثبتت الدراسات أنه في ظل الحضارة الإسلامية قامت مؤسسات تؤدي وظائف استحدثها التطور الحضاري ومن هذه المؤسسات:

١- الصرافون

٢- التجار أصحاب المصارف

عندما نقول إن هذه مؤسسات فإن ذلك يتأسس على الوظائف التي قامت بها وعلى تنظيماتها الإدارية وعلى تطورها وانتشارها في العالم الإسلامي كله، ولم تقتصر وظائفها داخل العالم الإسلامي وإنما امتدت هذه الوظائف بحيث شملت العلاقات الاقتصادية التجارية بين التجار في العالم الإسلامي وبلاد أخرى في غير العالم الإسلامي، وكان من هذه الوظائف ما يقوم به الوكلاء التجاريون، وبلغ من تقدم هذه المؤسسات أن تحدث بعض الدراسين لها عن وظيفة الائتمان التي أدتها، بحيث قيل: إن أول شيك ظهر في التاريخ جرى سحبه على يد صراف في بغداد في منتصف القرن الرابع الهجري، وإن الذي قام بسحبه هو «سيف الدولة الحمداني» أمير حلب الذي جاء زائراً إلى بغداد وأنه ذهب إلى دار «بني خاقان» فخدموه من دون أن يعرفوه، ولما هم بالانصراف كتب لهم رقعة (صك) وهذه الرقعة موجهة إلى صيرفي في بغداد بألف دينار، وعندما عرضوا هذه الرقعة على الصيرفي أعطاهم الدنانير في الحال فسألوه عن الرجل فقيل سيف الدولة الحمداني(٨).

نلخص نتيجة هذا التطبيق: إلى أن الاقتصاد الإسلامي قادر على استيعاب التطور في المؤسسات التي يدار بها الاقتصاد.

خامساً: طبيعة الحكم الفقهي الاقتصادي وطبيعة هدفه وتفاعله مع تحقيق العدل وتأمين التقدم

في الفقرات السابقة كشف البحث عن أن أمور الاقتصاد في الإسلام تصنف في مجموعتين: المجموعة الأولى تشمل كل ما يتعلق بالجوانب الفنية. وقد تضمنت الفقرات السابقة تعريفاً ملائماً بهذا الجزء في الاقتصاد الإسلامي. المجموعة الثانية تشمل كل ما يعمل على علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وقد قدمنا تعريفاً بطبيعة هذه المجموعة وتبين أن من خصائصها الثبات فهي لا تخضع للتطور، كما تبين أيضاً أن الأحكام الفقهية الاقتصادية التي تختص بهذه المجموعة ثابتة.

وقد استنتجنا أن ثبات الحكم في هذه المجموعة الاقتصادية لا يمنع التطور أو يعطله بل استنتجنا أن اعتبار كل ما جاء به الإسلام يحفز التطور والتقدم مع ثبات الحكم.

في هذه الفقرة نواصل التعرف إلى المجموعة الثانية في الاقتصاد التي تعمل على علاقة الإنسان بأخيه الإنسان والتي تستهدف تحقيق العدل. فالعناصر الجديدة التي نرى إضافتها تشمل طبيعة الحكم الفقهي الاقتصادي وطبيعة هدفه.

١- الطبيعة الكلية للحكم الفقهي الاقتصادي واستيعاب التطور

الحكم الفقهي المتعلق بالعبادات من طبيعته أنه جاء على نحو مفصل تفصيلاً كلياً. يمكن أن نتعرف إلى هذه الطبيعة المفصلة من الصلاة. لقد شرعت الصلاة على نحو مفصل تفصيلاً كاملاً: ماذا نلبس وإلى أي جهة نتجه وكيف ندخل في الصلاة وماذا نقول وما الأعمال المشروعة من ركوع وسجود وكيف نخرج من الصلاة. يبين هذا أن الحكم في العبادات جاء مفصلاً تفصيلاً كاملاً.

الحكم الفقهي الاقتصادي جاء في صورتين. الصورة الأولى لأحكام مفصلة تفصيلاً كاملاً مثل الميراث ومصارف الزكاة والثبات ومعه التفصيل هنا حفق العدل وأمن التقدم ورشده. والصورة الثانية للأحكام من طبيعة كلية وذلك مثل قول الله عز وجل ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾(سورة البقرة، ٢٧٥). الهدف الذي يتحقق من كلية الحكم يتلخص فيما يلي: التعميم الذي لا ينزل إلى التفصيلات الجزئية ولا يقيد الأجيال المقبلة بهذه التفصيلات والتطبيقات، بل يتركها حرة تقتبس الوضع الذي تتوافر فيه الملاءمة العملية لحاجات كل زمان ومكان ما دامت تسوده التعاليم الكلية وينبثق عن توجهاتها(٩).

هذه الطبيعة الكلية للحكم الفقهي الاقتصادي تحمل خصوصيتين: الخصوصية الأولى: هذه الأحكام الكلية التي تعمل على أمور الاقتصاد ليست جامدة بحيث لا تقبل التطبيق إلا على أسلوب واحد بل إنها تطبق في أنواع متعددة من العقود تستوعب التطور.

الخصوصية الثانية: هذه الأحكام وإن كانت كلية إلا أن فيها درجة إلزام بالإيجاب أو المنع. نقترح أن نذكر مثلاً ما يبين هذه الطبيعة الكلية في الاقتصاد. الزكاة ركن من أركان الإسلام وهي فريضة واجبة. بشأن الأموال التي تجب فيها الزكاة فإنها تتحدد بالقاعدة التالية: في كل مال نام حقيقة أو حكماً زكاة. تحديد وعاء الزكاة على هذا النحو جعل الزكاة صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان مع اختلاف الأنشطة الاقتصادية وتنوع الدخول وتنوع الثروات وقادرة على استيعاب التطور.

ونحاول أن نوظف الطبيعة الكلية للحكم الفقهي الاقتصادي في موضوع التطور والتقدم مع الاقتصاد الإسلامي، الحكم الفقهي الكلي الاقتصادي يسع تطبيقات متعددة مع الاحتفاظ بهدف الحكم، لهذا السبب فإنه لا يعطل التطور أو يمنعه، بل إنه يسع التطور لكنه تطور مرشد بهدف الحكم. الطبيعة الكلية للحكم الفقهي الاقتصادي تجعله يسع أنواعاً من المعاملات التي تستجد مع التطور والتي تشبع الشروط والأهداف التي قال بها الفقهاء.

٢- طبيعة الهدف في الحكم الفقهي الاقتصادي وتحقيق العدل

اهتم علماء الفقه وعلماء أصول الفقه ببيان الهدف من الحكم الفقهي على وجه العموم ويدخل في ذلك الحكم الفقهي الاقتصادي. يقول الإمام ابن تيمية "الهدف من فقه المعاملات هو إيجاب ما لابد منه وتحريم ما فيه فساد"(١٠).

كتب الإمام الشاطبي فقرة مطولة عن هدف الحكم الفقهي في مقاصد الشريعة الثلاثة: الضرورية والحاجية والتحسينية. يقول: أما الضرورية فمعناها أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وفوت حياة وفي الأخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين. وهذا النوع من المقاصد جار في العبادات والمعاملات. ومن هذه المقاصد الضرورية في المعاملات انتقال الأملاك بعوض أو بغير عوض. أما المقاصد الحاجية فإنه يفتقد إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الاغلب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج، وهي جارية في العبادات والمعاملات، ومن أمثلتها في المعاملات القراض والمساقاة والسلم. أما النوع الثالث والأخير من المقاصد فهو التحسينيات ومعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال التي لا تليق بالعقول الراجحة، وهي تجمع في قسم مكارم الأخلاق. وجاءت في العبادات والمعاملات. ومن أمثلتها في المعاملات، منع بيع فضل الماء والكلأ (١١).

فلنحاول أن نوظف هذه الآراء التي قال بها علماء الفقه وأصول الفقه عن طبيعة الهدف في الحكم الفقهي الاقتصادي، والمطلوب هو عمل التوظيف في الموضوع الذي نتكلم عنه وهو الاقتصاد الإسلامي وتحقيق العدل. الآراء التي ذكرت تدل صراحة على أن الحكم الفقهي الاقتصادي يستهدف صلاح حال الدنيا وصلاح حال الآخرة. صلاح حال الدنيا يدخل فيه العدل والتقدم الاقتصادي، الذي تعود منافعه على جميع أفراد المجتمع.

نتيجة عامة

ناقش هذا البحث واحدة من أكثر القضايا تعقيداً التي يثيرها حول الاقتصاد الإسلامي وهي قضية كفاءة الاقتصاد الإسلامي في تحقيق القضية التي واجهها الإنسان ولا يزال يواجهها في كل زمان ومكان وهي قضية ذات ركنين: ركن تحقيق العدل من حيث علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وركن تحقيق التقدم من حيث علاقة الإنسان بالكون الذي خلقه الله له وكلفه بإعماره والمناقشة التي جاءت في البحث تثبت كفاءة الاقتصاد الإسلامي في تحقيق هذه القضية بركنيها.

والحمد لله رب العالمين

الحواشي

١- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المجلد ٢٩، ص١٦، ١٧ .

٢- إذا كنا قد أحلنا إلى رأي ابن تيمية إلا أنه يجب أن نذكر أن هذا الرأي هو المتفق عليه في الفقه الإسلامي.

٣- المرجع السابق، ص١٦، ١٧ .

٤- الإمام الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، جـ ٢، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ص٤-٦ .

٥- صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا من دون ذكره ﷺ.

٦- يوجد رأي يقول إن الدواوين وضعت فكرتها في عهد الرسول ﷺ فقد كان للرسول ﷺ كتّاب يكتبون له ما يتعلق بالدولة: انظر: د. محمود المرسي لاشين، التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٥٣، ٥٤ .

٧- د. ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، الفصل الخامس.

٨- د. حسن صادق حسن: الأعمال المصرفية الإسلامية من التراث إلى المعاصرة، مؤتمر الاقتصاد الإسلامي، العام ١٩٨٨م، مركز ابن خلدون، جامعة قسنطينة، الجزائر.

٩- دكتور محمد عبدالله العربي: نظام الحكم في الإسلام، دار الفكر، ص٣٢، ٣٧ .

١٠- ابن تيمية، مرجع سابق، ص٥ -٢١ .

١١- الإمام الشاطبي، مرجع سابق، ص٤-٦ .

من أجل تصحيح صورة الإسلام في الكتب والمناهج الدراسية الغربية

د. حسن عزوزي

من الواضح أنه لا يمكن أن تنشأ علاقة طبيعية للجاليات الإسلامية مع البلدان الغربية التي ينشأ ويشب أطفال المسلمين في مدارسها على تحصيل واستيعاب كتب مدرسية تزخر بازدراء عقيدة المسلمين وتتهمهم بأسوأ الاتهامات وتبالغ في الحط من شأن الإسلام والمسلمين في الحياة الإنسانية، كل ذلك في إطار أحكام مسبقة مغرضة ومدعومة بتأويلات وهمية وصور نمطية ثابتة تطفح بالتعميمات المتحيزة والنعوت القدحية.

إن هناك تحيزا كبيرا وانعداماً للدقة في تناول قضايا الإسلام وتعاليمه في الكتب والمناهج الدراسية الغربية على وجهه الخصوص، ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى تصحيح ومعالجة ابتداء من مناهج المراحل الابتدائية حيث يكون غرس تلك المفاهيم المغلوطة في أذهان البراعم الصغيرة وصولا إلى مناهج البحث العلمي في الدراسات العليا، وتطال خطورة ما يُكتب عن الإسلام في الكتب الدراسية في البلدان غير الإسلامية شريحتين من الأطفال:

أ- الأطفال والتلاميذ المسلمون من أبناء الأقليات والجاليات الإسلامية، حيث تصطدم المفاهيم المغلوطة المبثوثة في الكتب الدراسية بالمسلمات العقدية والأحكام الشرعية التي يؤمنون بها.

ب- التلاميذ والطلبة غير المسلمين الذين تغرس في أذهانهم صور مشوهة عن الإسلام والمسلمين فيترتب على ذلك تكوين مواقف سلبية تجاه حضارة الإسلام ودعوته.

ومعلوم أن الكتاب المدرسي يعتبر عنصرا مهماً في عملية التعليم والتثقيف، فهو المصدر الأساس الذي يستمد منه التلميذ أو الطالب مواقفه واتجاهاته إزاء الكثير من الجماعات العرقية والدينية المختلفة، ويؤكد الواقع أن كثيرا من تلك المناهج الدراسية تعرض معلومات خاطئة عن الإسلام وخصوصا فيما يتعلق بأمور العقيدة والشريعة والتاريخ والحضارة وتعبر عن روح التمييز العنصري والكراهية للشعوب الأخرى وتسعى إلى تعميق الصراع بين الثقافات من خلال زرع تلك الصور النمطية السلبية في أذهان التلاميذ والطلبة، ولا يخفى الأثر السيئ لذلك في تلقين الأجيال أخطاء فادحة عن الإسلام وحضارته، إذ يعتبر مجال المناهج والمقررات الدراسية والتعليمية أحد الروافد الرئيسة في تشويه صورة الإسلام باعتبارا أن المفاهيم الخطأ عن الإسلام في عقول الغربيين إنما هي راجعة في أساسها إلى ما تم تلقينه في المدارس من خلال المناهج الدراسية.

وفيما يخص مادة «الإسلام» المعروضة في تلك الكتب التي تتسم بالسلبية والإيغال في التشويه والتمييع يمكن تحديد تصور عام لآليات معالجتها وتصحيحها وفق مايلي:

١- رصد الأخطاء والمغالطات التي تخص الإسلام وحضارته في مناهج التعليم والتدريس في الدول غير الإسلامية والعمل على تحديد مصادر تلك الأخطاء والبحث في أسبابها وخلفياتها عن طريق الجهات المسؤولة.

٢- نهج أسلوب الإنكار والاحتجاج لدى الوزارات المعنية في الدول غير الإسلامية (التربية الوطنية والتعليم العالي) عن طريق سفارات الدول الإسلامية في تلك الدول، ويمكن التنسيق مع الجمعيات والمنظمات الإسلامية التي تتخذ من تلك الدول مقراً لها من أجل الرصد والمتابعة، ولا شك أن الاحتجاج يثير الرأي العام ويدفع الجهات المسؤولة إلى التحفظ وأخذ الحسبان لكل ما قد تقدم عليه من محاولات تشويه صورة الإسلام.

٣- مطالبة الجهات المختصة بقضايا التربية والتعليم في الدول الغربية بالسماح للطرف الإسلامي بتصحيح ومراجعة ومعاينة ما يتم تقديمه من مادة دراسية حول الإسلام والمسلمين في الكتب والمناهج الدراسية الغربية.

٤- مطالبة وزارات التربية الوطنية والتعليم العالي في البلدان الإسلامية التي تربطها اتفاقات تعاون مع نظيراتها الغربية في العمل من أجل الاتفاق مع هذه الأخيرة على تكريس مفهوم الاحترام المتبادل للمقدسات والحرص على التأكد من صحة المعلومات والمعطيات المراد تقديمها عن الديانات الأخرى في الكتب والمناهج الدراسية.

٥- معلوم أن الكتب والمناهج الدراسية غير الإسلامية لا تكاد تخصص للحديث عن الإسلام وحضارته أكثر من صفحة أو صفحتين، وفي ذلك بخس لقيمة الحضارة الإسلامية وتهوين من شأنها مما قد يشكل عامل احتقار للإسلام من طرف التلاميذ والطلاب غير المسلمين، لذلك ينبغي المطالبة بتخصيص حيز ملائم ومناسب لموقع ومكانة الحضارة الإسلامية في أثناء عرض المادة المخصصة للإسلام

وكذلك العمل على رفع جمود المعالجة «البداغوجية» للموضوع التي بقيت «للأسف الشديد» من دون تغيير أكثر من ثلاثة عقود (على سبيل المثال لا يزال العربي يصور في الكتب والمناهج الدراسية الغربية رجل الصحراء والجمال والسيف). ■

التبرع بالدم

بقلم: د.خالد سعد النجار
E-MAIL: alnaggar66@hotmail.com
alnaggar66@yahoo.com

التبرع بالدم عمل إنساني نبيل وواجب ديني عظيم، لأنه يسهم في إنقاذ حياة آلاف المرضى الذين يكونون في أمس الحاجة لنقل الدم. والحقيقة أن واحداً من كل عشرة مرضى يدخلون المستشفى في حاجة إلى نقل الدم وبخاصة المرضى الذين يعانون من الأمراض الخبيثة أو المستعصية وفي أثناء العمليات الجراحية الكبرى، وكذلك الأشخاص الذين تعرضوا لحوادث خطيرة وفقدوا على إثرها كمية كبيرة من دمهم. ويضاف إلى ما سبق أن مكونات الدم تستخدم في علاج حالات مرضية خطيرة وكثيرة تهدد حياة الكثيرين، فالبلازما تستخدم لتعويض مرضى الحريق الذين يعانون من فقد كميات كبيرة من البلازما، وتستخدم كريات الدم الحمراء في علاج حالات فقر الدم الشديدة (الأنيميا) وأمراض الدم الخطيرة التي تسبب تكسر كريات الدم الحمراء مثل الثلاسيميا والأنيميا المنجلية. ويستخلص من الدم كذلك الصفائح الدموية والبروتينات المضادة لأمراض النزف وهذه تستخدم في علاج الكثير من الحالات المرضية مثل مرض سيولة الدم (الهيموفيليا) وهناك أيضا الأجسام المضادة للميكروبات التي تفصل وتستخدم لرفع درجة مناعة الجسم.

لكن تعاني بنوك الدم - وبخاصة في منطقتنا العربية - من مشكلات وأزمات منشؤها الأساسي يرجع إلى الوعي الجماهيري الخاطئ، تارة والسلبي أحيانا لذلك كان من المهم تسليط الضوء على هذا القطاع الخيري الحيوي، وكان هذا اللقاء مع الدكتور «محمود صالح» رئيس أحد مراكز الدم الإقليمية.

● الدراسات في الدول الغربية تبين أن هناك ملايين المتبرعين بالدم سنويا، ففي الولايات المتحدة الأميركية تم التبرع بنحو ٥١ مليون وحدة دم العام ٢٠٠١م. ما الحال بالنسبة لمنطقتنا العربية؟

- موضوع التبرع بالدم يرتبط بدرجة الوعي عند المواطن ودرجة إحساسه بالمشكلة، ولأن الغرب سبقنا في التعرض لهذه المشكلات والتعامل معها، وبالتالي ارتفاع مستوى الإحساس بمشكلة الحصول على كيس دم مع ارتفاع درجة الوعي عند المواطن الغربي يؤدي إلى أن معدلات التبرع تكون عادة مرتفعة في هذه البلاد مقارنة بمنطقتنا، لكن ما هو لافت للنظر في بلادنا أنه عندنا نرابط وتكافل اجتماعي لا يوجد له مثيل في الغرب، بمعنى أن أي إنسان هنا يتعرض لأزمة تجد كل من هو قريب أو جار يتقدم للتبرع له بالدم في محاولة للمشاركة في المحنة والتخفيف من حدتها، فمعظم الناس هنا غالباً ما يتقدمون للتبرع بالدم وخصوصاً في وقت الكوارث والشدائد، لكن هذا يسبب نوعاً من التكدس الوقتي الذي لا يستفاد منه استفادة كاملة، لأن الدم له فترة صلاحية محددة. وهذا التكدس الوقتي تكون فيه الكمية المتوافرة تفوق معدلات الاستهلاك ولذلك يكون الفقد في مخزون الدم كبيراً والخسارة فادحة، لكن الغربيين متقدمون عنا في جزئية الوعي الصحيح، لذلك نحن نحاول أن يكون التبرع له صفة الانتظام والاستمرار، وليس صفة الكوارث.

● من أبرز المعوقات التي تعرقل تنشيط عملية التبرع بالدم غياب الوعي الجماهيري حول هذا الموضوع، كيف يمكن التغلب على هذه المشكلة، وما دور العامل الديني والإيماني في تدعيم القضية؟

- هناك خطة منظمة نقوم بها في هذا الإطار، ولا أنكر أن فيها الكثير من المصاعب لأننا في فترة لا نبحث فيها عن متبرع للدم ولكنها فترة تغيير المفهوم عند المواطن، ليكون عنده الاستعداد الدائم للتبرع بالدم من دون الحاجة إلى وجود مريض له من أقربائه أو جيرانه. لأن المسلمين كلهم يد واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

أما عن أهمية العامل الديني والإيماني في تدعيم القضية: فلا أكون مبالغا إذا قلت: إنه العامل الأوحد الذي يمكن أن يقضي على المشكلة من جذورها، لأنه كما هو معروف أن الفقهاء أجمعوا على حرمة بيع الدم من قبل المتبرعين، واشترطوا أن يكون التبرع من دون عوض مالي، وقد جاء في فتوى المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي (الدورة ١١، المنعقدة في الفترة ١٣ - ٢٠ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ١٩ - ٢٦ شباط ١٩٨٩م) ما نصه «أما حكم أخذ العوض عن الدم، أو بعبارة أخرى بيع الدم، فقد رأى المجلس أنه لا يجوز، لأنه من المحرمات المنصوص عليها في القرآن الكريم مع الميتة ولحم الخنزير، فلا يجوز بيعه وأخذ عوض عنه، وقد صح في الحديث الشريف: «إن الله تعالى إذا حرم شيئاً حرم ثمنه». كما نهى صلى الله عليه وسلم عن بيع الدم. ويستثنى من ذلك حالات الضرورة إليه للأغراض الطبية، ولا يوجد من يتبرع إلا بعوض، فإن الضرورات تبيح المحظورات بقدر ما ترتفع الضرورة، وعندئذ يحل للمشتري دفع العوض ويكون الإثم على الآخذ، ولا مانع من إعطاء المال على سبيل الهبة أو المكافأة تشجيعاً للمتبرع على القيام بهذا العمل الإنساني الخيري لأنه يكون من باب التبرعات لا من باب المعاوضات.

من هذا المنطلق لا سبيل للحصول على الدم إلا عن طريق متبرع تبرع بدافع من إيمانه وإحساسه بمعاناة إخوانه مبتغيا الأجر والمثوبة من الله تعالى وحده.

وهناك تنظيم مستمر لحملات تبرع بالدم في المساجد، وأئمة المساجد لهم دور كبير في هذا الأمر، وخصوصاً أننا نستضيف الكثير منهم داخل مراكز التبرع بالدم وتعطيهم دورات توعية مسبقة، ويقفون بأنفسهم على مدى أهمية التبرع بالدم، وأن المتبرع الواحد يمكن أن يفيد نحو ٣ - ٤ مرضى من كيس الدم الواحد، ونريهم بعض النماذج على سبيل المثال مريض السرطان يأخذ وحدة صفائح يحصل عليها من ستة متبرعين على الأقل، وثقتنا بإيمان أبناء هذه الأمة يطمئننا من الوصول إلى قمة النجاح في هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

● يرى بعض الناس أن استخدام عصا السلطة كفيل بأن يحل مشكلة التبرع بالدم، بمعنى جمع الدم بالأمر المباشر من جميع قطاعات الدولة كالجيش والشرطة وموظفي الدواوين الحكومية والجامعات، فهل لكم أن تبدوا رأيكم لنا في هذا الاقتراح.

جمع الدم بالضغط ومن دون رغبة المتبرع محظور شرعاً فجميع الفقهاء حرموا مثل هذا العمل، ونحن دائما نقول (التبرع) لذلك لا ينبغي أن يخضع لأي ضغوط، وإنما نقول للذي جاء يتبرع لأحد أقاربه أو أصدقائه لا تتبرع لأنك في حال نفسية لا تسمح لك بالتبرع، فالدراسات الحديثة التي تكلمت عن اختيار المتبرع قسمت المتبرعين إلى أنواع هي:

١. (المتبرع المحترف) وهذا كان قديما، وكان يتبرع مقابل مال نقدي أو عيني.

٢. (المتبرع العائلي) الذي يتبرع لأحد أفراد العائلة.

٣. (المتبرع المجبر) الذي يتبرع كما ذكرتم بالأمر.

٤. (المتبرع الطوعي) الذي يتبرع باختياره من دون أي ضغوط وهو أفضل وأصدق المتبرعين.

فقديما كان الاعتقاد السائد أن عملية التبرع يحكمها تقدم الأجهزة، بمعنى الحصول على الدم من أي نوع من المتبرعين ومع وجود أجهزة تحاليل واختبارات متقدمة يمكن الحصول على وحدة دم مثالية، لكن وجد أن انتقاء المتبرع أفضل من الاعتماد على النتائج المعملية في التحليل، وذلك لسبب بسيط، فاليوم يخضع الدم إلى أربعة اختبارات معملية فقط (الأيدز والزهري و الكبد الوبائي B&C) وقبل التبرع يأخذ المتبرع استبيان نسأله فيه عن تاريخه المرضي فلو كان هناك نوع من الإكراه سيكون المتبرع غير صريح معنا وبالتالي عينة الدم تكون غير مثالية وقد تحمل أحد الأمراض غير الأربعة التي يشملها التحليل.

● يضع المتخصصون بعض الشروط التي يجب أن تتوافر في المتبرع وهي:

التبرع بالدم يعمل على تجديد الدم وتجديد حيوية ونشاط نخاع العظام

التبرع بالدم يختلف تماما عن الحجامة لأن التبرع بالدم ينتمي إلى الفصد الذي هو بعيد كل البعد عن الحجامة

١. أن يتمتع المتبرع بصحة جيدة.

٢. أن يكون عمر المتبرع يتراوح بين ١٨ . ٦٠ سنة.

٣. أن يكون وزن المتبرع ٥٥ كغم على الأقل.

٤. أن يكون المتبرع خالياً من أي أمراض تتعارض مع عملية التبرع (كالملاريا).

٥. أن تكون نسبة الهيموغلوبين بين ١٣ . ١٧,٥ جم عند الرجال، وبين ١٢ . ١٤,٥ جم عند السيدات.

٦. أن يتراوح ضغط الدم بين ١١٠/٦٠ إلى ١٤٠/٩٠ مع انتظام دقات القلب بين ٥٠ . ١٠٠ دقة في الدقيقة، ولا تزيد درجة حرارة الجسم عن ٣٧,٣ درجة مئوية.

الا ترون أن هذه الشروط قد تقلق الفرد البسيط، فيفضل ألا يغامر بحياته لأنه من المحتمل أن يفتقد لبعض هذه الشروط وهو لا يعلم، فيحدث له ما لا تحمد عقباه.

هناك إجراءات سلامة صارمة جدا لتمثل في الكشف على المتبرع بوساطة أطباء مدربين لهذا الأمر. كما أن الاستفسار عن التاريخ المرضي للمتبرع مهم جدا، ولا يتم التبرع إلا بعد التأكد تماما من صلاحية المتبرع لذلك، فالقلق والخوف لا مبرر لهما إطلاقا.

● هنالك من يرى في عملية التبرع بالدم نوع من المخاطرة، كالتعرض للتلوث من أدوات أخذ الدم، أو الألم في أثناء التبرع، والشعور بالتوتر والقلق قبل التبرع، ما رأي فضيلتكم في مثل هذه الأمور؟

. أما التوتر والقلق فهما شيء طبيعي وخصوصاً في المرة الأولى وهذا شعور لا نستطيع تفاديه لكن المتبرع عندما يجد الفحص الجيد قبل التبرع، والخدمة الجيدة، والحوار المريح مع العاملين فتخف حدة التوتر لديه، أما ألم وخز الإبرة فهذا أيضا لا جدال فيه ولكنه ليس بالألم الذي يخيف المتبرع ولنا في الحديث النبوي الشريف خير سلوان «ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة يشاكها إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة» أما التلوث فهذا شيء غير وارد على الإطلاق، فكيس الدم معقم مغلق مغلف لا يستخدم إلا لشخص واحد وكذلك سائر الأدوات المستخدمة في مجال التبرع بالدم.

● يظن بعضهم أن عملية التبرع بين الجنسين تؤدي إلى حرمة الارتباط بينهما بالزواج فما قولكم لهؤلاء؟

. يجوز للرجل الذي تبرع بدمه لامرأة ما فأنقذ حياتها أن يتزوجها، ولا تثبت للتحريم في هذا الدم. وإنما تثبت الحرمة في الرضاع ضمن فترة الحولين الأولين أي قبل الفطام. لما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا رضاع إلا في الحولين، وكان قبل الفطام) فالحديث الشريف يدل على اختصاص التحريم بالحولين. فإذا كان الرضاع بعد الحولين وبعد الفطام، فلا تثبت به الحرمة. فما ظنك برجل شاب تبرع بدمه لإنقاذ حياة فتاة ما. هل تحرم عليه؟ لا . الحاصل: أنها أجنبية عنه ويجوز له أن يتزوجها، وليس هذا بمحرم لها.

● معلوم عند الجميع، أن التبرع بالدم، عملية إنسانية يقصد منها مساعدة المريض المتبرع له ابتغاء رضى الله تعالى، وبعد من أفضل القربات التي يتقرب بها المسلم لربه، ولكن ما يجهله كثير من الناس، أن التبرع بالدم في حد ذاته له منافع صحية جمة على المتبرع، نود أن تلقوا الضوء على هذه المنافع.

التبرع بالدم يعمل على تجديد الدم وتجديد حيوية ونشاط نخاع العظام، وبمتابعة شخص قبل تبرعه وبعد تبرعه نلاحظ أنه قبل عملية التبرع بالدم، يكون عنده عدد الكريات الحمراء مرتفعا، مما يجعلها مزدحمة داخل الأوعية الدموية وبالتالي فإن وصولها إلى الخلايا لتزويدها بالأكسجين بطيء، ومن ثم سيكون عمل الخلايا ضعيفا ويكون الشخص أقل نشاطا وأقل حيوية والعكس صحيح.

كما أن التبرع بالدم، يكون العلاج الأنسب لبعض الحالات المرضية كحالات النزيف المستعصية، فبعد التبرع بالدم يسترجع المرء البلازما خلال «٢٤» ساعة، الكريات الحمراء خلال «٣» أسابيع، والصفائح بعد «٧» أيام، ولهذا بعد عملية التبرع يقع ما يسمى. HEMODILUTION يعني أن الكريات الحمراء والبيضاء والصفائح أقل عددا، وأن البلازما تحتل الحجم الأكبر، وبالتالي فإن عوامل التخثر الموجودة في البلازما تكون أكثر تركيزاً في الدم وتصل بسرعة إلى المكان الذي يشكو من النزيف، وإذا علمنا أن عوامل التخثر تلعب دورا أساسيا في إيقاف النزيف فالتبرع بالدم يعالج حال النزيف مثل نزيف الأنف، كذلك بالنسبة للبروتينات في البلازما التي تلعب دورا في انسداد الجروح، تكون مركزة في السائل الدموي وتصل بسرعة إلى مكان الجرح. فمثلا في حال المريض بقرحة المعدة إذا تبرع بالدم فإن البروتينات ستصل بكمية كبيرة وبسرعة إلى المعدة لعلاج وسد القرحة مقارنة مع إنسان مريض بقرحة لا يتبرع بالدم فإن هذه البروتينات لن تصل بسرعة إلى مكان الجرح، وبالتالي فانسداد الجرح سيأخذ وقتا طويلاً.

نذكر أيضا حال التقيقة (الصداع النصفي) التي ترجع أساسا إلى تقلص قطر بعض شرايين الدماغ، فإن بعض الكريات الحمراء الحاملة للأكسجين تجد صعوبة للوصول إلى خلايا الدماغ وبالكمية المطلوبة فينتج من هذا آلام مزمنة في الرأس، ولكن بعد عملية التبرع بالدم وبالرغم من تقلص الشرايين، فإن الكريات الحمراء ستكون قليلة وبالتالي يمكنها اختراق هذه الشرايين والوصول إلى خلايا الدماغ وتزويدها بالأكسجين، فيزول ألم الرأس بإذن الله.

كما وجد أن نسبة الإصابة بمرض القلب المزمن منخفضة عند المتبرعين بالدم. ولقد فسر العلماء ذلك بأن انخفاض معدل تخزين الحديد الناتج من التبرع بالدم هو الذي يحمي المرء من أمراض القلب المزمنة حيث أثبتت الأبحاث الطبية أن تخزين الحديد بصفة مستمرة يرفع نسبة الإصابة بأمراض القلب.

● من الموانع المؤقتة التي تمنع عملية التبرع بالدم من أجري له وشم خلال السنة الماضية، ما الحكمة من ذلك، وهل يعتبر هذا المانع إضافة علمية جديدة تدعم موقف الدين الإسلامي من تحريم الوشم، بمعنى أن الوشم نوع من التغيير الداخلي لخلق الله إضافة إلى التغيير الخارجي الذي ينبني على الأساس الظاهري للتحريم؟

الأمر محتمل، لكن ما بأيدينا من الدراسات تمنع التبرع بسبب الوشم، نتيجة تعرض الجسم لأله تلامست مع الدم نشك في تلوثها، وهذا يندرج تحته أيضا الختان والأبر الصينية وثقب الأذن.

● من الموانع الدائمة للتبرع بالدم من سبق لهم استخدام المخدرات عن طريق الوريد، أو الأشخاص الذين يمارسون اللواط أو العلاقات الجنسية المحرمة، فهل لكم أن تبينوا لنا السبب العلمي لهذا، وهل هذا الانسجام بين تحريم مثل هذه الأمور في الشريعة الإسلامية وبين اكتشاف هذا النوع من الضرر، يعتبر من الإثباتات العلمية الحديثة على صلاحية هذا الدين الخالد لكل زمان ومكان.

الطب والدين قالا كلمتهما مرارا في تعاطي المخدرات والإيدز وغيرها من الشرور التي لا ينجو منها الجسم بعامة والدم بخاصة وصدق صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا».

● شاع في الآونة الأخيرة الحديث عن الحجامة وفوائدها الطبية، فما الفوارق الجوهرية بين الحجامة والتبرع بالدم، وهل تغني الحجامة عن التبرع بالدم؟

التبرع بالدم يختلف تماما عن الحجامة، لأن التبرع بالدم ينتمي إلى الفصد الذي هو بعيد كل البعد عن الحجامة، حيث إن التبرع بالدم يؤدي إلى التخلص من بعض مكونات الدم بكميات معينه في وقت قصير ويتم ذلك من خلال وريد دموي وليس من خلال مسام الجلد، ولذلك لا نستفيد منه في تنبيه أماكن معينة في الجلد كما في الحجامة. ■

الأدب الإسلامي.. حتمية لا رفاهية
حول ماهية الأدب الإسلامي

بقلم: د.سمير الكفراوي

استهلال

إن الراصد للحركة الأدبية في عالمنا العربي في الفترة الماضية - التي لا تتعدى عقدين من الزمان - وما صدر عنها من دراسات أدبية دورية وغير دورية يرى أن ونراً يحاول الكثيرون العزف عليه هو ما أطلق عليه «الأدب الإسلامي» وتسابق المتسابقون في عزفهم على الوتر ذاته حتى أصبحنا نحن المتلقين من أبناء الأمة لا نسمع إلا نغمة واحدة أصابت الكثيرين منا بالملل والرتابة..

وطبيعي أن يكثُر الجدل حول ما سموه «مصطلح الأدب الإسلامي» - الجدل حول مفهومه ومقوماته وأسلوب نقده الخ... وراح بعضهم يدلي بدلوه في البئر عينها وكأنهم بصدد تيار أدبي وليد يحاول الجميع رعايته والعناية به، وأنكر فريق آخر هذا التداول لفكرة يرونها ضربا من التخلف أو التطرف لأنها تقوم على أساس عقائدي يدعو - وفق ظنهم - إلى الردة عن ركب الحضارة والتقدم، وفريق ثالث لم يتأثر بما يدور في هذا المضمار فلا هو ممن يتحمس للفكرة ويعمل لها.. ولا ممن عارضها وأنكر وجودها وإنما آثر الصمت كنموذج من نماذج السلبية التي مُنِى بها عالمنا الإسلامي والعربي.

وبين هذه الأنماط الثلاثة للشخصية في مجتمعنا تفرقت مفاهيم «الفكرة» حتى استحالت مجموعة من الجدليات تقام حولها الندوات، ولكن هذا لم يمنع وجود بعض المحاولات المخلصة لباحثين نحسبهم على قدر من الإخلاص والنزاهة أزاحت بعض الضباب الذي تغشى مفاهيم «الفكرة».

وإننا لنجد أن الجميع قد تحدثوا عن وجوب الأدب الإسلامي» أو عن وجوب عن طريق صبغ الأعمال الأدبية بصبغة إسلامية وهو ما أسميه«أسلمة الأدب»، ولكن أحدا لم يتطرق إلى كيفية صبغ الصحوة الإسلامية - وهي كيان له أهميته على خارطة الإنسانية - بفنون الأدب وهو ما أسميه «تأديب الصحوة الإسلامية» وهذا ما سنعمد إليه من خلال هذه الرحلة السريعة.

وبعيداً عن كل الجدليات التي أثيرت حول ما هية «الأدب الإسلامي» نقول: إن كلمة «مصطلح» يرفضها الباحث المنصف، إذ إن وصفنا لأدب ما بأنه «إسلامي» ليس أمرا مستحدثاً يتطلب منا البحث عن مصطلح لتعريفه أو تحديد مفهومه ومقوماته.. ولكن الأدب الإسلامي -كجزء من الفن الإسلامي عموما - إنما هو كيان أمة ارتبط وجوده في عالمنا الإنساني ببزوغ فجر الإسلام منذ بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) فهو إذن ممتد في أصوله امتداد الإسلام في حياة الإنسانية.. فقد ولد مع ولادته وخاض معه مراحل المسيرة كلها راصدا لها ، وداعيا إليها ومدافعا عنها، فشهد معها عهود القوة والسلطان وعهود الضعف والاستعمار.. شهد معها عصور العدل والحرية وعصور الظلم والكبت. هو إذن مسيرة طويلة قوامها أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، ولا أعتقد أن أدبا له مثل هذا العمر في تاريخ الإنسانية يكتفى بأن يطلق عليه لفظ «مصطلح».

سمات الأدب الإسلامي:

وطالما أننا اتفقنا على أن وجود هذا الأدب أمر لاريب فيه، وأنه قد بدأ رحلته منذ فجر الإسلام، فلابد اذاً أن لهذا الفن سماته الخاصة به والتي تميزه عما سواه من الفنون والآداب. «والفن الإسلامي هو محاولة بشرية لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود في صورة جميلة وموحية ولكن من خلال شموله واتساقه وتكامله في تصوره، ذلك التصور«الذي لا يأخذ الإنسان جسما ويدعه روحاً، أو روحاً ويدعه جسما بغير اعتبار لطاقة العقل.. بل يأخذها مترابطة متحركة - مع ترابطها - في واقع الحياة» (١)

فالتصور الإسلامي لا يفصل بين مشاعر الإنسان - على اختلافها - وبين ماديات الكون

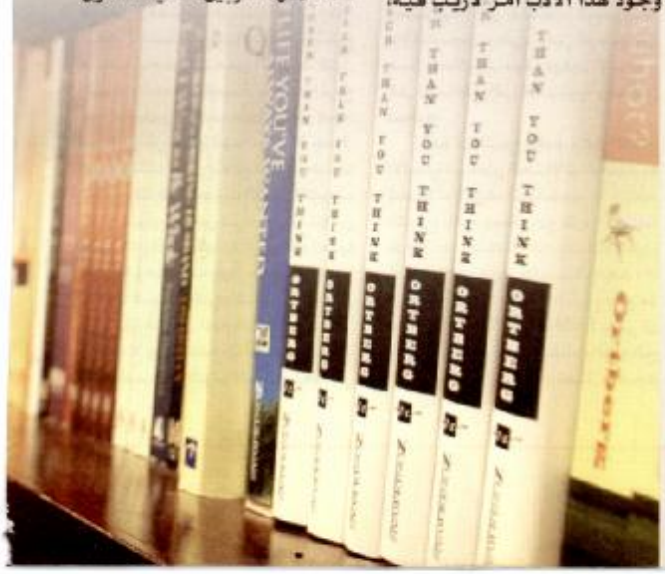

التي سخرها الله له وإنما ينظر إليها على أنها جزء منه يتأثر بها ويؤثر فيها في انسجام طبيعي.

وتصور يملك هذه الخاصية هو أشمل ما عرفته الإنسانية على اختلاف عهودها.. وان فنا ينبثق عن هذا التصور لابد أن يكون أسمى من كل ما عداه مكانة ومقاما.

والأديب - في عموم تعريفه - شخص يدرك بالفطرة مواطن الجمال في الكون فينفعل بها ويعبر عنها وفق ما أثارت فيه من مشاعر. والفنان الذي يحمل في نفسه تصورا إسلامياً عن الكون إنما يملك في يده مقومات الفن الناجح الرفيع الذي تمليه عليه فطرته القويمة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم - آية ٣٠).

فيضيف عليها مما وهبه الله من امكانات لم تتح لغيره من الناس، ويخرج علينا بآيات الجمال التي تتحقق فيها شروط الفن ومقاييس الجمال التعبيري «فالأمر في حاجة إلى مسلمين فنانين»(٣).

مسلمين أولاً يحملون الفكرة في صدورهم والتصور الإسلامي في عقولهم، فيتلقون نواميس الكون من خلال ذلك التصور.. وفنانين يملكون زمام الفن الذي يتناولون فيعكفون على قواعده محللين ودارسين حتى يتسنى لهم الإلمام بكل ما فيه من مقومات، فيحسنون صياغته وفق تصورهم «فالإسلام وحده لا يكفي لإنشاء فن إسلامي»(٤)، وإنما من الممكن أن يصدر فنٌ عن غير مسلم ملتزم ومع ذلك يلتقي مع التصور الإسلامي.. لأن التصور الإسلامي تصور إنساني، من الممكن أن يتجاوب معه أي إنسان فيلتقي الفن الإسلامي بالقدر الذي يطيق.

فليس من المفروض أن يتحدث كل فن إسلامي عن عقائد الإسلام وسيرته وشخصياته فقط، وإنما يسع كل ذلك على أنه جزء من الوجود الذي يجب أن يتناوله كله في شمول واتساق من وجهة التصور الإسلامي.

وان كان الأدب الإسلامي قد مر بفترات انحسار وكسوف - لأسباب يعرفها الباحثون المخلصون - فإن ذلك لم ولايقدح في قدرة الإسلام على ريادة الفنون المختلفة - التي تتفق مع تصوره - في أي زمان ومكان طالما تهيأت له أسباب تلك الفنون التي هي جزء من رسالته إلى الناس.

مفهومنا أنه جمال جزئي - وأنه بحاجة إلى التصور الإسلامي لكي يصل إلى أسمى مقام يتسنى للأدب أن يصل إليه.

الآداب العالمية ذات جمال جزئي

أما ما يتعلق بالإنتاج العالمي من الأدب فإنه على الرغم من عدم قيامه على التصور الإسلامي الصحيح إلا أنه يحوى الكثير من الروائع التي يمكن دراستها للوقوف على ما بها من مدارس فنية قد تفيد في مسيرة الأدب الإسلامي.. أو حتى للاستمتاع به كفن نظيف يلتقي مع الإسلام في كونه فناً إنسانياً رفيعاً - على أن يظل في

وختاما

فإن الأدب الإسلامي فن بشري المقاييس، إلا أنه في الوقت ذاته مبني على التصور الإسلامي للكون والحياة والطبيعة الإنسانية فيجعله هذا التصور ربانيا في مصدره، ربانيا في منهجه، ربانيا في غايته .. وهذا هي ذروة السمو التي يجب أن يصل إليها أدب الأمة الإسلامية..

الحواشي:

(١) منهج الفن الإسلامي.... محمد قطب.
(٢) المصدر١
(٣) المصدر السابق نفسه

أحمد بن هارون الرشيد

بقلم: محمد يوسف الجاهوش

قصته عجب، بل أعجب من العجب، وأغرب من معظم ما يستغرب، وقلما يطالع الإنسان مثل هذا الموقف، إلا على فترات متباعدة من عمر الزمن.

إذ منذ الذي يستطيع - وهو في عنفوان الشباب - رفض زينة الدنيا ومباهجها، وعز الخلافة وزهوها، وأمجادها ومكاسبها؟ نعم من الذي يقوى على ذلك، ويتعالى عليه؟ ويترفع عن أهله، فلا يخالطهم في ورد ولا صدر، ولا يتحرك قلبه نحو شيء من تلك المغريات، التي تركت الناس صرعى على عتباتها، هلكى من اللهاث وراءها، طمعا في الوصول إلى شيء من فتاتها؟

أجل، إن الذين تسمو هممهم إلى هذا الأفق الرفيع صنف مميز، وطراز فذ في دنيا الناس، أنعم الله عليهم ببلوغ القمة ، فعاشوا محلقين في الأفق الرحيب، أفق عزة الإيمان، وبرد اليقين، أفق نور التقوى الذي أضاء جنبات نفوسهم، وكشف حجب الظلمة عن قلوبهم، فغدوا، مستنيرين، مستبصرين، لا يصرفهم عن طريق آخرتهم صارف، ولا يخدعهم عما عرفوا من الحق خادع.

وكان «أحمد بن الخليفة هارون الرشيد» من هذا الطراز الرفيع من الرجال، فما قصته؟ وكيف عاش بعيداً عن أضواء خلافة والده التي بهرت الخافقين، وجبي إليها خراج المشرقين والمغربين، وخطب ودها كل عظيم في الدول والممالك التي عاصرتها؟

عاش «أحمد» زاهدا، عابداً، لا يأكل إلا من عمل يده، وكان يعمل فاعلاً، «أجيراً» في الطين، رأس ماله مجرفة يجمع بها التراب، وزنبيل «قفة» يحمل بها ماجمع، ليجلعه طينا، ثم يستعمله في الأغراض التي يصلح لها.

كان يعمل يوماً واحداً في الأسبوع «يوم السبت» ويحصل على أجر مقداره درهم ودانق، «جزء من الدرهم» ثم يقبل على العبادة بقية أيام الأسبوع.

قيل: إن أمه «زبيدة»، وصحح «ابن كثير» في «البداية والنهاية»، ج/ ١٠ ص ١٩١: أنه ابن امرأة كان «الرشيد» قد أحبها وتزوجها قبل توليه الخلافة، ويبدو أن ذلك لم يكن عن أمر والده أو مشورته، فلما حملت منه بـ «أحمد» هذا أرسلها إلى البصرة، وأعطاها خاتماً من ياقوت أحمر، وأشياء نفيسة، وأمرها إذا أفضت إليه الخلافة أن تأتيه، وكان الرشيد يتابع أخبارها، ويرسل إليها ما يصلح حالها، وبلغه أنها وضعت مولوداً سمته «أحمد».

فلما صارت الخلافة إليه لم تأته، ولا ولدها، بل اختفيا، وبلغه أنهم ماتا، ولم يكن الأمر كذلك،وفحص عنهما، فلم يطلع منهما على خبر، وكان «أحمد» يعمل بيده ويأكل من كد يده.

■ العودة إلى بغداد:

رجع «أحمد» إلى بغداد، وما أدراك ما بغداد! إنها حاضرة العالم، وعاصمة العواصم، لم يكن لها نظير في الدنيا: في جلالة قدرها، وفخامة أمرها، وكثرة علمائها وأعلامها، وتميز خواصها وعوامها، وعظم وكثرة دروبها ودورها، ومنازلها وشوارعها، ومساجدها، وحماماتها، وخاناتها، وطيب هوائها، وعذوبة مائها، وبرد ظلالها واعتدال صيفها وشتائها، وصحة ربيعها وخريفها.

أقبلت الدنيا على أهلها برخائها ونعيمها، ومباهجها ومسراتها، ورغدها، وفتنتها حتى لكأن الدنيا كلها في بغداد، ولكأن بغداد هي الدنيا كلها، وأكثر ما كانت عمارة وأهلاً في زمن الرشيد.

فأين عاش ابن خليفة بغداد، وهو يرى الدنيا مازالت تتحدث عن عظمته وزاهي عيشه؟

عاش عاملاً يعمل في الطين يوم السبت، ليقتات وأمه مما يكسبه طوال أيام الأسبوع، ولا يذكر للناس من هو، ولا من يكون، عاش راضياً مسروراً، لا يسعى في الدنيا إلا إلى مرضاة ربه، وكسب رضى والدته، التي وافقته على ما أراد، ولم تفصح عن أمرها، احتراما لرغبة ولدها.

■ رحيل الأم: أتى القدر المحتوم، وبلغت أمه أجلها الذي أجله الله لها، وقبل أن تفيض روحها إلى بارئها أعطت الخاتم الذي وهبها الرشيد إلى ولدها،

ولفظت أنفاسها الأخيرة في حجرة ضيقة، ليس فيها من متاع الدنيا ما تقع عليه العين.

■ أحمد، بعد والدته: لم يغير شيئا مما نشأ عليه، فهو في عمل يوم السبت، وفي انقطاع إلى الطاعة والعبادة بقية الأيام.

■ مرض «أحمد» ووفاته: لم تذكر لنا المصادر كم دام على هذه الحال، غير أن «ابن كثير» في البداية والنهاية ذكر أنه قد اتفق مرضه في دار من كان يستعمله في الطين، وأن الرجل كان كريماً معه، فأشرف على تمريضه ورعايته حتى اللحظات الأخيرة من حياته.

■ وصية من الولد إلى الوالد: لما اشتد به المرض وحضره أمر الله تعالى أخرج الخاتم، وقال لصاحب المنزل: اذهب إلى «الرشيد»، وقل له: «صاحب هذا الخاتم يقول لك: إياك أن تموت في سكرتك هذه، فتندم حيث لا ينفع نادماً ندمه، واحذر انصرافك من بين يدي الله إلى الدارين، فإن ما أنت فيه لو دام لغيرك لم يصل إليك، وسيصير إلى غيرك، وقد بلغك خبر من مضى»، قال: هذا وفاضت روحه إلى خالقها، وذلك في عام أربعة وثمانين ومئة.

باشر الرجل تجهيزه ودفنه، وهو لاينفك عن التفكير فيما رأى وسمع، ترى من يكون هذا الرجل؟وما سر هذا الخاتم الذي أعطاني؟ وما الذي سيحصل إذا ما أبلغت الخليفة بذلك.

اسئلة حائرة، ليس ثمة ما يهدي إلى جواب عن بعضها، ولا إلى إشارة تهدي إلى شيء يفك هذا اللغز الحائر المحير.

ولكن الرجل، «في نهاية المطاف» صمم أن يسعى للوصول إلى الرشيد، وإبلاغ الأمانة، وليكن ما أراد الله.

في مجلس الرشيد: دخل الحاجب، وأخبر الخليفة أن في الباب رجلاً من العامة يزعم أن لديه سراً يخص أمير المؤمنين، أذن «الرشيد» بإدخاله، فلما دخل سأله ما حاجتك؟ وما وراءك؟ قال الرجل: يا أمير المؤمنين، هذا الخاتم دفعه إليّ رجل، وأمرني أن أدفعه إليك، وأوصاني بكلام أقوله لك.

فلما نظر في الخاتم عرفه قال: ويحك: وأين صاحب هذا الخاتم؟ قال الرجل: مات يا أمير المؤمنين، وذكر له الكلام الذي أوصاه به، وأن الرجل كان يعمل بالفاعل يوما من كل جمعة بدرهم ودانق، يتقوت به سائر أيام الجمعة، ثم يقبل على العبادة.

فلما سمع الرشيد هذا الكلام قام فضرب بنفسه الأرض، وجعل يتمرغ فيها ظهراً لبطن، ويقول: والله لقد نصحتني يا ولدي، ويشهق من شدة البكاء.

ثم رفع رأسه إلى الرجل وقال: أتعرف قبره؟ قال: أنا دفنته. قال «الرشيد»: إذ كان العشي فائتني، فلما كان العشي ذهب به الى قبره فجلس عند رأسه، وبكى طويلاً، حتى كاد يصبح، ثم أمر للرجل بعشرة آلاف درهم، وكتب له ولعياله رزقاً.

■ درس وعبرة:

ما أجمل أن يترفع الإنسان عن متاع الدنيا، ويرضى بالقليل الذي يمسك عليه حياته، ويصون ماء وجهه عن ذل الحاجة، وحرج السؤال، وما اختاره «أحمد بن الرشيد» مذهب فردي، لا نعيب على من ارتضاه لنفسه، واختاره منهجاً لحياته.

وتعاليم ديننا رغبتنا فيما هو أكثر فائدة وأعظم عائدة، فالمسلم مطالب أن يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، بضوابطه وشروطه المعروفة، وأن يكون منتجاً، ذا رسالة في الحياة، يعود نفعها عليه وعلى الأمة، بل على البشرية كلها.

لابد لإعزاز الإسلام من استغلال خيرات الأرض استغلالاً تاماً، لتأمين الأمن الغذائي، والاستغناء عن موارد الأعداء، ولابد من إقامة المصانع والمعامل التي تنتج الصناعات، ليتحقق الاكتفاء عن استيراد منتجات الأعداء، لابد من جند مقاتلين، مدربين، ومسلحين بأحدث أنواع السلاح وأمضاها، ليحموا الذمار، ويصونوا الأعراض والديار، والأمة مطالبة بتهيئة كل ما يسهم في تحقيق هذا، لابد من الأطباء لمعالجة المرضى والمعلمين الذين ينشؤون الأجيال على الفضيلة والتقوى، والمرشدين والمربين الذي يهذبون النفوس، ويسعون في إصلاح القلوب، ويردون الشبهات التي يروجها الأعداء، فمن يقول بكل ذلك إذا ماتوارى أصحاب الكفاءات في المساجد والزوايا، وعكفوا على العبادات الفردية؟

وقديماً نما الإسلام وانتشر في ظلال مصاحف المربين، وسيوف المجاهدين، وأقاد من عمل العاملين، وكد المزارعين، وأموال التجار والمستثمرين، فأضاء جنبات الأرض، وأخرج الناس من الظلمة إلى النور، ومن الجاهلية إلى الهداية والرشاد، ومن الأمية إلى أفق العلم والتعليم، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الديان، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام.

فلو أن رجال الرعيل الأول انقطع كل فرد منهم للعبادة والتبتل والعمل في الطين يوماً في الأسبوع لما قامت للإسلام دولة، ولا تأسست له أمجاد وحضارة، ولا اندحر الكفر وظهر التوحيد، ولما نعمت الإنسانية بالخير العميم الذي جاءها بها هذا الدين العظيم.

إننا لا نعيب على فرد أو أفراد اختاروا مسلك «ابن الرشيد»، فذاك شأنهم، وهم أدرى بإمكاناتهم وملكاتهم، لكننا نؤكد، أن ذلك مما لم يأمرنا به ديننا، ولا يصلح نظاما عاماً لاتباع رسالة فرض الله عليهم العمل به، وإبلاغها إلى حيث يستطيعون الوصول والبلاغ.

إن مكابدة ساعة في تربية الأولاد وتعليمهم وإعدادهم لمهمات الحياة أكثر أجراً من أيام كثيرة من أيام الزهد والعبادة، ورباط يوم في سبيل الله أعظم من شهور بل من سنوات يقطعها الآخرون في التسبيح والتهليل والأذكار.

عن «أرطاة بن منذر» أن «عمر ابن الخطاب» ﷺ قال لجلسائه: أي الناس أعظم أجراً؟ فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة، ويقولون: فلان وفلان بعد أمير المؤمنين. فقال: ألا أخبركم بأعظم الناس أجراً ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى، قال: رويجل بالشام، آخذ بلجام فرسه، يكلأ من وراء بيضة المسلمين، لايدري أسبع يفترسه، أو هامة تلدغه، أو عدو يغشاه فذلك أعظم اجراً ممن ذكرتم، ومن أمير المؤمنين.

كنز العمال ٢٨٩/٩٢ .

نعم، هذا هو نهجنا، وهذه توجيهات ديننا: أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

مصادر البحث:

١- البداية والنهاية «ابن كثير».

٢- وفيات الأعيان «ابن خلكان».

٣- صفة الصفوة «ابن الجوزي».

٤- كتاب التوابين

٥ - الوافي بالوفيات

من نوادر مخطوطات وزارة الأوقاف الكويتية

جمع الأصول في مشهور المنقول

من نوادر مخطوطات وزارة الأوقاف في الكويت، مخطوط عنوانه «جمع الأصول في مشهور المنقول» للديواني، وهذا المخطوط من المخطوطات النادرة حيث إنه خُط بيد المؤلف نفسه «يرحمه الله»، وقد كُتب سنة ٧٢٤ هـ.

■ ترجمة المؤلف:

«علي بن محمد بن أبي سعد بن عبدالله»، «أبو الحسن الواسطي» المعروف بالديواني.

خاتمة المقرئين بواسط، مولده ووفاته فيها، له «مع الأصول» و«روضة التقرير -خ» في شستربتي (٣٦٩٥) قصيدتان في القراءات، وشرحها «١».

■ مراجع توثيق المخطوط

الدرر الكامنة ١٠٤/٣، كشف الظنون ص ٥٩٤، الإعلام ٥/٥، معجم المؤلفين ٥٠٥/٢

رقم المخطوط ١/٢٨٢

«١» انظر: الاعلام ٥/٥

■ جمع الأصول في مشهور المنقول

المؤلف: الديواني «علي بن محمد بن أبي سعد بن عبدالله»، «أبو الحسن الواسطي» (ت ٧٤٣ هـ)

الناسخ: بخط المؤلف

سنة النسخ: ٧٢٤ هـ

■ أول المخطوط:

بعد البسملة:

بدأت وقد فوضت أمري مبسملاً
إلى مستحق الحمد في النظم أولا

■ آخر المخطوط:

كذا الواو بعد الضم أن يتسكنا
فحسبك ما فيه الرضا متقبلا
فأنت بيبات الخلائق عالم
حنانيك يا محيي الرفات من البلى

■ وصف النسخة، والملاحظات:

بخط نسخي، مصححة، بعض الكلم بالحمرة، على الهوامش بعض التعليقات، عليها تملكات لـ «حمد بن علي الخطيب» ولـ «عبدالله بن خلف الدحيان».

٣٨ ق (١-٣٨)

١٥س

١٨,٢ × ١٤,٣ سم

البيت المسلم

الشروط المقترنة بعقد النكاح ما يلزم منها وما لايلزم

72

مسلم تارو كيتامورا

ياباني هداه الله إلى الإســـــلام

82

سنة أولى زواج

والصــراع المرير بين الأزواج والحمـوات!!

68

إحذري من الضحك إذا أخـطـأ طـفـلـك

71

لماذا لم تعـــد البنت سر أمـهـا؟

76

مهزلة جديدة من شذوذ الغزو الثقافي

زواج الشيكولاته يغزو المجتمعات العربية

79

قصة 81

الصفعة

من مفكرة امرأة مسلمة

حوار هادئ مع سيدة مثقفة!!

77

سنة أولى زواج

والصراع المرير بين الأزواج والحموات!!

٤٥٪ من حالات الطلاق تحدث في السنة الأولى من الزواج!!

تحقيق - محمد عبدالشافي محمد

قبل الزواج يرسم الإنسان صورة وردية لحياته الزوجية، ويطلق العنان لخياله الخصب فلا يجد سوى الورد والأزهار وطريق الحرير حيث لا مشكلات ولاصعوبات ولا صراع، وبعد الزواج ترتدي الأحلام ثوب الواقع وتتخلى عن عذوبتها وتحليقها في عالم الفرحة والجمال، وترتكز دراسة حديثة أجراها قسم الاجتماع وعلم النفس في جامعة الاسكندرية ذكرت أن نحو ٤٥ ٪ من حالات الانفصال بين الأزواج تقع في السنة الأولى للزواج، وأرجعت الدراسة السبب في ذلك إلى أسباب عدة، منها اختلاف وجهات النظر بين الزوجين وعدم التوافق الفكري والنفسي بينهما واحساس كل منهما أنه تعرض لحال من الخداع على يد الطرف الآخر.

ومن ثم كانت سنة الزواج الأولى - بلا شك- خطاً فاصلاً بين عالم ما قبل الزواج وما فيه من رقة ورومانسية، وعالم الزواج وما فيه من مسؤولية وصعوبات وتحديات.. وهي خطوة كبيرة على درب الحياة، ولذا فنحن في حاجة إلى تقويم هذه الخطوة.. التي قد تكون سببا في هدم الحياة الزوجية وتدميرها أو الوصول بها إلى بر الأمان والسلامة.

■ الخرس المنزلي!!

تقول «هبة» وهي ربة بيت ومتزوجة من محاسب، ولم يمض على زواجها أكثر من خمسة أشهر: «رغم أنني تزوجته بعد تجربة عاطفية جميلة وراقية، إلا أنه بعد الزواج تغير كثيراً، صرنا لا نتبادل الحديث معاً إلا نادرا، مات الحوار بيننا بالسكتة القلبية.. كأنه لا يطيق الحديث معي.. يقضي أغلب وقته في المقهى مع أصدقائه، حتى أيام الإجازات يكون إما نائما أو منكباً على العمل.. بل إنه صار يتعامل معي كأنني كم مهمل أو قطعة من أثاث المنزل.. مما يجعلني أحس بالألم والإهمال والندم.

■ لا وقت للحوار..!!

أما «عبدالوهاب أمين» الذي يعمل صحافياً، ومتزوج حديثاً من بزميلته في العمل، فيقول: «كنت قبل الزواج أرسم صورة وردية لحياتي الزوجية، وبعد الزواج تغير كل شيء، بدأت المشكلات والمسؤولية الضخمة وتحولت زوجتي الرقيقة إلى سجان يريد أن يعتقلني في البيت ويمنعني من مشاهدة أصدقائي وأهلي.. ومن العجيب أن زوجتي دائمة الشكوى من صمتي داخل المنزل، وأنا أعترف بأنني لا أجد كلمات أتبادلها مع زوجتي فقد قلنا كل شيء في فترة الخطبة، ويبدو لي أن الكلام قد نفد، وأن الحوار لا فائدة منه».

■ الحوار متعة المشاركة!!

وترى «حبيبة» وهي تعمل مدرسة ومتزوجة حديثاً: أن الحوار امرأة بمعنى أن المرأة قادرة على خلق مجال للحوار بينها وبين زوجها وإثارة حماسته للنقاش في أمور الحياة المشتركة بينهما، فالرجل بطبيعته محب للصمت والتأمل على عكس المرأة التي تحب الكلام والثرثرة.. لذا فعليها الدور الأكبر في توفير مساحة للحوار شرط أن تحترم عزلة الرجل ولا تقتحمها في كل الأوقات لتصب في أذنيه الشكوى وما تعانيه من مشكلات وفراغ وتعب على المرأة أن تجعل الحوار مع زوجها متعة ومشاركة.

■ ابحث عن الحموات!

وترى «آمال عبد المقصود» وهي متزوجة منذ عشرة أشهر أن علاقتها بزوجها رائعة .. ولا يعكر صفوها سوى تدخل أم زوجها في شؤونها الصغيرة، فهي لا تكف عن توجيه النقد لها والتفتيش عن أخطائها مما يجعلها تشعر بالضيق والغضب».

وعلى العكس منها تبدو «دعاء عبدالرحيم» التي تقول: «حماتي هي أمي الثانية التي استقبلتني في حياتي الجديدة ووقفت إلى جانبي ولم تتخل عني لحظة واحدة خصوصا في أثناء فترة الحمل التي أمر بها حالياً، وهي بلا شك مرحلة جديدة في حياتي وخبرتي بها قليلة».

وتقول «دعاء»: إذا كانت الحموات - كما يقولون - قنبلة موقوته داخل كل بيت، فإن صمام الأمان بيد الزوجة، التي يجب أن تتعامل مع حماتها بوصفها أماً لها .. وليست عدواً لدوداً، فبالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة والرفق تتوثق العلاقة وتزول أسباب الشقاق والخلاف.

■ مودة ورحمة

ويرى «محمد الهمشري» - مدرس - وهو متزوج حديثاً أيضاً .. أن أم زوجته (حماته) سيدة طيبة وحنونة وتعمل على استقرار الأسرة الصغيرة، بل انها تقف إلى جانبه عندما يحدث خلاف بينه وبين زوجته.. ويقول «محمد»: من الخطأ أن ندخل إلى الحياة الزوجية ونحن نحمل

عداء لأهلنا الجدد أو توجساً منهم، والمفروض أن يكون هناك حب ومودة ورحمة بهم..

■ الكلمة الأولى .. لمن؟

وفي العام الأول للزواج يتجدد ذلك الصراع الذي تظنه أبدياً بين الزوج والزوجة لقيادة زورق الحياة، فحين يرى الرجل أنه الأحق بالقيادة لا تتنازل المرأة بسهولة عن محاولاتها لفرض سيطرتها والإمساك بالزمام.. وفي دراسة اجرتها الدكتورة «علية الحصري» في قسم الاجتماع في جامعة جنوب الوادي، أشارت إلى أن الأسرة تضم طرفين على قدر من التعليم والثقافة- على عكس المتوقع- تعاني من الخلافات والمشكلات أكثر من غيرها، وخصوصا في محاولة السيطرة على زمام الأمر داخل المنزل وقيادة الأسرة الصغيرة. وربما يبدو هذا أمرا طبيعياً في رحلة الحياة ولكن يبدو أن هناك وجهات نظر أخرى في هذه المعركة الطريفة.

■ زوجي .. شخصيته ضعيفة!

تشكو «عبير فتحي» مر الشكوى، من ضعف شخصية زوجها فتقول: «زوجي شخصيته ضعيفة وسلبي ليس له رأي ولا كلمة في البيت، ورغم فرحتي بذلك في البداية حيث إنني سأكون المتصرفة في كل شؤون الأسرة والمسيطرة على كل شيء، إلا أنني مع مرور الوقت بدأت احس بالضعف وعدم الراحة.. فأنا أولا وأخيراً امرأة شرقية أريد أن يكون زوجي هو سيد المنزل وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة».

ويبدو الدكتور «عدلي رضوان» هو الطرف المقابل للمشكلة التي تعاني منها عبير وهو متزوج من طبيبة، حيث يقول: زوجتي صاحبة شخصية متسلطة ولا أنكر أنها ذات عقل راجح ومنطق قوي.. وهي لا تقبل بأقل من السيطرة على كل شيء بما فيه أنا شخصياً. وهذا ما جعل المشكلات تنشب بيننا منذ يوم زواجنا فتحولت حياتنا معاً إلى جحيم لا يطاق». ويرى الدكتور «عدلي» أن العلاقة بين الزوجين من المفروض أن يسودها الود والتفاهم بدلاً من فرض الرأي والاستبداد.

■ أعمال المنزل .. مشكلة أخرى!

وفي دراسة نشرتها الدكتورة «سوزان أبو رية» في المركز القومي للبحوث في القاهرة: تذكر أن المرأة مازالت هي المسؤولة عن معظم أعباء الأسرة، وأن أكثر من ٨٠ في المئة من النساء يقمن بجميع متطلبات الأسرة من طهي وغسيل وكي وشراء الحاجات من السوق، بالإضافة إلى ممارستها للعمل خارج البيت في حين أن نسبة الرجال الذين يسهمون في الأعمال المنزلية لا تتجاوز ٤ ٪.

وتقول الدراسة أيضا: إن الرجال مازالوا يشعرون بالغضب والإهانة عندما تطلب منهم الزوجات المشاركة في أعمال المنزل، وهو ما يخلق حالة من التوتر والقلق داخل الأسرة خصوصا في عام الزواج الأول، وخصوصا إذا لم تستسلم المرأة وتتحمل بمفردها مسؤولية أعمال المنزل.

■ الزوج الخادع!

تقول «منى عبدالهادي» متزوجة منذ عام: «أعترف أنني تعرضت للخداع على يد زوجي، فقد رسم لي أثناء الخطبة حياة وردية حالمة نتقاسم كل شيء بحلوه ومره، ونتحمل الأعباء معاً، فكان لي انه سيساعدني في أعمال المنزل من طهي وغسيل وكي ونظافة، وأنه سيعمل على راحتي دائما.. وبعد الزواج اختلف كل شيء وصار زوجي يغضب أشد الغضب إذا طالبت منه بمجرد مساعدتي في أعمال المنزل. ويقول إنها مسؤوليتي وحدي، وأخيراً استسلمت للأمر الواقع رغم كثرة الأعباء الملقاة على عاتقي.. وخصوصاً بعد مجئ طفلي الأول».

وكان لابد من استطلاع وجهة نظر الطرف الآخر الذي يبدو ظالماً ومذنباً..

يقول «أيمن سليم» ويعمل موظفاً في أحدى المؤسسات الرسمية:

«تعلمنا منذ الصغر أن أعمال المنزل هو مسؤولية المرأة فقط.. فلا يوجد هناك رجل يقوم بالطهي والغسيل والكي بدلاً من زوجته.. وإذا

محاولة تغيير الآخر - دائما - تؤدي إلى الطلاق المبكر!!

«الخرس المنزلي» مرض اجتماعي أفرزته المدنية الحديثة!!

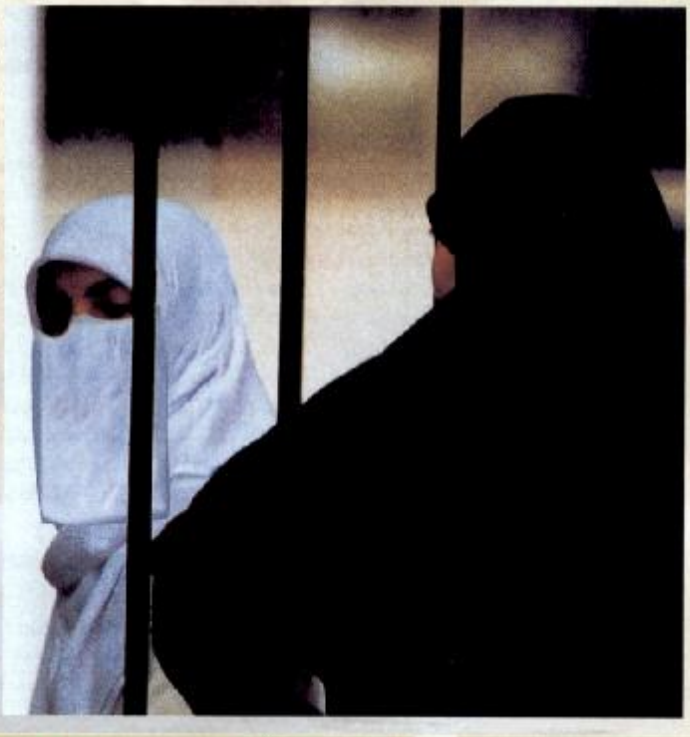

وجد هذا الرجل فإنه يكون عرضة للسخرية والاستهزاء من أقرانه، وأنا شخصياً لا أرفض المساعدة في أعمال المنزل ولكن الحاح زوجتي على هذا الأمر يشعرني بالغضب والنفور».

■ محاولة تغيير الآخر فاشلة!

يرى «شوقي سالم» وهو متزوج منذ خمسة أعوام ولديه طفلان، أن الخلافات التي تشب بين الزوجين في العام الأول للزواج طبيعية، وهي مرحلة يمر بها كل زوجين، ومعظمها يأتي من اختلاف في الطباع والميول وعدم التعود على الطرف الآخر واهتمامه، ولا داعي للخوف أو القلق منها لأنه بعد العشرة بين الطرفين والإنجاب يزداد الود والتآلف والحرص على انجاح حياتهما معاً شرط أن يتخلى كل طرف منهما عن أنانيته وحبه لنفسه ولا يجعل جل همه محاولة تغيير الآخر لأنها محاولة فاشلة تسمم الحياة، وإنما يجب على الطرفين البحث عن نقاط مشتركة للالتقاء وليس للخلاف.

■ الخلافات متوقعة!

وتقول «ابتسام عبدالله» وهي متزوجة منذ سنوات رفضت الإفصاح عن عددالسنين ربما خوفا من الحسد: لأن من الخطأ أن يكون العام الأول للزواج هو المعيار والمقياس لنجاح الزواج أو فشله.. ولأن الخلافات تكون متوقعة والتصادم بين الطرفين طبيعي، وهذه الفترة هي مجرد تمهيد لحياة طويلة عريضة، وأنا شخصياً لو تركت العنان لنفسي في سنة الزواج الأولى لكنت طلبت الانفصال عن زوجي وأجازف بهدم أسرتي الصغيرة، ولكنني عبرت تلك الفترة بسلام بفضل نصائح أمي وأهلي.. ويجب على الزوجين تقويم الزواج في عامه الأول لتصحيح المسار وعلاج الأخطاء والقضاء على الخلافات قبل أن تتفاقم ويصعب علاجها.

■ «الشر» أصيل وقاعدة عند النساء!

تعلق الدكتورة «سعاد صالح»، أستاذة الفقه المقارن، ومفتية النساء في مصر، على هذه الاتهامات المتبادلة بين الأزواج بقولها: لعل «الجهل والخداع وقلة الوعي وعدم التوافق النفسي والروحي والاجتماعي) هو القاسم المشترك بين هذه الأطراف المتناحرة التي تبحث عن أي وسيلة، أو أي طريق يؤدي إلى الطلاق السريع والتحلل من المسؤولية الأسرية والأمانة المعلقة في عنقه..!

وتشير الدكتورة سعاد إلى أن الشر «غالبا» ما يكون عند النساء أصيلاً وقاعدة، لذا.. فإنني أدعو النساء جميعا إلى أن يتقين الله عز وجل في بيوتهن وأزواجهن وأبنائهن، وعلى النساء أن يأخذن من نساء الصحابة قدوة ودليلا في حياتهن، فقد كانت النساء فيمن قبلنا نعم القدوة لمن كانت ترجو الله واليوم الآخر.

■ التمسك بالمبادئ الشرعية هو طوق النجاة

ومن جانبه يقول فضيلة الدكتور «عبدالرحمن العدوي» الأستاذ في كلية الدعوة الإسلامية، ورئيس اللجنة الدينية في البرلمان المصري: إن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، لذلك اهتم الشارع الحكيم بوضع أسس قوية لبنيانها، وفي الوقت نفسه وضع

الحموات «قنابل موقوتة.. وصمام الأمان بيد الزوجة!

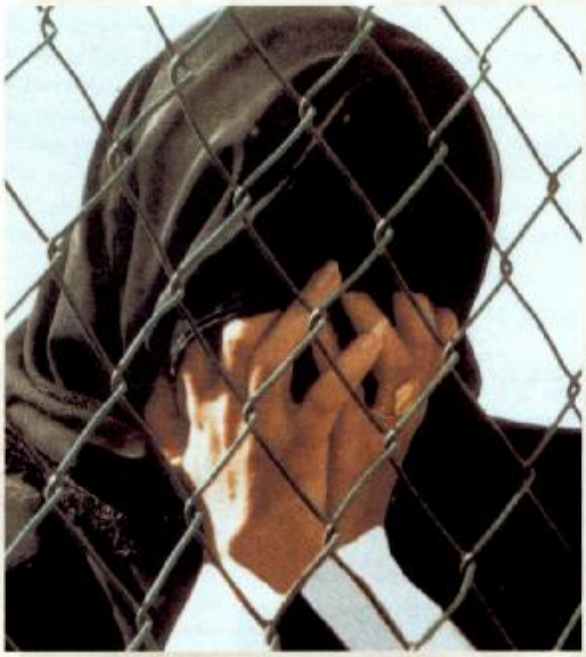

أسسا للمحافظة عليها وحلولا من مبادئ جوهرية لكل ما يطرأ عليها من عوامل الهدم والتفكيك، وهذه المبادئ موجودة في إطار قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ «الروم -٢١».

ويشير فضيلة الدكتور «العدوي» إلى أن العلاقات الزوجية لابد أن يحدث فيها احتكاك وخلاف ويطرأ عليها توافق واعتساف.. ولا يجبر هذه العلاقات ويضمد جراحها سوى التمسك بالمبادئ الشرعية التي يجب على الزوجين إتباعها لتمر الحياة في سلام وأمان وينتفع المجتمع المسلم كله بها، وأهم المبادئ: حسن المعاشرة، الوعظ بالحكمة، الهجر في المضجع، التحكيم.

■ الحل هو مراعاة الحقوق والواجبات

ويطالب سماحة الشيخ «عطية صقر» رئيس لجنة الفتوى السابق في الأزهر الشريف في ضرورة أن يحفظ كل واحد لسانه من التلفظ بألفاظ الطلاق مهما كانت الدواعي والأسباب، وأن تجتهد المرأة في المحافظة على أسرتها فتصبر وتتحمل ولها الأجر العظيم عند الله تعالى وتحفظ نفسها عن طلب الطلاق مهما كانت الدواعي والأسباب، كما ينبغي أن يراعي الطرفان الحدود والأحكام الشرعية ويحافظ كل منهما على الواجبات ويؤدي حقوق الطرف الآخر مبتغيا بذلك وجه الله تعالى، أيضا على الزوجين مراجعة أهل العلم في كل ما يحدث بينهما ليكونا على بينة كاملة من شرع الله الحنيف.

إحذري من الضحك إذا أخطأ طفلك

بقلم: كمال عبدالمنعم محمد خليل

يتوقف استمرار الطفل في أفعاله أو انتهائه عنها تبعاً لما يراه من رد فعل من قبل والديه أو من قبل من حوله، الذين يشاهدون ما يفعله في هذه اللحظة بالذات لها مردود ربما يكون سلباً أو إيجابا على الطفل، ولكن.. وبكل أسف، فإن الكثير من الآباء والأمهات والمربين وحتى أقارب الطفل يغفلون عن هذه الحقيقة، ويكتفون بالضحك، والتعبير بالسرور عن كل ما يصدر عن الأطفال على اعتبار أنهم كبروا، وبدأوا يتكلمون ويتحاورون معهم، ونحن لا ننكر على الآباء والأمهات فرحتهم بأبنائهم، داعين الله تعالى أن يقر أعينهم بهم، ولكن مانريده هو الوصول بهؤلاء الأبناء إلى الصلاح والفلاح، وأن يكونا لبنة صالحة ونبتة طيبة في المجتمع المسلم، ولا يكون ذلك إلا بتأديبهم وحسن توجيههم، لذلك روى «ابن ماجة» في سننه أن الرسول ﷺ قال: «أكرموا أبناءكم، وأحسنوا أدبهم»، وفي رواية الطبراني: «الزموا أبناءكم...».

من أجل ذلك ننصح الآباء والأمهات: أن ينتبهوا لما يصدر من أبنائهم، ولا يضحكوا أو يحمدوا كل ما يفعلونه، بل عليهم أن يميزوا لهم بين الرشد والغي، وينبهونهم بوسيلة أو بأخرى إلى الفعل الخطأ، واللفظ المشين، حتى يمتنعوا عنه، ويجتنبوه، ولا يكرروه مرة ثانية، والوسائل كثيرة لتعريف الطفل بخطئه، فتارة تكون بالنظرة الغاضبة، وأخرى تكون بالكلمة ذات الهجة الغاضبة، ولا تتعدى هذه أو تلك لحظات قليلة، عندها يعلم الطفل خطأه، ويكف عنه، وينبغي مراعاة أمر مهم، هو أن يكون النهي والزجر تالياً للخطأ الذي تم ارتكابه من قبل الطفل مباشرة، ولا يفصل بينهما شيء، حتى يعلم الطفل عن أي شيء زجر ونهر فلا يعود إليه مرة ثانية.

والأم هي التي تلازم أطفالها في صغرهم وهي التي تشاهد أكثر تصرفاتهم، وتسمع أول كلماتهم، يجب عليها أن تنتبه إلى هذه المهمة التربوية فلا تشجع الخطأ، أو تتصرف تصرفاً يفهمه الطفل على أنه رضا وقبول لما صدر منه، هذا يدفعه إلى تكرار الخطأ والتمادي فيه، وربما يستمر في فعله هذا حتى يكبر، وعندها يكون الأمر جريمة، ولنضرب مثالاً لما نقول: بعض الأطفال يقلدون المدخنين في ارتكاب عادتهم المحرمة، فيضعون السيجارة في أفواههم أو حتى الورقة الملفوفة مثل السيجارة بين شفاههم، ومن ثم يجب ألا يقابل الطفل الذي يفعل ذلك بضحكات، وإعجاب من قبل والديه!! ترى كيف يكون رد الفعل تجاه الابن؟ لا شك أنه سيكرر ذلك مرات ومرات، وإن كان قد فعله اليوم لمجرد التقليد الأعمى، إلا أنه سيفعل ذلك مستقبلاً كمدمن لا يستطيع أن يتخلى عن هذه العادة السيئة والمحرمة، ومثل ذلك إذا كذب الطفل، أو سرق حاجة غيره، أو تلفظ بألفاظ قبيحة، أو ضرب طفلا من أقرانه، عندها لابد أن يعنف حتى لا يعود لمثل هذا التصرف.

وفي مقابل ذلك ينبغي تشجيع الفعل المحمود من الطفل ومدحه، ومكافأته عليه حتى يستمر في فعله والاستزادة منه، فلو ردد الطفل مثلا الأذان عند سماعه من مؤذن المسجد أو من التلفاز يجب على من سمعه من الوالدين تقبيله وتشجيعه، وبذل ما يحبه هذا الطفل في تقديم هدية له على هذا الفعل المحمود، وبذلك يرتبط بذهن الطفل هذا الفعل، وهذا السلوك، فيردد الأذان كلما سمعه، وهكذا.

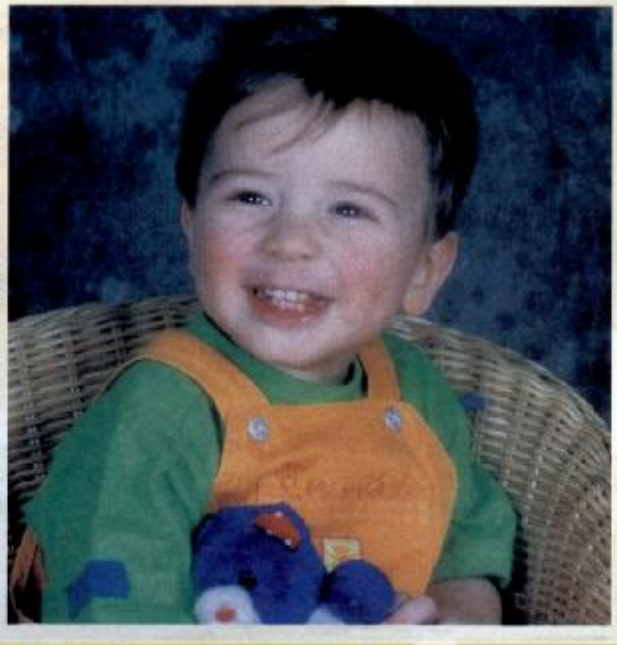

ومن حسن تأديب الطفل تدريبه على ترديد كلمات القرآن الكريم وبخاصة السور القصيرة، وهذا يعود الطفل النطق الصحيح للكلام فيستقيم لسانه، وييسر عليه حفظ كتاب الله تعالى في مرحلة تالية، وشتان بين الفتح عليه بكلمات القرآن الكريم، وبين السكوت على تلفظه بالكلام القبيح.

فاحذري أيتها الأم الفاضلة أن تضحكي لطفلك إذا علمت أنه سرق حاجة غيره أو تلصص على أحد، أو شتم أو سب أحداً، أو أساء إلى الكبير، أو حاول تقليد فعل منكر، لأنك إن فعلت ذلك، فكأنك تجعلينه مدمنا لكل فعل قبيح، وعاقبه ذلك غير محمودة لا محالة.

الشروط المقترنة بعقد النكاح ما يلزم منها وما لايلزم

بقلم: د.عبد الرحمن العمراني - المغرب

الأصل في الزواج أن يتم من غير أن يشترط الرجل والمرأة أو أحدهما أي شرط عند إنجاز العقد، غير أنه يحصل أحيانا أن يصر أحدهما على وضع بعض الشروط التي يراها تحقق مصلحته وهي لا تخالف مقتضى العقد، ويقبلها الطرف الآخر، فهل تكون هذه الشروط ملزمة؟ وهل يترتب عن عدم الوفاء بها حكم معين؟ هذه المسألة ناقشها الفقهاء قديما وحديثا واختلفوا فيها على ثلاثة أقوال يمكن بسطها مع أدلتها فيما يلي:

أولاً. آراء وأدلة الفقهاء في المسألة:

القول الأول: كل شرط صحيح إلا شرطاً ورد في الشرع الحكم عليه بالبطلان، أو شرطاً يمنع أمراً مباحا فيكون باطلا. وهذا قول الإمامين مالك في رواية عنه «١» والشافعي: فإن الشروط عندهما في النكاح تنقسم إلى قسمين اثنين أحدهما شروط صحيحة، وهي الشروط التي لم يدل الشرع على بطلانها فيجب الوفاء بها لقول الشافعي: «إنه إنما يوفي من الشروط ما بين أنه جائز ولم تدل سنة رسول الله ﷺ أنه غير جائز»«٢». والقسم الثاني شروط باطلة، لكن لا يفسد باشتراطها العقد. وهي الشروط التي تمنع أحد الزوجين من فعل مباح في الشرع، كأن تشترط المرأة على زوجها أن لايتزوج امرأة غيرها، أو لايتسرى عليها، أو لا يخرجها من بلدها، أو لا يمنعها من حضور الصلوات في المسجد ونحو ذلك. جاء في المدونة الكبرى قول سحنون: «قلت: أرأيت إن تزوج امرأة على أن لا يتزوج عليها، ولا يتسرر«٣»، أيفسخ هذا النكاح وفيه هذا الشرط إن أدرك قبل البناء في قول مالك؟ قال: قال مالك: النكاح جائز والشرط باطل: قلت: لم أجاز هذا النكاح وفيه هذا الشرط؟ قال: قال مالك: قد أجاز سعيد بن المسيب وغير واحد من أهل العلم «٤»، وليس هذا من الشروط التي يفسد بها النكاح»«٥». وكذلك قال الشافعي: «لو نكح بكرا أو ثيبا بأمرها على ألف أن لها أن تخرج متى شاءت من منزله، وعلى أن لا تخرج من بلدها، وعلى أن لاينكح عليها، ولا يتسرى عليها، أو أي شرط ما شرطته عليه مما له إذا انعقد النكاح أن له يمنعها منه، فالنكاح جائز والشرط باطل» «٦». ثم بين الإمام الشافعي الشروط التي يحسبها مخالفة لكتاب الله ولسنة ﷺ أو لأمر اجتماع الناس عليه بقوله: «أحل الله للرجل أن ينكح أربعا وما ملكت يمينه، فإذا اشترطت عليه أن لا ينكح ولا يتسرى، حظرت عليه ما وسع الله تعالى عليه. (...) ولم يختلف أحد علمته في أنه له أن يخرجها من بلد إلى بلد، ويمنعها من الخروج: فإذا اشترطت عليه أن لا يمنعها من الخروج ولا يخرجها، شرطت عليه إبطال ما له عليها. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ (النساء٣)، فدل كتاب الله تعالى على أن على الرجل أن يعول امرأته، دلت عليه السنة، فإذا شرط عليها أن لا ينفق عليها أبطل ما جعل لها وأمر بعشرتها بالمعروف، ولم يبح له ضربها إلا بحال. فإذا شرط عليها أن له أن يعاشرها كيف شاء، وأن لاشيء عليه فيما نال منها، فقد شرط أن له أن يأتي منها ما ليس له، فبهذا أبطلنا هذا الشروط وما في معناها ولها مهر مثلها»«٧».

وهذا القول مروي عن علي بن ابي طالب ﷺ «٨» وسعيد بن المسيب «٩» ﷺ، وقد صار مبدأ قانونيا يعمل به في المحاكم السورية «١٠».

واحتج أصحاب هذا القول بمايلي:

١. قوله ﷺ: «ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالى؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل ولو كان مائة شرط ، قضاء الله أحق وشروطه أوثق فإنما الولاء لمن أعتق»«١١». أخذوا منه أنه ﷺ أبطل الشروط التي لم يرد ثبوتها في الكتاب والسنة، فثبت عندهم أن كل شرط ليس في القرآن ولا في السنة ولا اجمع على اعتباره العلماء، يكون باطلا كاشتراط المرأة أن لا يتزوج عليها زوجها. وفي هذا قال الشافعي: «فإن قال قائل فلم لا تجيز عليه ما شرط لها وعليها ما شرطت له؟ قيل: رددت شرطهما إذا أبطلا به ما جعل الله لكل واحد ثم ما جعل النبي ﷺ، وبأن رسول الله ﷺ قال: «ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله تعالى؟.. الحديث». فأبطل رسول الله ﷺ كل شرط ليس في كتاب الله جل ثناؤه إذا كان في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ خلافه» «١٢». وكذلك قال الزيلعي من علماء الحنفية: «ولنا قوله عليه الصلاة والسلام: «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل». وليس فيه هذا الشروط. وقال عليه الصلاة والسلام: المسلمون على شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا»«١٣». وهذه الشروط تحرم الحلال كالتزوج والمسافرة بها والتسري ونحو ذلك فكانت

مردودة» «١٤».

وأوضح ابن عبد البر أن «معنى قوله هنا (في كتاب الله)، أي في حكم الله وحكم رسوله أو فيما دل عليه الكتاب والسنة فهو باطل.والله قد أباح نكاح أربع نسوة من الحرائر وما شاء مما ملكت يمينكم وأباح له أن يخرج بامرأته حيث شاء وينتقل بها حيث انتقل» «١٥».

والقول الثاني كل شرط صحيح إلا شرطاً دل الشرع على بطلانه، وعليه فإنه يلزم من الشروط «ما يعود إليها نفعه وفائدته مثل أن يشترط لها أن لا يخرجها من دارها أو بلدها أو يسافر بها أو لا يتزوج عليها ولا يتسرى عليها، فهذا يلزمه. فإن لم يفعل فلها فسخ النكاح» «١٦». ولا يلزم منها كل شرط ينافي مقتضى العقد «١٧» فيبطل ويبقى العقد صحيحاً. وكذلك كل شرط يبطل العقد وهذا قول الإمام أحمد فإن الأصل في الشروط المقترنة بعقد النكاح عنده الجواز والصحة حتى يحكم الشرع ببطلانها.

وبهذا القول أخذ ابن تيمية وابن القيم، أما ابن تيمية فوصفه بأنه أعدل الأقوال وأوسطها في المسألة «١٩»، وبه كان يفتي «٢٠». وهو يرى أن «الأصل في الشروط الصحة واللزوم إلا ما دل الدليل على خلافه. وقد قيل: بل الأصل فيها عدم الصحة إلا ما دل الدليل على صحته لحديث عائشة «٢١» والأول أصح» «٢٢». وأما ابن القيم فيؤكد اعتماده مذهب أحمد في هذه المسألة أنه جعل «للزوجة حق فسخ العقد إذا لم يف زوجها بما شرطه لها» «٢٣».

وأيضا أخذت بهذا القول مجموعة من قوانين الأحوال الشخصية العربية منها قانون الأسرة السوري إذ نص في المادة الرابعة عشرة على مايلي:

- الفقرة الأولى: «إذا قيد عقد بشرط يلتزم فيه للمرأة مصلحة غير محظورة شرعا، ولا تمس حقوق غيرها، ولا تفيد حرية الزوج في أعماله الخاصة المشروعة، كان الشرط صحيحا ملزما».

- الفقرة الثانية: «وإذا قيد بشرط يلتزم فيه للمرأة مصلحة غير محظورة شرعا، ولا تمس حقوق غيرها، ولا تقيد حرية الزوج في أعماله الخاصة المشروعة، كان الشرط صحيحا ملزما».

- الفقرة الثالثة: «وإذا اشترطت المرأة في عقد النكاح ما يقيد حرية الزوج في أعماله الخاصة أو يمس حقوق غيرها، كان الاشتراط صحيحا ولكنه ليس بملزم للزوج «٢٤». فإذا لم يف به فللزوجة طلب فسخ النكاح».

يظهر من هذا المادة أن كل فقرة من فقراتها اختصت بقسم من الشروط فتحدثت الفقرة الأولى عن الشروط الباطلة التي لا يجب الوفاء بها، والثانية عن الشروط الصحيحة التي يلزم الوفاء بها، والثالثة عن شروط صحيحة غير ملزمة. وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعي أن قانون الأحوال الشخصية السوري «اختار مبدأ الحنابلة أساسا في قبول الشروط» «٢٥». لكن انتقد عليه هو وغيره من الفقهاء إعطاءه - في الفقرة الثالثة - الحق للمرأة في أن تشترط على زوجها طلاق زوجته لمخالفته نهي رسول الله ﷺ المرأة طلاق أختها» «٢٦». وهو يخالف أيضاً القول الراجح في المذهب الحنبلي» «٢٧».

ونصت مدونة الأحوال الشخصية المغربية في الفصل الثامن والثلاثين على أنه «إذا اقترن العقد بشرط ينافي نظامه الشرعي أو مقاصده كان الشرط باطلا والعقد صحيحا». وقالت في الفصل الواحد والثلاثين: «للمرأة الحق في ان تشترط في عقد النكاح أن لا يتزوج عليها، وأنه إذا لم يف بما التزم به يبقى للزوجة حق طلب الفسخ»، فأفادت في النص الأول أنها لا تلغي من الشروط المقترنة بالعقد إلا ما كان منها ينافي بناءه الشرعي أو ينافي مقاصده، وهو ما يفهم منه أنها تثبتت باقي الشروط الأخرى التي تحقق منفعة للمرأة مثل اشتراطها أن لا يتزوج عليها زوجها. وهو ما جاء تأكيده في الفصل الواحد والثلاثين الذي يعطي المرأة الحق في أن تشترط على زوجها في عقد النكاح ان لا يتزوج عليها. وبهذا تكون قد سارت على مذهب الحنابلة في هذه المسألة. ونص مشروع القانون العربي الموحد للأحوال الشخصية في الفقرتين (أ) و(ب) من المادة السادسة على أن «الأزواج عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراما أو حرم حلالاً»، وعلى انه «إذا اقترن العقد بشرط ينافي غايته أو مقاصده فالشرط باطل والعقد صحيح». وجاء في المذكرة التوضيحية لهذا المشروع أنه «لوحظ في صياغة هذه المادة ما في مذهب الإمام أحمد بن حنبل من رحابة صدر بقبول المشارطات في عقد الزواج (..) فأخذ عنها المشروع أحكام الشروط تيسيرا للحياة الزوجية الهادئة» «٢٨».

واحتج الحنابلة ومن سار على رأيهم في هذه المسألة بما يلي:

١ - قوله ﷺ : «المسلمون على شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا» «٢٩»، فإنه يدل على ثبوت ما تواعد عليه المتعاقدان مما لا يخالف الشرع. قال ابن تيمية في بيان معناه: «ما كان من الأمر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فإنه يؤمر به كما أمر الله به ورسوله، وإن كان مما نهى الله عنه ورسوله فإنه ينهى عنه. وليس لبني آدم أن يتعاهدوا ولايتعاقدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلاف ما أمر

الله به ورسوله، بل على كل منهم أن يوفي بالعقود والعهود التي عهدها الله إلى بني آدم كما قال الله تعالى:﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ (البقرة: ٤٠).

ب - قوله ﷺ: «أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج «٣٠» أخذوا منه تأكيد الوفاء بالشروط المقترنة بعقد النكاح إلا ما ورد في الشرع تحريمه نحو سؤال المرأة طلاق أختها«٣١» . قال ابن تيمية: جعل النبي ﷺ ما يستحل به الفروج التي هي من الشروط أحق بالوفاء من غيره، وهذا نص في مثل هذه الشروط؛ إذ ليس هناك شرط يوفى به بالإجماع غير الصداق، فتعين أن تكون هي هذه الشروط» «٣٢».

والقول الثالث: إنه «لا يصح نكاح على شرط أصلا حاشا الصداق الموصوف في الذمة أو المدفوع أو المعين، وعلى أن لا يضر بها في نفسها ومالها» «٣٣». وهذا قول ابن حزم، فإنه لم يصحح من الشروط المقترنة بعقد النكاح إلا نوعين اثنين. أحدهما: ما كان من شرط تعلق بالصداق، بأن وصفه الزوج لزوجته أو دفعة إليها أو عينه لها. وقد أخذه من قوله ﷺ : «أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفروج» «٣٤»، وهو خاص عنده بالصداق، ولايتعداه إلى غيره. وفسره بأنه ﷺ «إنما أراد شرط الصداق الجائز الذي أمرنا الله تعالى به وهو الذي استحل به الفرج لا ما سواه» «٣٥».

والنوع الثاني: ما كان من شرط تعلق بالمعاشرة بالمعروف لقوله تعالى:﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (البقرة ٢٢٩). فصار بهذا كل شرط باطلا عنده خلا الشرطين المذكورين، سواء كانت فيه منفعة لمن يشترطه أم لم تكن، وسواء ورد مطلقا أو مقيدا بطلاق أو عتق أو أمر آخر. قال ابن حزم:«أما بشرط الهبة أو بيع أو أن لا يتسرى عليها أو أن لا يرحلها أو غير ذلك كله، فإن اشترط ذلك في نفس العقد فهو عقد مفسوخ، وإن اشترط ذلك بعد العقد فالعقد صحيح والشروط كلها باطلة سواء عقدها بعتق أو بطلاق«٣٦»، أو بأن أمرها بيدها أو أنها بالخيار كل ذلك باطل، وكذلك إن تزوجها على حكمه أو حكمها أو على حكم فلان فكل ذلك عقد فاسد»«٣٧». وبهذا يكون ابن حزم قد ضيق دائرة الشروط المقترنة بعقد النكاح.

ثانيا: سبب الاختلاف:

يتبين من خلال عرضه أدلة الفقهاء في المسألة أن سبب اختلافهم هو ورود حديثين متعارضين فيها قال أبو بكر ابن العربي:«هذه معضلة اختلف الناس فيه قديما وحديثا تعارض فيها أصلان عظيمان أحدهما قريب المرام وهو ما روي عنه ﷺ «أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج». والأصل الثاني قوله: «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل» وهو بعيد القدر(..) فتباين العلماء في ذلك على وجوه»«٣٨». وقد تمسك جمهور الفقهاء وفيهم المالكية والشافعية والحنفية بعموم الحديث الثاني فقالوا بإبطال كل شرط لم يرد في الشرع جوازه بينما تمسك الحنابلة بالحديث الأول فخصصوا به عموم الحديث الثاني وألزموا بالوفاء بالشروط المقترنة بعقد النكاح عدا التي ثبت بطلانها شرعا. وإلى هذا أشار ابن رشد في قوله:«سبب اختلافهم معارضة العموم للخصوص» «٣٩».

ثالثا - الترجيح:

يظهر من خلال عرض آراء الأئمة الفقهاء في المسألة والتأمل في أدلتهم فيها أن ما يترجح منها هو القول الثاني الذي يفيد صحة ووجوب الوفاء بالشروط التي لأحد الزوجين فيها منفعة وفائدة وهو قول الحنابلة لما يلي:

١ - القضاء بالخصوص على العموم: إن الأئمة الفقهاء الذين ضيقوا مجال الشروط احتجوا بقوله ﷺ: «كل شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل»، وهو عندهم عام في إبطال كل شرط لم يرد به الشرع، بينما احتج الإمام أحمد بقوله ﷺ :«أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج»، فخصص به عموم الحديث الذي احتجوا به. وقد جرى عمل الأصوليين على القضاء بالخصوص على العموم. وإليه ذهب ابن رشد فذكر اختلاف الفقهاء في المسألة والحديثين المذكورين فيها ثم قال: «والحديثان صحيحان أخرجهما البخاري ومسلم إلا أن المشهور عند الأصوليين القضاء بالخصوص على العموم وهو لزوم الشروط» «٤٠».

٢ - ليس في القول بتصحيح الشروط التي تحقق لمن يشترطها غرضا ومنفعة - كما هو قول الحنابلة - تحريم حلال ولاتحليل حرام «٤١»، وإنما المرأة تشترط من الشروط ما فيه تقييد ما يملكه الزوج بما لا يمنع المقصود من الزواج، فإذا رضي الرجل بشرطها مضى ولزمه الوفاء به لقوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ (المائدة:١) ولقوله ﷺ:«المسلمون عند شروطهم »فإنهما يدلان على لزوم الوفاء بالعقود لأن به حماية مصالح الأشخاص وفي مخالفته ضياعا لها. ثم لأن الشخص لا يقدم على إنجاز عقد حتى يرضى به الطرف الآخر، فإذا رضي به ثم خالف ما وعد به بعد العقد كان الأمر بيد صاحب الشرط.

٣ - إن الرسول ﷺ بين الشرط الباطل في النكاح وهو أن تشترط امرأة على من يريد الزواج بها أن يطلق زوجته، فقال: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإنما لها ما قدر لها»، فأفاد أن شرط المرأة الأجنبية هذا باطل بأن يطلق زوجته من أجل أن تنكحه وإن كان يحقق لها منفعة بأن تنفرد بنفقة زوجها ويصير لها من معاشرته ما كان للمطلقة، فإن فيه ضررا بالزوجة الأولى وظلما لها فحرمه رسول الله ﷺ. ويفهم منه أن ما كان من شرط لا يمنع المقصود من النكاح ولم ينه الشرع عنه فإنه يكون شرطا صحيحا.

٤ - لا يعني تصحيح الشروط التي تحقق لمن يشترطها منفعة أن للناس أن يتوسعوا فيها بما يفضي إلى العبث بعقد الزواج «٤٢»، بل إن على الجهاز القضائي أن يتدخل لضبطها، ثم يعيد النظر كلما أفضى العمل بها إلى حرج مع مرور الزمن وإلى القول بتقييد العمل بالشروط ذهب الشيخ محمد أبو زهرة فقال: «ولو أننا أخذنا بمذهب أحمد ففي الشروط المقترنة بالزواج حتى بعد الدخول، لكانت آثار عقد الزواج متأثرة بإرادة العاقدين، ويذهب عن الحياة الزوجية ما يحاط بها من قدسية ويتقارب الزواج الإسلامي من الزواج المدني (...) ولأننا لو جعلنا باب الشروط مفتوحا، والوفاء بها في كل الأحوال لازما: لاضطربت الحياة الزوجية أيما اضطراب (...) ولقد أحسن أولياء الأمر في مصر إذ رفضوا الأخذ به على اطلاقه» «٤٤».

حواشي:

١ - وجبت الإشارة هنا إلى أن الإمام مالكا كان يكره الشروط في النكاح، وكان يجب أن يبنى الزواج على حسن اختيار الزوجين لبعضهما فيقول: «أشرت على قاض منذ دهر أن ينهى الناس أن يتزوجوا على الشروط وأن لا يتزوجوا إلا على دين الرجل وأمانته». وقد كتب بذلك كتابا وصيح به في الأسواق. (ينظر البيان والتحصيل لابن رشد الجد: ج٤٤٣/٤).

هذا هو الأصل عنده في الزواج، فأبطل كل شرط يمنع أحد المتعاقدين من إتيان المباحات، ولم ير تأثير اشتراطه في العقد بالبطلان، واستثنى الإمام مالك من هذا الحكم بالبطلان ما إذا ورد الشرط مقيدا بيمين فإنها تلزم صاحبها سواء علق يمينه بطلاق أو عتاق.(ينظر الموطأ، كتاب النكاح باب مالا يجوز من الشروط في النكاح).

٢ - الأم للشافعي: ج ٥/ ٨٠.

٣ - يقال تسرى الرجل جاريته أي اتخذها سرية، فسميت الجارية سرية لأنها موضع سرور الرجل. ، وهي فعلية منسوبة إلى السر، وهو الجماع والإخفاء، لأن الإنسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرته، والجمع السراري. ينظر لسان العرب:.

٤ - منهم الحسن البصري وإبراهيم النخعي والشعبي ومحمد بن سيرين، ذكرهم جميعا الحافظ ابن عبد البر في كتابه الاستذكار: ج ١٦/ ١٤٣ - ١٤٥.

٥ - المدونة الكبرى للإمام مالك : ج ٢/ ١٩٧.

٦ الأم: ج٥/ ٧٩.

٧ - المصدر نفسه: ج ٥/ ٧٩ - ٨٠.

٨ - ينظر مصنف عبد الرزاق: ج ٦/ ٢٣١.

٩ - ينظر مصنف عبد الرزاق: ج ٦/ ٢٣١.

٩ - ينظر الموطأ، كتاب النكاح، باب ما لا يجوز من الشروط في النكاح.

١٠- ينص هذا المبدأ على أن:الشرط الوارد في عقد النكاح المقيد لحرية الزوج في أعماله الخاصة غير ملزم». (ينظر كتاب المبادئ القانونية لعزة ضاحي : ١٥٧ رقم ٥٦٩).

١١ - صحيح البخاري: كتاب الشروط، رقم الحديث ٢٧٢٩ . وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب العتق رقم الحديث: ١٥٠٤م٣.

١٢ - الأم : ج ٥/ ٧٩.

١٣ - طرف من حديث سبق تخريجه.

١٤ - تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي: ج٢/ ١٤٩.

١٥ - ينظر الاستذكار لابن عبد البر: ج١٦/ ١٤٩.

١٦ - ينظر المغني لابن قدامة: ج ٧/ ٤٤٨.

١٧ - من أمثلة الشروط التي تنافي مقتضى العقد عند الحنابلة «أن لا مهر لها أوان ينفق عليها أو إن أصدقها رجع عليها أو تشترط أن لا يطأها أو يعزل عنها أو يقسم لها أقل من قسمة صاحبتها أو أكثر أو لا يكون عندها إلا ليلة أو شرط لها النهار دون الليل أو شرط على المرأة أن تنفق عليه أو تعطيه شيئا. فهذه الشروط كلها باطلة في نفسها لأنها تنافي مقتضى العقد ولأنها تتضمن إسقاط حقوق تجب بالعقد قبل انعقاده فلم تصح (...). أما العقد في نفسه فصحيح لأن هذه الشروط تعود إلى معنى زائد في العقد لا يشترط ذكره ولا يضر الجهل به فلم يبطل كما لو شرط في العقد صداقا محرما». (ينظر المغني لابن قادمه: ج٧/ ٤٥٠).

١٨ - ومن أمثلته «أن يشترط تأقيت النكاح وهو نكاح المتعة، أو يطلقها في وقت معين أو يعلقه على شرط مثل أن يقول: زوجتك إن رضيت أمها أو فلان أو بشرط الخيار في النكاح لها أو لأحدهما. فهذه شروط باطلة في نفسها ويبطل بها النكاح . وكذلك إن جعل صداقها تزويج امرأة أخرى وهو نكاح الشغار».(ينظر المغني لابن قدامة: ج ٧/ ٤٥١).

١٩ ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية: ج٣٢/ ١٠٨.

٢٠ - ينظر المصدرنفسه: ج٣٢/ ١٠٥.

٢١ - يعني حديثها في عتق بريرة وسيأتي.

٢٢ - ينظر مجموعة الفتاوى: ج ٢٩/ ١٩٠.

٢٣ - ينظر زاد المعاد لابن القيم: ج٥/ ١١٧.

٢٤ - يؤيد عدم إلزامية شرط الزوجة الذي يحدد من حرية الزوج ما قرره القضاء السوري بنصه على أن:الشرط الوارد في عقد النكاح المقيد لحرية الزوج في أعماله الخاصة غير ملزم». (ينظر المبادئ القانونية:١٥٧).

٢٥ - المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي: ٦٨.

٢٦- صحيح البخاري: كتاب النكاح، رقم الحديث: ٥١٥٢. وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب النكاح ، رقم الحديث : ١٤٠٨م٧.

٢٧ - إن الراجح في المذهب الحنبلي هو إبطال شرط المرأة طلاق الزوج زوجته، لكن ذهب أبو الخطاب من فقهاء الحنابلة إلى لزوم هذا الشرط وتعقبه ابن قدامة وبين ما يدل على فساده. (ينظر المغني: ج/ ٤٥٠).

وكان غريبا أن يسير القانون السوري مع الرأي غير الصحيح المخالف للحديث.

٢٨ - ينظر المجلة العربية للفقه والقضاء: ع٢/ ٥٦.

٢٩ - أخرجه البخاري معلقا في كتاب الإجارة باب أجرة السمسرة (...) وقال النبي ﷺ: «المسلمون على شروطهم» وأبو داود في كتاب الأقضية: رقم الحديث ٣٥٩٤.

٣٠ - ينظر مجموعة الفتاوى: ج١١/ ٥٣.

٣١ - صحيح البخاري: كتاب النكاح، رقم الحديث ٥١٥١. ونحوه في صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب النكاح، رقم الحديث:١٤١٨.

٣٢ - ورد النهي عن هذا الشرط فيما أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الشروط التي لا تحل في النكاح، قال رسول الله ﷺ : «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإنما لها ما قدر لها». رقم الحديث ٥١٥٢.

٣٣ - مجموعة الفتاوى: ج ٣٢/ ١٠٥.

٣٤ - ينظر المحلى: ج٩/ ١٢٣ رقم المسألة ١٨٥٧.

٣٥ - سبق تخريجه.

٣٦- ينظر المحلى لابن حزم: ج /١٢٦ رقم المسألة ١٨٥٧.

٣٧ - خلافا للإمام مالك كما سبق.

٣٨ - ينظر المحلى: ج٩/ ١٢٣ رقم المسألة ١٨٥٧.

٣٩ - القبس لابن العربي: ج٣/ ٥٤ .

٤٠ - بداية المجتهد لابن رشد: ج/٥٩.

٤١ - ينظر بداية المجتهد: ج٢/ ٥٩ .

٤٢ - سبق بيان ابن تيمية معنى قوله ﷺ «ليس في كتاب الله» في قوله صلى الله عليه وسلم«من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل» بأنه ما كان «مخالفا لكتاب الله» ولم يعد منه ما يحقق للمرأة منفعة ما دام الشرط لا يمنع المقصود من الزواج (ينظر مجموعة الفتاوى: ج٢٩/ ١٩١)، كما سبق رد ابن قدامة أن يكون في هذه الشروط تحليل لحرام أو تحريم لحلال فذكر أن الغاية منها إعطاء المرأة الخيار إذا خالف زوجها ما وعدها به.

٤٣ - يمكن أن نأخذ مثلا لهذا العبث ما اقترحه بعضهم في جمهورية مصر العربية عند مناقشة مشروع قانون الأحوال الشخصية أن تمنح للأفراد الذين يرغبون في الزواج عقود نموذجية فيها مجموعة أسئلة يحسمها الزوجان قبل إنجاز العقد. (ينظر جريدة المسلمون بتاريخ، ١٩٩٥/٣/١٧).

٤٤ - ناقش الدكتور أحمد الخمليشي مسألة الشروط التي يتفق عليها الزوجان ويلتزمان العمل بها بعد الزواج ثم يطرأ مع الزمن من التغيرات ما يعجز معها من يلتزم العمل بها عن استمرار الوفاء بها فرأى أن «الحل الذي يبدو أقرب إلى العدل هو أن الملتزم الذي أصبح الوفاء بالتزامه مرهقا له ، يسمح له برفع الأمر إلى المحكمة لتقرير وجود أو عدم وجود مبرر للإعفاء الذي يطلبه أو يبحث عن حل وسط يقبله الطرفان». ينظر كتابه وجهة نظر: ج١/ ١٦٠).

٤٥ - محاضرات في عقد الزوج وآثاره للشيخ محمد أبو زهرة: ٢١٥.

لماذا لم تعد البنت سر أمها؟

تحقيق: د. رشيدة محمد أبو النصر

البنت اليوم لم تعد سر أمها.. وكذلك الأم لم تعد خزينة أسرار البنت أو المستودع الأمن لخصوصياتها... لقد سرقت «الشلة» أو«جماعة الأقران» في مجتمعاتنا العربية هذه المهمة المقدسة من الأم و الأسرة بعامة، واستطاعت أن تفرض سياجا ورديا خادعا حول العلاقة الجديدة بهرت به الفتاة و أعمتها عن الحقيقة المرة دائما وللأسف الشديد لم تنتبه كثير من الأمهات إلى خطورة حال النشل المتعمد مع سبق الإصرار.. وبدت بعض الأمهات وهن يلتمسن أعذارا وأسبابا موضوعية لتفسير هذا الهروب من أحضانهن وكأنهن يكسبن الأمر شرعية من نوع ما.

وعلى ما يبدو فإن الحالات المزعجة التي دقت ناقوس الخطر لم تكن كافية لتصحيح الأوضاع ودفع الأمهات لاستعادة الأسرار المفقودة من «الشلة».. وهو ما شجع بعض الفتيات على الاستمرار و الا ستمتاع بحال الهروب بعيدا عن رقابة الأم وعين الأسرة.

إن علاج تمرد المراهق والمراهقة لن يكون بترك الحبل على الغارب «للشلة» تلهو به كما تشاء، و الادعاء بأن هذا هو زمنهم.. إذ إن«الشلة» لن تكون أكثر حرصا على استقامة وعفاف وطهارة المراهق من أمه وأبيه. لقد دفعتني هذه المشكلة لاستطلاع آراء المتخصصين في مجال علم النفس لاستجلاء هذه الظاهرة وتفسيرها التفسير العلمي رغبة في الوصول إلى حل يعيد للأم وللأسرة عرشها التي كادت تفقده.

في البدء قالت لي: مروة عبد الرازق «ليسانس آداب لغة إنجليزية»، إن الأم اليوم لم تعد متفرغة لبناتها و لم يعد لديها الوقت لمجالسة بناتها والاستماع إليهن، كما أن امهات اليوم لا يساير ن العصر الحالي بما فيه من ثورة معلوماتيه ممثلة في الانترنت والفضائيات لهذا تلجأ الفتاة لجماعة الأقران أو«الشلة»لأنهن يوافقنها على ما ترغب وتريد.

وتقول: راقية جلال «باحثة في مجال علم النفس»إن اتجاه الفتاة للارتباط بجماعة الأقران«الشلة» ربما يكون له تفسير نفسي واجتماعي يتلخص في أن الشلة تمثل المتنفس الحر الذي تستطيع الفتاة فيه أن تعبر عن نفسها وآرائها، وتسرد تجاربها ومواقفها دون خوف من القيود التي تضعها الأسرة وبخاصة الأم بصفتها أقرب أفراد الأسرة للفتاة، فهي أنثى مثلها، تفهم طبيعتها وتعاملها بوعي ولكن بسبب اختلاط هذا الوعي بالرقابة والقيود الاجتماعية، يعمل على تحجيم العلاقة وخلق جو من الرهبة في التعامل مع الأم فيكون الاتجاه للأقران من نفس النوع والعمر أسهل وأقرب للراحة النفسية للفتاة، كما أن التقدم التكنولوجي الذي يشهده العالم الآن ممثلا في وسائل الاتصال الحديثة مثل الهاتف الجوال والإنترنت.. هذه الوسائل أصبحت منتشرة بكثير بين أوساط المراهقات، لها من الإبهار والقوة ما يأخذ القلب ويستلب العقل، وبطبيعة الأمر فإن التواصل من خلال هذه الوسائل بين الأقران أكثر قوة وعمقا ويؤدي في نفس الوقت نفسه إلى إحداث فجوة بين الفتاة والأم.

وتقول إيمان أحمد السيد (١٨سنة).

أرى أن مجتمعاتنا الشرقية مازالت قادرة على حفظ العلاقة بين الأم وابنتها، فالأم تمثل الملاذ الأمن للابنة وهي العامل المساعد والأهم في فهم أمور حياتها والتعامل بحرص معها في المواقف الحياتية المختلفة، و«الشلة» للفتاة تمثل عامل التشويق والانطلاق و«الفضفضة» من دون خوف من العواقب.

وتقول د. شادية علام أستاذة علم النفس في جامعة المنوفية إن جماعات «الشلة» للفتيات فيها قدر من انفتاح الأفكار والخبرات المتماثلة لجميع أفرادها، وهي فرصة لتحقيق الذات في مرحلة ما بعد الطفولة وما قبل الأنوثة حيث تجد الفتاة الفرصة سانحة للمصارحة وشرح المشاعر والمعاناة وتلجأ الفتاة إلى هذه الجماعة لسبب رئيس يتمثل في الرغبة في مساعدتها على اجتياز الصراع الناشيء عن الانتقال من الطفولة إلى المراهقة.

والحل يكمن في تصور «د. شادية» في ضرورة أن تقوم الأسرة ولا سيما الأم بدور المرشد والمتابع للفتاة ومساعدتها في اختيار الصديقات لتجنبها الوقوع في براثن صديقات السوء مع الدعوة الأكيدة إلى تعميق دور القيم الدينية لدى الفتاة وتبصيرها الدائم بواجباتها وحقوقها؛ وضرورة أن تكون الأم بر الأمان الذي ترى فيه الفتاة الملاذ الآمن، ولن يتأتى ذلك بالطبع مالم تكن الأم صديقة بحق لابنتها، تقربها إليها، وتشعرها بالثقة والأمان حتى تبوح لها بكل ما قد يعتمل في صدرها.

من مفكرة امرأة مسلمة

حوار هادئ مع سيدة مثقفة!!

بقلم/ نبيلة عبدالعزيز حويحي

• لمصلحة من يجري اضطهاد امرأة ملتزمة بينما يتم الترويج للعري والانفلات الأخلاقي باسم الحرية؟

• بمقولتها الرائعة «إني من الناس» سبقت أم سلمة رضي الله عنها كل الأطروحات الغربية عن دور المرأة وحقوقها بقرون طويلة.

«كانت تحلم منذ صغرها بقيادة الطائرات والسباحة عبر الفضاء، وبعد تخرجها في الجامعة تم تتويجها ملكة جمال في بلدها.. ورغم أنها في تلك الفترة لم تكن ملتزمة تماماً فإنها رفضت الاشتراك في مسابقة ملكة جمال العالم لما فيها من منافسات وأزياء عارية تتنافى مع ما تربت عليه من مبادىء وقيم كما رفضت كثيراً من العروض التي انهالت عليها للعمل في مجال الفن، ولكنها لم تتخل عن حلمها القيم فسافرت إلى الولايات المتحدة لدراسة علوم الطيران، وعادت إلى بلدها بعد تخرجها في أحد المعاهد المتخصصة لتلتحق بالعمل في إحدى شركات الطيران الخاصة واثبتت تفوقاً ومهارة في عملها الجديد..

وبعد فترة وعلى أثر استماعها الى حديث للشيخ الغزالي يرحمه الله عن الحجاب قررت أن ترتديه وكان ذلك في شهر رمضان، وهنا بدأت المشكلات وبدأت الحرب من قبل الشركة التي أصدرت قراراً بوقفها عن العمل لأن مظهرها بالحجاب الشرعي شاذ وغير مرغوب بالنسبة لقائدة طائرة بل إن الشركة هددت أيضا برفع دعوى قضائية لدى المحاكم المختصة لمطالبتها بما أنفقته عليها في ساعات التدريب العملي حتى ترتدع وتتوب وتنزع الحجاب!! وأصرت هي على موقفها وأعلنت أنها لن تتنازل عن حجابها مهما حدث ولن تتنازل عن تحقيق حلمها الكبير بالعمل بقيادة الطائرات والسفر عبر الأجواء».

هذه بإيجاز شديد حكاية سيدة مسلمة اسمها «نيرين سالم» وهذا أنموذج لأمرأة ملتزمة رأيته في أحد البرامج الفضائية المتخصصة، وقد أحسنت مقدمة البرنامج صنعاً عندما استضافت زميلة أخرى لتلك السيدة عبرت عن رغبتها في الالتزام وارتداء الحجاب ولكنها تخشى اضطهاد مرؤوسيها وتعنتهم!!

ولعلني لن أناقش في هذا الموضع رأي الشرع في قيادة المرأة للطائرة أو سفرها عبر الأجواء المختلفة من دون محرم، فغيري أقدر على مناقشة هذا الأمر، ولكنني ألفت النظر الى إصرار وتعنت الكثيرين تجاه المرأة المحجبة وكأنها ترتكب إثماً بحق الآخرين عندما تلتزم أوامر ربها تعالى جل شأنه، ولعلهم كانوا سيفرحون كثيراً ويشجعون طويلاً إذا خففت من ملابسها قليلاً أو كثيراً.

وليسمح لي الكاتب الكبير الدكتور «مصطفى محمود» أن أستعير مقولته الشهيرة رداً على ما أشيع عن قيام بعض الأثرياء العرب بدفع مبالغ طائلة لبعض الفنانات لكي يعتزلن مهنة التمثيل ويتحجبن فقال: «إذا كان هذا حقيقياً فالحمد لله الذي جعل في أمة محمد ﷺ من يبذل أمواله لستر نسائها».

المهم بعد مشاهدتي لذلك البرنامج بأيام معدودات أثار دهشتي ولفت انتباهي مقال عنوانه «عندما تحشمت» نشرته صحيفة أسبوعية لإحدى السيدات العاملات في مجال الإعلام المرئي (*)، حتى إنني فكرت في الاتصال بها هاتفياً لأستزيد من علمها الباهر ومعلوماتها الغزيرة وفكرها التقدمي ولكنني تراجعت وقررت أن أعرض فحوى مقالتها حتى تعم الفائدة ويستفيد الجميع.. وتحكي السيدة الإعلامية المثقفة قصة ارتدائها الحجاب في أواخر السبعينيات فتقول: إنها ارتدت الحجاب في سن السادسة عشرة لاقتناعها بأنه واجب شرعي «بالها من بداية مشرقة وجميلة ومبشرة، لكنها للأسف لم تستمر طويلاً.. فموقف الأسرة بصفة عامة لم يكن مع هذا السلوك الشاذ الذي فعلته الابنة بقرارها الالتزام بتعاليم دينها، ثم تصف لنا موقف الأسرة من تصرفها هذا.. فالأم لم تكن مقتنعة «وللأسف لم توضح لنا أسباب عدم اقتناع الأم باحتشام ابنتها».

أما الأب فكان محايداً فلم يعترض أو يوافق «وكأنه لا يعنيه أن تتكشف ابنته أو ترتدي لباساً شرعياً يسترها» حتى جدتها المسنة التي شارفت على نهاية حياتها كانت لا تكف عن انتقادها والسخرية من مظهرها، وكانت - كما تقول هي- المحجبة الوحيدة في العائلة «وهذا أمر طبيعي».. ثم تقول في سذاجة تريدنا أن نصدقها: إن الحجاب لم يضف إليها شيئاً ولكنه سلبها التزامها بالصلاة فوجدت نفسها تبتعد عن أداء الفريضة «ولم توضح لنا لماذا كان الحجاب عائقاً عن أداء الصلاة.. وعلينا نحن أن نقتنع من تلقاء انفسنا أن الحجاب قد يكون عائقاً للمرأة المسلمة من أداء الصلاة».

ثم تلمّح من طرف خفي إلى أن الحجاب والالتزام دعوة تحمل في جوهرها ألواناً من التزمت والتشنج، وأن المحجبات فاشلات عاطفياً، فأي منطق معتوه هذا؟!.. ولكنني التمس لها بعض العذر فيم ذهبت إليه بعد أن دأبت معظم الأعمال الفنية التي تصبها علينا شاشات التلفزة ليلاً ونهاراً على تصوير المرأة الملتزمة متجهمة شديدة التعصب متربصة بمن حولها كارهة لكل شيء لا تعرف الرفق وكأنها تحمل طي ملابسها بندقية ستطلق منها الرصاص على من يرتكب خطأ ولو صغيراً، بينما وضع الفتاة المتحللة في صورة إنسانية رقيقة منطلقة مرحة ومحببة للحياة والناس، وهكذا جرى تصوير كل رجل ملتزم فهو غالباً ما يتخفى وراء تدينه ليخبيء ما في نفسه من خبث ولؤم شديدين، ونحن لا ننكر وجود مثل هذه الأنموذجات بيننا ولكننا نستنكر التركيز الكبير عليها وحض الناس صراحة على كراهيتها والنفور منها بينما يجري التكريس للعري والانفلات الأخلاقي باسم الحرية والإنطلاق والمرح.. وكذا

الحال مع معلمي اللغة العربية الذين جعلت منهم الأعمال الفنية مادة للسخرية والفكاهة بينما يبدو في صورة معاكسة معلمو اللغات الأجنبية كرجال مهذبين شديدي الأناقة والوسامة، حتى رأينا كثيرين من الشباب يأخذون موقفاً شديد العداء من لغتهم الأصيلة.. حتى «المأذون» وهو الشيخ الذي يقوم بتوثيق عقود الزواج لم تسلم صورته من الأذى والتشويه فرأيناه مسخاً سخيفاً يتقعر ويلوي لسانه بالفصحى، وكل ما يعنيه ان يقبض الثمن ويملأ بطنه بأطايب الطعام، وباختصار جرى تشويه متعمد أو جاهل لكل ما يمت للإسلام بصلة فترسخت في الأذهان تلك الصور البالغة السلبية والقبح أو التشويه كان ولا يزال يتم عبر محورين أساسين هما: «الإسلام واللغة العربية لارتباطهما الوثيق معا حتى يمكن القول: إن هذا التشوية لم يكن ثمرة للمصادفة وحدها»..

ثم تواصل الكاتبة مقالها قائلة: «إن شكلها كان شاذاً في الجامعة «وكان الجامعة كانت في جزر البهاما وأن رجالها ونساءها مجموعة من العراة والعاريات اللواتي ينظرن في فضول وقلق تجاه أي امرأة ملتزمة»..

ثم ها هي بعد ثمانية أشهر من ارتدائها الحجاب وفي جرأة نادرة تنجز الخطوة الأصعب - كما نصف هي الموقف، فتقرر التخلي عن حجابها.. وتبرر ذلك بأنه اذا كان مظهرها يشكل إثارة لأي رجل فعليه هو أن يغض بصره «يا له من فتح جديد في علوم الدين لم يؤته الأوائل ولا الأواخر»..

وهي لا تتركنا - سامحها الله- نستمتع بهذا الفتح إلا قليلاً إذ سرعان ما تنحفنا بفتح جديد وأكثر شمولية واتساعاً..

فتقول: إن الأيام أثبتت لها أنه من الخطأ الحكم على الإنسان من مظهره فقط والمهم هو الجوهر «ونحن لا نختلف معها كثيراً في هذا، ولكن ما المانع أن يكون الإنسان ملتزماً شكلاً وموضوعاً؟»..

ثم تقول - لا فض فوها -: إنها أصبحت بشكل شخصي ضد كل ما يفرق بين البشر من الناحية الدينية «ولا تعليق عندي سوى أنني لم أفهم جيداً هذه العبارة، وأرجو أن أكون قد فهمتها فيما بعد من سياق كلامها»..

وها هي تواصل فتوحاتها الغامرة وتصف فرحتها الطاغية وهي توقع وثيقة انتساب ابنتها إلى المدرسة الفرنسية بعدم ارتداء ما يميز الأشخاص دينياً لا صلبان ولا طواقي يهودية ولا حجابات .. «ولك أن تقارن بين موقف الفتيات المسلمات في فرنسا وكفاحهن الرائع من أجل الحجاب بوجه قرارات السلطات الفرنسية وبين متعلق صاحبتنا المدافعة عن حرية التكشف ومصادرة حق الأخريات في الالتزام، أما الدين نفسه فهو من وجهة نظر الكاتبة وكما قرأت في الكتب والأساطير والتاريخ الإنساني - عنصر فرقة وصراع بين البشر وأنه استخدم للحشد من أجل الحروب والتسيد على الآخرين.. وأخيراً تأبى أن تتركنا حتى نفجر بوجوهنا القنبلة التي خبأتها طويلاً حتى النهاية فتتساءل في غضب وسخرية وربما سذاجة: لماذا تصر المجتمعات المسلمة على حجب المرأة عن الحياة باعتبارها سبب الغواية والإغراء للرجال الطيبين الضعفاء؟ فإذا كانت تقصد بالحجب هو الحجاب، فربما لا تدري المسكينة أنه لا المجتمعات المسلمة ولا المسلمون هم من فرض الحجاب على المرأة المسلمة وإنما هو فريضة إلهية.. وإذا كانت تقصد بالحجب أن الحجاب يمنع المرأة في المجتمعات المسلمة من ممارسة دورها فهذا مردود عليه بحكاية السيدة «نيرين سالم» التي تصر على القيام بأصعب المهن وأدقها ولكن بعضهم يقفون بوجهها لا لشيء إلا لأنها تلتزم بالزي الشرعي.. ولعلها الآن إذا أدارت بصرها في المجتمعات الإسلامية قليلاً لوجدت ملايين المحجبات يخرجن إلى الجامعات والمعاهد العلمية يدرسن ويحصلن على أعلى الدرجات العلمية ويتبوأن أرفع المناصب من دون أن يكون الحجاب عائقاً أو مانعاً، ودور المرأة المسلمة منذ فجر الإسلام كبير وعظيم ورائع..

«وقد أدركت أمنا العظيمة» أم سلمة رضي الله عنها بمقولتها الرائعة السابقة «إني من الناس» مكانة المرأة وموقفها وموقعها ودورها الكبير في المجتمع كعنصر فاعل قبل أن يدركه المفكرون الغربيون بقرون طويلة .. وذلك عندما كانت في بيتها وسمعت النبي ﷺ ينادي من فوق المنبر: «أيها الناس».. فقالت للماشطة: تأخري عني.. فقالت لها الماشطة: إنه ﷺ ينادي على الناس فردت أم المؤمنين في إيجاز وبلاغة: «إني من الناس»..

وهكذا وبإيمان عميق وفهم واع لدورها وحقوقها وواجباتها خرجت المرأة المسلمة منذ فجر الإسلام إلى غمار الحياة من دون أن يمنعها أحد أو يحجر عليها أحد، ولم يتوقف عطاؤها المثمر في كل المجالات من رعاية للزوج وتربية للأبناء وتحصيل للعلوم ومساعدة الجيوش الإسلامية، فكانت أديبة وشاعرة وخطيبة مفوهة وعالمة تلقي الدروس في المحافل العلمية وكانت صاحبة ندوات وصالونات فكرية وطبيبة وفارسة مقاتلة في ميادين العراق والشام والمغرب والأندلس، ولن نذكر نماذج لهؤلاء النسوة المسلمات فنظرة واحدة إلى أي مرجع تاريخي ستكتشف عن وجود المئات منهن في كل مجال..

ولكن يبدو أن بعضنا لا يقرأ إلا بعين واحدة لا نرى إلا الصورة الشائهة التي تروج لها بعض مخلفات الفكر الغربي، ولا يسمع إلا بأذن واحدة لا تطربها إلا أنغام العولمة ودقات طبول الحرب على الإسلام والمسلمين.

كاميرا

(*) مذيعة التليفزيون المصرية بثينة كامل والمقال نشرته صحيفة الدستور المصرية في عددها العاشر..

مهزلة جديدة من شذوذ الغزو الثقافي

زواج الشيكولاته يغزو المجتمعات العربية

تحقيق - الطيب أديب

شرع الله الزواج لإعمار الأرض والتحصن من الشيطان.. وللزواج الشرعي شروطه كالإيجاب والقبول والشهود العدول والإشهار وولي الفتاة والمهر.. لكن نتيجة الغزو الفكري الذي أصاب بلادنا العربية انتشرت بعض الزيجات الشاذة كالزواج الجماعي وزواج الدم وزواج الكاسيت ثم زواج الشيكولاتة آخر هذه المهازل والتقاليع المنحطة. وفيه يقوم الشاب والفتاة بالاشتراك في تناول قطعة من الشيكولاتة تظل معلقة في فم كل منهما وبانتهاء القطعة يصبح الاثنان زوجين يمارسان الحياة الزوجية بكل وقاحة.

وقد التقينا بمجموعة من الشباب وبعض المهتمين بمستقبل شبابنا فكان هذا التحقيق.

إباحية وانحلال

يقول نبيل محمود ٢٧ سنة (موظف) رغم أنني لم أستطع الزواج لنفقاته الباهظة إلا أنني أرفض بشدة هذه العلاقات الشاذة، وهؤلاء الشباب الذين يقدمون عليه تربوا على الانحلال الخلقي ويتحججون بإقدامهم على هذه الممارسات تحت زعم الحرية، وهي في الحقيقة إباحية وانحلال وليست حرية ويطالب (نبيل) الآباء وأولي الأمر والمؤسسات الاجتماعية والإعلامية بالمشاركة في توعية الشباب ونصحهم وفي الوقت عينه تبني حملة لمساعدة الشباب على الزواج ومحاربة المغالاة في متطلباته للتيسير عليهم وحتى لا يقعوا فريسة للانحلال الخلقي.

نزوة شبابية

وترفض (عبير م) طالبة في جامعة عين شمس تسمية هذه العلاقات المحرمة بالزواج وتسميها نزوة شبابية يعقبها ندم وترى بأن هذه النزوات وراءها عدو يتربص بشبابنا إضافة لغياب دور الأسرة وترك الأبناء يواجهون مشكلاتهم بأنفسهم منذ صغرهم إلى جانب قلة التوعية في المدارس والجامعات بخطورة هذه العلاقات غير الإنسانية وتطالب جميع المؤسسات الحكومية وغير الحكومية بتوعية الشباب وانقاذهم بإيجاد فرص عمل لهم وحثهم على الزواج المبكر وتوفير العدل الاجتماعي.

لقاء بلا حواجز

وتقول شيماء عبده طالبة في جامعة الأزهر تربينا على حسن الخلق منذ صغرنا وعلى تعلم أمور ديننا الذي يحارب هذه العلاقات المحرمة التي يمارسها بعض الشباب تقليدا للشباب الغربي التي تؤدي في النهاية لضياع الفتاة والشاب معا وترى أن وراء انتشار هذه الممارسات الشاذة ترك الشباب في النوادي والشواطئ والمتنزهات العامة وغيرها يلتقون بلا حواجز ويتحدثون في كل الأمور ويقومون بممارسات شاذة عن مجتمعنا أمام الناس وفي الأماكن العامة فماذا ننتظر منهم غير زواج الشيكولاته..؟

تمرد على المجتمع

وتقول لمياء عبدالمنعم (سكرتيرة) ٢٥ سنة خطبت لشاب منذ عامين وما زلنا نعاني من أجل إتمام إجراءات الزواج بسبب صعوبة تكوين عش الزوجية وترى بأن وراء انتشار هذه الزيجات الشاذة مغالاة الأهل في متطلبات الزواج وإصرارهم على تحميل الشباب ما يفوق طاقتهم من دون مساعدتهم مما يدفعهم للزواج السري والزيجات الأخرى كزواج الدم والوشم والشيكولاتة وتعتبرها تمرداً على المجتمع الذي لم يوفر للشباب الطمأنينة والاستقرار.

ظلم اجتماعي

الدكتورة أمينة محمد بيومي أستاذة علم الاجتماع في جامعة جنوب الوادي ترى أن لجوء الشباب إلى الزواج بأنماطه المستحدثة والبعيدة تماماً عن الزواج في الشريعة الإسلامية والعقائد السماوية.. وهذه الأنماط إذا نظرنا إليها نظرة تحليلية لمتغيرات العصر وما أحدثته خصوصاً في المجتمعات النامية نجد أن عدم امتلاك تلك المجتمعات للمقومات الاقتصادية التي تؤهلها الى الصفوف الأولى جعل شبابها الأكثر عدداً والأقل إمكانية من الأجيال السابقة لها والأكثر تعرضاً للظلم الاجتماعي لعدم تحقيق الأهداف والطموحات التي يرغبون فيها وعلى سبيل المثال نجد أن نسبة الشباب في المجتمع المصري قد تصل إلى ٧٥٪ من نسبة الهرم السكاني ومن المفترض أن تجد هذه الشريحة العريضة من المجتمع مزيداً من التنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومزيداً من التنمية البشرية والتقدم والرقي في المجتمع ولكن تلك النسبة عكست عجز المجتمع في تحقيق هذه المقومات فهناك نسبة عالية من البطالة قد تصل إلى ٣٠٪ بين الذكور وتصل في بعض مناطق التشغيل الى ٥٠٪ للإناث وتتراوح النسبة في بعض التخصصات من ٣٠ إلى ٦٠٪ مما يجعل الفئة الشبابية عاجزة تماماً عن تحقيق آمالها في إيجاد حياة اجتماعية أسرية ترتكز على مقومات النجاح فالرجل العامل يستطيع أن يلبي أبسط الحاجات الإنسانية الأساسية للكائن البشري فالعجز الاقتصادي يؤدي بالشباب إلى اللجوء إلى مثل هذه الظواهر الغريبة عن المجتمع العربي وبخاصة المجتمع المصري لما يمتلكه من مقومات تجعله من الشعوب المتدينة التي لا تخرج عن العقائد السماوية بمعاييرها وقيمها المتعارف عليها.

● د. أمينة محمد بيومي

حلول مقترحة

وتطرح الدكتورة أمينة محمد بيومي بعض الحلول المناسبة للقضاء على مثل هذه الظواهر الغريبة والبعيدة تماماً عن مكوناتنا ومن هذه الحلول:

أن نجد حلولاً لبطالة الشباب ذكوراً وإناثاً ومد جسور المودة بين الآباء والأبناء وأن تبتعد الأسرة عن المغالاة في المهور ومتطلبات الزواج وأن نشجع عمل المرأة ومناصفتها التكاليف الأسرية والزوجية مع شريكها في الحياة.

وظيفة اجتماعية ونفسية

الدكتورة سهير عبدالعزيز محمد عميدة كلية الدراسات الإنسانية ومديرة مركز دراسات الأسرة والتنمية في جامعة الأزهر تقول: إن للزواج وظيفة اجتماعية ونفسية كتكوين أسرة ترتبط بالجماعة وإنجاب الذرية لإعمار الأرض وجانب نفسي يتمثل في إشباع الذات والشعور بالطمأنينة ودليل ذلك قوله تعالى «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»(سورة الروم الآيه ٢١)

● د. سهر عبد العزيز

طموح مرضي

أما الزيجات الشاذه التي انتشرت مع الغزو الثقافي في بلادنا العربيه فما هي إلا رغبة جسدية لا تحقق معها أركان السعادة النفسية مع غياب الضمير بفعل المعصية بدافع من الشيطان ويعقبها القلق والتوتر وعدم الأمان وترجع دكتورة سهير عبدالعزيز انتشار هذه الممارسات الشاذة في المجتمع إلى الطموح المرضي عند بعض الشباب والتفريط في تعاليم الدين والبعد عن تربية الأبناء تربية سليمة منذ الصغر وتنصح النساء بصفة خاصة بألا يلهثن وراء رغبات أجسادهن وألا يخرجن عن القيم والتقاليد وتتسائل ما مستقبل الأبناء نتيجة هذه العلاقات المحرمة.

تكاتف المجتمع

كما تطالب د. سهير عبدالعزيز بتدريس التلاميذ في المدارس جرعات من السلوكات التي تدعو للتحلي بالأخلاق والقيم ومحاربة الرذيلة وتكاتف جميع مؤسسات المجتمع وطوائفه بتوعية الشباب وتذليل العقبات التي تواجههم وإنقاذهم من الآفات الاجتماعية التي تهدد كيانهم وكيان المجتمع بأسره.

قصة

الصفعة

بقلم:
د. سيد عبد الحليم الشوربجي

تلقت صفعة شديدة على وجهها بعد أن قالت رافضة... لا لا لن أتزوجه... اشتاط الأب غيظاً وغضباً وعلا صوته.. احتد النقاش بينهما... خيم السكون قليلاً على المكان بعد ضجة عالية من النقاش الحاد... صاح الأب قائلاً... ستتزوجينه غصبا عنك ليس عندنا بنات تبدي رأيها أو تملي علينا ما يحلو لها... هل هذا ما يمليه عليك تدينك؟!! ترفضين رأي أبيك وتقفين أمامه وتردين على كلامه ولا تحترمين رأيه... رغم عدم معرفتي كثيرا بالدين فإنني أعلم أن البنت يجب أن تنزل عند رأي أبيها ففي مثل هذه الأمور لأنه يرى أفضل منها، لأنها مازالت غريرة لا تعرف مصلحتها ومستقبلها...

استجمعت قواها بعد الصفعة التي تلقتها وقالت بصوت تخنقه الدموع: معك حق يا أبي في ضرورة احترام رأيك ووجهة نظرك، لكن هذا لا يمنع أن يكون لي رأي خاص في اختيار شريك حياتي، لأن هذه حياتي في المقام الأول والأخير... وهذا الرجل الذي تتحدث عنه، أخلاقه غير سوية ولا يراعي في أعماله دينا ولا قيما... فضلاً عن اشتهاره بتجارته غير المشروعة، وسيرته السيئة...

هز الأب رأسه بسخرية قائلاً: قيم!! يابنتي هذا العصر الذي نعيش فيه أصبح عصرا ماديا، لم يعد فيه مكان للمثالية التي تفكرين بها.. عصر المنصب والجاه.. أما موضوع القيم والأخلاق فأصبحت عادة قديمة موجودة في الكتب فقط لكنها لم تعد تصلح في هذا العصر.. إن هذا الرجل يستطيع أن يجعلك في مستوى عال ووسط راق وينتشلك من الحياة التي تعيشينها، لنعيش مستورين ... يا بنتي فكري بعقلك قليلاً انظري لظروفنا وظروف أخواتك .. الحياة أصبحت صعبة وتكاليف الحياة قاسية، وتحتاج أن نضحي بأشياء كثيرة من أجل أن نعيش مستورين بين الناس.

- أبي أنا لا يهمني المال ولا المنصب.. الذي يهمني في الرجل دينه وخلقه فهذه هي الأمور التي تبقى لي ولحياتي معه.. ما الذي استفيده من المال والمنصب إذا عشت حياتي مع رجل لا يراعي دينا ولا خلقا فضلا عن عدم توافقه مع ميولي وأفكاري..

قاطعها الأب قائلاً: مهما يكن فقد أعطيته كلمة ولن أتراجع عنها.. يابنتي مصيرك أن تألفيه ويألفك والعشرة تأتي بالألفة.

- أبي إنني مازلت في مشوار الدراسة فدعني أكمل دراستي أولا..

أي دراسة يابنتي !! البنت ليس لها إلا الزواج والستر، وهذه فرصة يجب أن نستغلها ولا نضيعها فمن يدري ربما لا تتكرر ونخسر رجلاً بهذه المواصفات.

لكنه يا أبي لا يناسبني إنه لم يكمل حتى تعليمه الجامعي.. فالمال وحده لا يكفي إذا فقد صاحبه الدين.

- احتد الأب قائلا: لا تناقشي أو تجادلي كثيراً فقد أعطيت الرجل كلمة ولن أتراجع عنها ، ولن أسمح لك أن تخالفي رأيي لأنني أرى الأمور أفضل منك.

دق الباب...

- أهلا أهلا تفضل .. مرحبا..

. أين العروس نريد أن نكتب الكتاب ونعد للفرح بسرعة.

جلست غارقة في دموعها لا تدري ماذا تفعل؟!! لقد شل تفكيرها وما كانت تتوقع أن تلقى هذا المصير المؤلم وتعيش نصف حياتها الآخر مع رجل لا يلتزم بدينه.. لكنها في نهاية الأمر استلمت للواقع.

... كانت الضغوط عليها شديدة... سلمت أمرها لله وليكن ما يكون ما دام هذا قضاء الله واختياره.

مر شهر من الزواج... حدث ما كانت تتوقع الزوج يأتي متأخرا كل ليلة تحمل أنفاسه رائحة كريهة حركاته تنم عن أشياء كثيرة.. كانت تبكي لكن ماذا تفعل ؟!!.. كانت تستغل فترات إفاقته لتناقشه..

- لن تصلح هذه العيشة..

- لم أرض ولكن أرغمت عليها.

- أيا كان الأمر فالنتيجة واحدة وهذه حياتي و طبيعتي ولن أغيرها، يجب أن تأقلمي نفسك عليها.

- لكن لي حقوقا يجب أن تؤديها، ويجب أن تراعي مشاعري.

. وأنا كذلك لي طلبات يجب أن تنفذيها.

طلب منها أن تخلع الحجاب وتشاركه في خروجه وأعماله ومقابلاته وسهراته.

- ليست هذه طبيعتي أن أخالط الرجال ويخالطونني ولن أتنازل عن حجابي مهما كان الأمر ولن أتخلى عن مبادئي التي تربيت عليها.

لكن أنا زوجك ويجب أن تطيعي أمري.

- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وصل النقاش إلى طريق مسدود.

- إذن لن تصلحي أن تكوني زوجة لي .. أنت طالق.. طالق.. طالق.

كانت الكلمات تنزل على مسامعها كالصاعقة لكنها شعرت بأن حملاً ثقيلاً قد انزاح من كاهلها أحست بعده براحة كبيرة.

عادت إلى بيت أبيها.. ارتمت في حضنه..

- آسف يا بنتي لقد ظلمتك كثيرا ولا أدري كيف أكفر عن خطئي .

أبي لا شيء ... قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ... لا تعتذر... لكن علينا أن نستفيد من تجاربنا ولا نبكي عليها فحسب..

مسلم تارو كيتامورا

ياباني هداه الله إلى الإسلام

في جامع العادلية العريق في حلب حيث يصادف المصلون جنسيات كثيرة قد هداها الله إلى الإسلام أتت لتنهل من منبع غزير يديره علماء مشايخ مثقفون منفتحون على الحضارة والعلم.

لقاء أجرته: منى عبدالله القولي

من (تارو) إلى (مسلم)

التقيت الأخ في حضور ولدي وإحدى الأخوات في الرواق المنفتح على باحة الجامع وسألته عن قصة إسلامه وسبب تعلقه بالدين الإسلامي حيث غير اسمه من «تارو» إلى مسلم.

في البداية طلبت منه أن يحدثني عن سبب إسلامه قال:

● كيف وصل النور إلى قلبك؟

- عملت في (تايلاند) مدة خمس سنوات قبل عشرين سنة وهناك في (تايلاند) مصريون كثيرون ومعظم الجالية المصرية في (تايلاند) مسلمون حسن جدا جداً، عندي أصدقاء من المصريين المسلمين وقبل خمس سنوات من هذه السنة أحسست بالغربة هناك، فوجدت أصدقائي المصريين يخففون عني آلام الوحدة والغربة وباحتكاكي معهم ومعاملتهم الجيدة جعلوني أحب الدين الإسلامي وأسلمت والحمد لله.

● متى وصلت إلى سورية وما اسمك؟

- اسمي كان (تارو) وكنت أعتنق الدين الياباني (شينتو) دراستي العلوم الكيمياوية، وأنا أعمل معلماً حسب اختصاصي وعمري الآن ٥٢ عاماً وأنا في سورية منذ ثلاث سنوات وقد درست اللغة العربية في جامعة دمشق مدة شهرين دراسة مكثفة ومن خلال هذه الدراسة البسيطة أستطيع قراءة القرآن الكريم.

● أحب اللغة العربية الفصحى

وأنا لا أحب اللغة العامية لأنها برأيي ليست جميلة إلا أنني أحب لغة القرآن الكريم وأكتبها.

● كيف هو وضعك العائلي؟

- حياتي الشخصية: أنا متزوج وعندي بنتان زوجتي تعمل في (تايلاند) والبنتان تدرسان في (أميركا) زوجتي ليست مسلمة وابنتاي مسيحيتان وأنا الآن في سورية لأتعلم الدين الإسلامي وقراءة القرآن وأدرس تاريخ الموسيقا العربية وأحب أن أدرس حياة الفارابي.

● ما السبب الذي جذبك للإسلام؟

- الديانة المسيحية صعبة أما الدين الإسلامي فهو موجود في كل العالم في كتاب واحد فقط ويستطيع كل إنسان في العالم مهما كانت جنسيته أن يقرأ القرآن الكريم.

● المسلم أخو المسلم ماذا تقول في ذلك؟

-الإسلام مختلف في (أميركا) أو (الهند) بسبب عدم فهم اللغة

العربية وفي آسيا الكثير من الأندونسيين الذين تركوا (اندونيسيا) أو غيرها من البلدان لأنهم لا يتقنون اللغة العربية، وفي باكستان لا يستطيعون تعلم اللغة العربية بل يقرأون في المصحف الشريف، وفي أوروبا يوجد الكثير من المسلمين الأوروبيين لكن قسماً منهم لا يستطيع التحدث باللغة العربية الفصحى، لكن يوجد في أوروبا الكثير من المغاربة الذين يعلمون الأوروبيين اللغة العامية وليس الفصحى، التي هي لغة الدين الإسلامي.

● من تفضل من المشايخ؟

- أنا لا أستطيع أن أثير مسألة أفضل المشايخ لأني لا أتقن اللغة العربية الفصحى جيداً.

● ما أمنياتك للعالم الإسلامي؟ وهل ستعمل في مجال الدعوة الإسلامية؟

- أريد أن أذهب إلى فيتنام لأن هناك مسلمين قلائل، أتمنى أن أذهب إلى قرية مسلمة في (فيتنام) لأتعلم وأعلم لأن الإسلام في اليابان مختلف جدا عن سورية، أما في فيتنام فالسلوك العام للناس هناك قريب أكثر إلى الإسلام الحقيقي، واليابان فيها مسلمون قلائل، وفي فيتنام تاريخ عريق للإسلام أريد أن أدرس الدين الإسلامي هناك.

● هل تتمنى لزوجتك وابنتيك أن يسلمن؟

- نعم بل وأسأل الله لهن الهداية إلى ذلك.

● كيف ترى العالم الإسلامي والعربي الآن؟

- أراه متفرقا وهناك نزاعات بين الإخوة، لكن هنا بوادر جيدة لأن لدي أصدقاء مسيحيين (نصارى) في (تايلاند) قد أعتنقوا الإسلام، وكذلك كل يوم نسمع عن إخوة من جنسيات مختلفة في العالم معظمهم قد اعتنقوا الدين الإسلامي وحسن إسلامهم، ولكن لايزال هناك مسيحيون ويوذيون قدماء مازالوا على دينهم.

الأدبية

إعداد: محمد هاني

إصدارات

مهارات تصحيح البحوث

صدر أخيراً عن لجنة التأليف والتعريب والنشر التابعة لمجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كتاب جديد عنوانه: مهارات تصميم وتنفيذ البحوث والدراسات العلمية وتحليلها إحصائيا باستخدام برنامج «spss» تأليف: د. «باسل محمد سعيد العيدة» استاذ الطرق الكمية ونظم المعلومات في كلية العلوم الإدارية - جامعة الكويت.

ويهدف الكتاب الى تعريف القارئ وتنمية معارفه لاستخدام طرق وتقنيات البحث العلمي والتحليل الإحصائي في تصميم الاستبيانات الإحصائية في البحوث والدراسات العلمية والميدانية، وتحليل بياناتها باستخدام برنامج الـ «spss» بالإضافة الى هيكلة التقارير وعرض النتائج وكتابة البحث العلمي النهائي لأغراض النشر.

وتناول الكتاب دور البحث العلمي المهم والفعال في إجراء الدراسات العلمية والميدانية خطوة بخطوة بدءاً من اعداد خطة الدراسة إلى تصميم الدراسة وتنفيذها وتحليل بياناتها واستخلاص النتائج بصورتها النهائية وذلك للعمل على حل المشكلات المختلفة الكبيرة منها والصغيرة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والإنسانية والسياسية ومجال الطب والزراعة والهندسة والبترول والعلوم النظرية والعلوم التطبيقية وغيرها.

وكذلك دور الإحصاء الكبير في وضع التقنيات والطرق الإحصائية في التحليل ودور الحاسوب المهم في اجراء عمليات التحليل الإحصائي المطلوب وإنجازها بدقة وسرعة وسهولة استخدام برنامج «spss» لهذا فهو دليل مختصر للطلبة والباحثين والعاملين في قطاعات الدولة المختلفة.

السيد عبدالرزاق عميد آل الطبطبائي الراحل في أول توثيق عن حياته

صدر أخيراً كتاب جديد تناول سيرة حياة التاجر والمحسن الكويتي السيد عبدالرزاق عميد أسرة آل الطبطبائي في الكويت وهو من أسرة عريقة يكتب عنه للمرة الأولى في كتاب خاص.

ويذكر مؤلف الكتاب الدكتور طارق البكري أن الطبطبائي عاش حياة حافلة بالعطاء لأهله وللكويت وللوافدين تاركاً سيرة عطرة وذرية صالحة من العلماء برزوا في العمل الشرعي والخيري محلياً وعالمياً.

ويورد المؤلف روايات مفصلة عن حياة الطبطبائي وأعماله لم يكن يعرفها إلا أسرة العميد وقليل من المقربين إليه.

ومعظم مصادر الكتاب الذي وفرت مادته العلمية الأساسية مبرة عبدالرزاق الطبطبائي الخيرية كانت تاريخا غير مدون أخذ شفويا من لقاءات مباشرة مع معاصرية واقاربه ولم يدون منها إلا اليسير.

ويقول المؤلف، إن السيد عبدالرزاق يتصل نسبه بإبراهيم (الملقب طباطبا) بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثني بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. وقد ولد في محلة السادة في الحي القبلي في مدينة الكويت العام ١٩٠٩م تقريباً في عهد حاكم الكويت سمو الشيخ مبارك الصباح يرحمه الله.

وشهد أحداثا عظيمة في حياته كان منها الحرب العالمية الأولى وهو صغير السن والحرب العالمية الثانية وهو في العقد الثالث من عمره.

وعاصر الركود الاقتصادي في النصف الأول من القرن الماضي، وعاش فترة الطفرة المادية وما صاحبها من تغيرات جذرية سواء اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية.

وعلى المستوى السياسي المحلي عاصر السيد عبدالرزاق تأسيس مجلس الأمة العام ١٩٣٦م وتأسيس الدستور العام ١٩٦١ م.

وانتهت إليه عمادة أسرة آل الطبطبائي العام ١٩٧٥، وكان له أثر بارز في تاريخ دولة الكويت المعاصرة وبصمة واضحة على الحياة فيها، ويظهر ذلك جلياً في جانبين مهمين أحدهما الجانب التجاري حيث أثر على مسيرة التجارة ولاسيما وهي في فترة تحولها من نظام تقليدي الى نظام حديث والتجارة عصب الحياة الذي كانت تعتمد عليه الكويت في مواردها في تلك الأيام والآخر أثرد في نظام الجنسية الذي ما زالت آثاره باقية إلى يومنا هذا.

الكتاب صادر عن دار الرقي في بيروت - في طباعة أنيقة تضمنت ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط

الوظيفة والنهج الوظيفي في نطاق جامعة الدول العربية

عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية صدر كتاب «الوظيفية والنهج الوظيفي في نطاق جامعة الدول العربية»، إعداد «خليل الحديتي»، والكتاب في محتواه دراسة استراتيجية حول النهج الوظيفي في نطاق الجامعة العربية من خلال: الوظيفية على صعيد النهج والنظرية الوظيفية في المحيط الغربي، اختيار أداء التجربة الوظيفية العربية.

عنوان المركز الإلكتروني: Email-ruddis@ECAAR-COM

يابني.. رسائل عبر الأطلسي

عن المركز الثقافي العربي في بيروت صدر الجزء الثاني من كتاب «يابني.. رسائل عبر الأطلسي» لمؤلفه «أحمد حسن العمارتي»، وكانت الطبعة الأولى من الجزء الأول قد صدرت من قبل في المغرب، والكتاب إضافة جيدة في أدب الرسائل.

فقه المعرفة.. إسلام ومسلمون وفقهاء

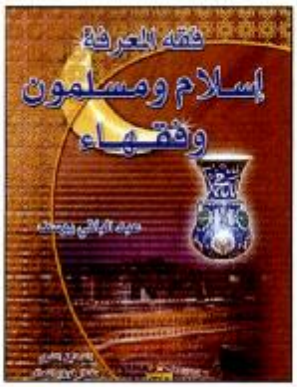

كتاب من القطع الكبير أصدرته «دار الرضوان» في حلب «سورية»، وهو من تأليف الأستاذ «عبدالباقي يوسف» يتحدث فيه عن الفقهاء وعن علاقاتهم بالإسلام والمسلمين، ويقول: إن الفقيه يكون فقيها حسب نجاحه في إيصال الناس إلى الدين وإيصاله إليهم وقدر إتقان جميع علوم القرآن الكريم، وقد أورد كثيراً من الأحاديث النبوية بخصوص هذا الأمر.

ومما جاء في الفقرة الأولى من الكتاب التي عنونت بشظايا الفقهاء. حديث رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، وقد فسر أن الغرباء هم الذين يصلحون إذا فسد الناس، وهذه إشارة إلى فضل الفقهاء والعلماء الذين يصلحون إذا فسد الناس.

إسهامات الكويت في الثقافة العربية

• أصدر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب كتاباً عنوانه «إسهامات الكويت في الثقافة العربية»، احتوى في صفحاته الـ «٢٥٠» أعمال الندوة التي أقيمت في الكويت بالتعاون مع المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم السادس والسابع من اكتوبر ٢٠٠٢ م.

وتضمن الكتاب الذي صدر في طبعة اولى، سبعة بحوث وملحق صور، إضافة إلى كلمات افتتاح الندوة، وفي مقدمها كلمة الشيخ احمد الفهد وزير الطاقة الذي كان وقت انعقادة الندوة وزيراً للإعلام وزيراً للنفط بالوكالة ورئيساً للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وألقاها بالإنابة عنه بدر الرفاعي الأمين العام للمجلس.

وجاء البحث الأول تحت عنوان «شخصيات عربية رائدة أبدعت في الكويت - الكويت حاضنة ثقافية»، للدكتور صلاح فضل، الذي سلط الضوء على احتضان الكويت لـ «كوكبة من العقول العربية اللامعة (...) والتي أتاحت لها فرص الإبداع».

وتحت عنوان «فهد العسكري وآفاق التنوير» قدمت الدكتورة نورية الرومي البحث الثاني، منوهة بدور الشاعر الكويتي الراحل فهد العسكر، الذي حمل بالإضافة إلى كوكبة من شعراء الخليج، والكويت بخاصة، لواء دعوة تنويرية، واقتطفت أبياتاً ومقاطع من قصائد الشاعر الراحل.

أما البحث الثالث فقدمه الدكتور المنصف الشنوفي تحت عنوان «موقع الإبداع الأدبي والفنون الكويتية في الثقافة العربية - دراسة حالية، بدايات الصحافة الكويتية خارج البلاد».

وقدم البحث الرابع صدقي حطاب تحت عنوان «المطبوعات الكويتية وأثرها في المكتبة العربية»، وقدم البحث الخامس الدكتور محمد مصطفى القياح تحت عنوان «إسهامات الكويت في نقل عيون الثقافة العالمية إلى الثقافة العربية - الترجمة».

وقدم البحث السادس تحت عنوان «دور الكويت في إنجاز الخطة الشاملة للثقافة العربية»، الدكتور أديب اللجمي، فيما قدم البحث السابع الدكتور مبروك المناعي تحت عنوان «المؤسسات الثقافية الكويتية».

وختم الكتاب بملحق صور للمشاركين في الندوة والجلسات التي تضمنتها والنقاشات.

اللغة والمتغير الثقافي.. الواقع والمستقبل

عن الدار المصرية اللبنانية في القاهرة، في نحو ٢٧٢ صفحة من القطع الكبير صدر كتاب «اللغة والمتغير الثقافي.. الواقع والمستقبل للدكتور «عبدالله التطاوي» أستاذ الأدب العربي في جامعة القاهرة.

يناقش الكتاب قضايا كثيرة منها «الدفاع عن اللغة العربية واجب قومي، تحديث مناهج اللغة العربية، إصلاح التعليم، مركز اللغة العربية، وتصحيح الصورة لدى الآخر، تعريب العلوم، الآداب وحرية التعبير، والشعور وتوثيق التاريخ، العلاقة بين حركة الأدب من جهة والإعلام المقروء والمرئي من جهة ثانية».

ويرى «التطاوي» أن واقع اللغة العربية الفصحى في مصر أصابه كثير من التدهور والتدني، ولكنه برأ اللهجة العامية من المسؤولية لأنها عملة جيدة تعبر عن كيان أهلها وقدمت عامية الرجل العربي للبشرية تجارب رفيعة المستوى.

أخبار ثقافية

• انتهت جامعة الأزهر من إعداد «قاموس عبري عربي» للمصطلحات العبرية الدينية الذي يعد الأول من نوعه في العالم وقد تم جمع القاموس من مختلف كتب التراث الديني اليهودي بهدف تسهيل المهمة على الباحثين في الدراسات العبرية عن طريق تيسير الوصول إلى التعبيرات الدينية اليهودية، وقد وافق قسمي اللغة العربية في كليتي اللغات والترجمة والدراسات الإسلامية التابعين للجامعة على تداول القاموس.

• أطلق اتحاد كتاب الإنترنت العرب موقعه الرسمي على شبكة الإنترنت ويضم الموقع مجموعة من الروابط التعريفية بالاتحاد وأهدافه وطرق وشروط الانتساب إليه كما احتوى على النواة الأولى لدار النشر الإلكتروني التي يعمل الاتحاد على تأسيسها من خلال رابطة النشر الإلكتروني الذي نشر مجموعة من الكتب والدراسات والنصوص السردية والشعرية لأعضاء الاتحاد.

• أعلنت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي جائزة الإنتاج العلمي لعام ٢٠٠٥م وقد خصصت الجائزة لحملة شهادة الدكتوراة من أبناء الكويت لتشجيعهم على البحث والدراسة والتأليف والترجمة في مختلف فروع الإنتاج العلمي.

• صدرت حديثاً (موسوعة شروح الموطأ) للأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وستطبع الموسوعة وتوزع للمرة الأولى على نفقة وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبدالعزيز.

وتعد الموسوعة ذخيرة علمية جامعة بين الفقه والحديث، تضم أربعة كتب في هذين العلمين هي كتاب «الموطأ» للإمام مالك بن أنس، وكتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» وكتاب «الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار» للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري الأندلسي وكتاب «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي.

المسلمون في الأدب العالمي

زاوية تسلط من خلالها الضوء على مايدور في كتابات غير المسلمين في الشرق والغرب من رؤى وأفكار حول الإسلام والمسلمين وبذلك نفهم الآخر فهما حقيقياً موضوعياً نرشد على أساسه خطابنا الإسلامي ونبني معه جسور التواصل والحوار التي هي من صلب ديننا الإسلامي الحنيف.

رومان جاري
Roman Cary
«الحياة أمامه»
« La Vie Devant Soi »

إعداد: محمود قاسم

«رومان جاري» روائي فرنسي غريب الأطوار، وبالغ الدهشة، سواء في حياته التي بدأها في العشرينيات، والتي أراد إنهائها باختياره العام ١٩٨١م والذي عرف بتعدد نشاطه، فقد قام بالعمل في السينما كممثل ومخرج، ونال جائزة «جونكور» العام ١٩٥٦، عن روايته «جذور السماء»، ومن بين رواياته الأخرى «وداعا جاري كوبر»، و«كنوز البحر الأحمر»، ولأن أي كاتب في فرنسا ليس لديه الحق في الحصول على أي جائزة أدبية سوى مرة واحدة فإن «رومان جاري» قام بنشر روايته «الحياة أمامه» العام ١٩٧٥م تحت اسم مستعار هو «اميل آجار»، وبالفعل فقد نالت الرواية الجائزة وقام الكاتب بنشر روايتين أخريين تحت الاسم المستعار نفسه، وهما «المدلل الأكبر» و«سعادة الملك سليمان».

ولم يعرف هذا السر إلا بعد انتحاره فقد ترك وصية بذلك.

أما روايته «الحياة أمامه» فتدور في أحياء باريس الفقيرة، فهناك امرأة فرنسية عجوز، كانت تعمل في البغاء إبان شبابها، أما الآن فقد مر عليها زمن شديد القسوة، وتعاني من الوحدة، وتخاف من نهاية مؤلمة، تذهب هذه المرأة «روز» إلى أحياء العرب في باريس، لأنها أحياء فقيرة، ويعيش فيها المهاجرون، وهناك يستدرجي انتباهها طفل تعرف أنه يتيم الأم، وأن أباه يعيش في الجزائر، وليس له من عائل، تقربت إليه هذه العجوز البدينة، وقدمت له نفسها، عرضت عليه أن يعيش معها في بيتها، ولا تعرف منه إلا اسمه «محمد»، وأن أصدقاءه ينادونه «مومو»، ويقبل الصبي العرض، فيذهب إلى بيت العجوز، إنه أيضا بيت فقير، لكنه بيت، ويمكنه فيه أن يشعر بالدفء، ويعرف الصغير أن المرأة من عقيدة مختلفة، فتقول له «الدين لله والوطن للجميع».

ويتقبل «محمد» هذه الحياة الجديدة، فتحضر له «روز» الملابس النظيفة، وتطلب منه أن يتخلص من ملابسه القديمة، وعاداته المألوفة لديه، وتقول له بأن بإمكانه أن يحضر أصدقائه لزيارته، ويفاجأ الأصدقاء بأن «محمد» قد تغير، وتخبر «روز» الصغير أن عليه أن يلتحق بالمدرسة العربية كي يظل محافظا على القرآن الكريم.

وتمر الأيام وتسوء صحة «روز» وتشعر بألم، فهي تخاف أن تموت ويفقدالصغير عائله الذي اكتسبه، وتطلب من الصغير أن يبحث عن أبيه الذي كان قد عاد إلى الجزائر، من دون أن يأخذه معه.

وتبدأ المرأة في مساعدة «محمد» في العثور على الأب الذي تزوج في الجزائر بعد وفاة زوجته، ويعلن الصغير أنه لايود أن يتركها حتى اللحظة الأخيرة، لكنها تخبره أنه يجب أن تكون له أسرة، وتنجح في اقناعه بالسفر إلى أبيه في الجزائر، وتودعه في المطار، وهي تغالب الدموع والمرض، لكن الطفل يحاول العودة إليها، وما أن وصل إلى الجزائر حتى كتب رسالة شكر إلى المرأة، يخبرها فيها أنه سيكون نعم الابن لأبيه، وأنه سيحافظ على الصلوات، ويقول في النهاية:

سأحاول أن يكون اللقاء قريباً

لكن الرسالة لم تصل لصاحبتها، فعندما وصل الساعي إلى المنزل، كان الجيران يودعون تابوتها الأبدي.

الوعي دوت كوم @.COM

كيف تقوم بإنزال البرامج من الإنترنت؟

إعداد: وائل عبد الرحمن

أكثر المهام التي تشغل شبكة الإنترنت بعد البريد الإلكتروني هي مهمة تنزيل الملفات والبرامج لمستخدمي الشبكة، ويكاد لا يوجد شخص لم يقم بإنزال ملف أو برنامج من الإنترنت وهناك قواعد وأصول تساعدك وتحميك في الوقت نفسه في أداء هذه المهمة وهي قواعد بسيطة ومجرد ملاحظات يمكن الاستفادة منها للوصل إلى النتيجة المطلوبة.

تستطيع البحث عن البرنامج أو الملف المطلوب إنزاله من خلال أي محرّك بحث، أو تستطيع البحث عنه من خلال www.downloads.com حيث توجد مكتبة كبيرة من البرامج.

ستجد دائما الملف الذي تريد إنزاله بلون مختلف، أو ربما تجد كلمة Download لتضغط عليها وتبدأ عملية الإنزال.

في بعض الأحيان يكون هناك اختيارات لموقع الإنزال من خلال ما يسمى Mirror Sites وهي مواقع بديلة تحوي الملف نفسه الذي تريد إنزاله، اختر دائما الموقع الأقرب لك جغرافياً.

عند ظهور مربع التخزين الذي يسألك عن المكان الذي تخزن الملف فيه، حاول وضعه في مكان تذكره جيداً حتى يسهل الرجوع إليه لاحقا.

حاول دائما وضع ملفاتك المنزلة من الإنترنت في مكان مميز واجمعها في محل واحد Folder.

استخدام البرامج المساعدة في الإنزال مثل Getright و Godzilla يوفر لك الكثير من الوقت والجهد.

لا تحاول إنزال أكثر من ملف في وقت واحد فإنزال ملفين في وقت واحد يأخذ وقت إنزال ملفين نفسيهما الواحد بعد الآخر.

على الأغلب سيكون الملف مضغوطا ومن نوع Zip لذلك ستحتاج دائما إلى برنامج لفك ضغط الملف وهو ما يسمى Unzip.

تأكد دائما من سلامة الملف الذي أنزلته وخلوه من الفيروسات، بعد إنزال الملف اضغط على الملف بزر الفارة اليمين واختر Check for Viruses لذلك عليك دائما تشغيل البرنامج المضاد للفيروسات.

تذكر أن إنزال الملفات من الإنترنت لا يعطلك عن الأعمال الأخرى.. تستطيع تصفح المواقع وقراءة البريد الإلكتروني بينما تنتهي عملية إنزال الملفات والبرامج.

مواقع مفيدة

• خطب الجمعة من المدينة المنورة
www.khutab.org

مجموعة كبيرة من خطب الجمعة مباشرة من المدينة المنورة، تم تصنيفها بدليل خاص، وتم ترجمتها لعدد كبير من اللغات، مثل اللغة الإنكليزية والفرنسية والتركية والـ «اوردو» حتى الصينية!

وهذا الموقع يحتوي على أرشيف قصص للعبرة والموعظة، وأرشيف المقالات التي يمكن استعراض محتواها من خلال محرك البحث الذي يحتويه.

• مرض السكري
http://www.sokkari.com

١٤ نوفمبر من كل عام هو اليوم العالمي لمرضى السكري، ولا شيء يساعد الإنسان على تجنب مخاطر الداء السكري كالمعرفة العلمية العميقة به، معرفة تقوم على فهم الأسباب تماماً ومن ثم تحديد طرق العلاج، ومن حسن الحظ أن «السكري» واحد من الأمراض التي يمكن تجنبها قبل أن تقع والحد من خطورتها بعد الوقوع.

• دنيا الصحافة
www.planetpress.net

موقع عربي يهتم بتقديم الخدمات الإخبارية والمعلوماتية بطابع من الحداثية والموضوعية وبصيغة متطورة تناسب عصر المعلوماتية الذي نعيشه، يغطي الموقع أخبار العالم ككل، لكنه يركز بشكل أساسي على العالم العربي والشرق الأوسط ويهتم الموقع بالصحافيين عبر قسم أهل الصحافة الذي يتحدث فيه عنهم وعن أخبار مؤسساتهم ونشاطاتهم، كما يوفر لهم منبراً حراً هو باب «ضيف اليوم» ولا يغفل الموقع في تغطياته المال والأعمال والعلوم والفنون والرياضة التي تتمتع فيه بنصيب وافر.

• سرطان الثدي
www.drcancer.org

يعتبر هذا المرض أحد أكثر الأمراض الخطرة شيوعاً في العالم اليوم، ولعل هذا الموقع هو الأول الذي يتخصص بهذا المرض باللغة العربية، ويشكل هذا الموقع مساهمة في توعية النساء لهذا المرض وأعراضه وطرق الوقاية منه ويحاول الموقع من خلال منتدياته إيجاد التواصل المطلوب بين المرضى وأقاربهم والأطباء والمهتمين، كما أنه يسعى إلى مواكبة التطور الطبي في هذا المجال من خلال نشرة شهرية متخصصة وعرض الأخبار الطبية والأبحاث العلمية ذات العلاقة التي تنشر من قبل المنظمات العالمية والمؤسسات البحثية.

• نت العرب
http://www.netalarab.com

موقع يحتوي على دليل بالمواقع العربية والعالمية يتألف من أربعة عشر مدخلا رئيسا وعشرات المداخل الفرعية يوفر الموقع الكثير من الخدمات المجانية كالبريد الإلكتروني، مواقيت الصلاة واتجاه القبلة، وأسعار العملات وغيرها، وتمكنك بوابة «نت العرب» من إضافة موقع إلى دليل المواقع الموجودة بها والعملية بسيطة جداً.

• البرمجة
http://www.programmersheaven.net

موقع مفيد لكل من يهتم بلغات برمجة الكمبيوتر، أطلق عليه اسم «واحة المبرمجين» ويقدم الموقع خدمات كثير خاصة بالبرامج والبرمجة، ويوفر للمتصفح مجلة مختصة بالبرامج وقائمة بريدية يناقش فيها المبرمجون كل ما يختص في البرمجة والبرامج، بالإضافة إلى محرك بحث وروابط لمواقع متخصصة في البرمجة أيضا.

كعكة الإنترنت COOKie files

كعكة الإنترنت ما هي إلا ملف تجسس حميد!، فما أن تزور أي موقع على شبكة الإنترنت وتدخل على أي من صفحاته حتى يقوم ذلك الموقع بإنشاء ملف نصي صغير يسمى ملف كعكة الإنترنت Lnternet Cookie Files، ويبعث إليك بنسخة منه ويسجلها في جهازك الشخصي، والنسخة الأخرى تبقى في الكمبيوتر الخادم لدى الشركة المالكة للموقع، ويحتوي ذلك الملف على معلومات شخصية عنك حتى يمكن الآخرين فيما بعد من مراسلتك بكل ما هو جديد لديهم، أو أن يقوموا بإرسال تلك البيانات لدى إحدى شركات الدعاية والإعلان المتخصصة في جمع وتحليل البيانات .. إذا فأنت مراقب بوساطة تلك الكعكات التي تقوم بجمع وتحليل بياناتك وإرسالها «من دون أن تدري» إلى الشركات المالكة لها، ويمكن لهذه الكعكات أن تقوم بجمع المعلومات التالية عنك.

- المواقع التي تقوم بزيارتها، والمواقع المفضلة لديك.
- اسمك وعنوان بريدك الإلكتروني وسنك وأرقام تلفوناتك.. لاحظ أن تلك البيانات تكتشف حين تقوم بتعبئة إحدى استمارات الاشتراك في أحد خدمات الإنترنت.
- نوع جهازك وسرعته.
- اهتماماتك على الإنترنت وكم من الساعات تقضيها أمام الإنترنت؟.
- رقم بطاقة الائتمان الخاصة بك، وذلك في أثناء شرائك إحدى السلع.

هل أصابك الرعب والهلع من تلك الكعكات، لا تقلق فبإمكانك التخلص منها نهائيا، وهو ما ستعرفه فيما يلي من الفقرات:

إلغاء ملفات الـ «Cookies»

تابع معي الخطوات التالية لألغاء ملفات الـ «Cookies»

١- انقر Click لتظهر لك قائمة المهام الرئيسة.

٢- اختر Search من تلك القائمة فهو الخيار الخاص للبحث عن الملفات أو المجلدات الموجودة في جهازك.

وستظهر لك ما يلي من النوافذ:

لاحظ.. ظهور الكلب Rover في أقصى يسار النافذة وهو يعدد لك الأنواع المختلفة للملفات أو المجلدات التي يمكنك البحث عنها.

٤- اكتب اسم المجلد المراد البحث عنه Cookie داخل مستطيل الكتابة All or part of the file name.

٥- حدد مشغل الإسطوانات أو المكان المراد البحث داخله وذلك من قائمة الخيارات Look In الموجود في أسفل المستطيل الخاص بكتابة اسم الملف، وليكن اختيارك هو My Computer .

٦- انقر على Click فوق مفتاح Search لتبدأ عملية البحث، وبعد انتهاء عملية البحث ستجد النافذة اليمنى قد احتوت على البيانات الخاصة بالمجلدات التي عثر عليها وتحمل اسم Cookie.

٧ - انقر Doudle Click فوق اسم المجلد الأول الذي يحمل الاسم Cookies ليتم إظهار الملفات التي في داخله.

٨ - اختر Selest All من قائمة Edit أو اضغط فوق مفتاحي CTRL +A ليتم تحديد تلك الملفات بالكامل تمهيدا لإلغائها.

٩- اضغط فوق مفتاح Delete من لوحة المفاتيح ليتم إلغاء ملفات الـ «Cookie».

١٠- كرر تلك العملية مع المجلدات الأخرى التي تحمل الإسم Cookie وبذلك تكون قد تخلصت من ملفات الـ «Cookies» المسجلة بجهازك التخلص التلقائي من ملفات الـ «Cookies»، يمكنك تعديل عمل متصفح الإنترنت Inter net Explorer لجعله يتخلص تلقائيا من ملفات الـ «Cookies» لمجرد غلق البرنامج، وذلك باتباع ما يلي من الخطوات:

١- اختر Control Panel من قائمة المهام الرئيسة.

٢- انقر على Click Double فوق الأداء Internt Options ولاحظ ظهور نافذة خصائص الإنترنت.

٣- انقر على Click فوق الخيار Advanced المشار اليه سابقا.

٤- استخدم قضيب التمرير الرأسي لإظهار الخيارات المعنونة باسم Security.

٥- انقر على Click داخل مربع تنشيط الخيار Empty temporary Internet Files when Browser closd فهو الخيار الخاص الذي يجعل متصفح الإنترنت يقوم من تلقاء نفسه بإلغاء جميع ملفات الإنترنت المؤقتة ومن بينها ملفات Cookies لمجرد غلق البرنامج.

٦- انقر على Click فوق OK.

والآن .. لا تقلق في شأن كعكات الإنترنت، فسيتم إلغاؤها مباشرة ومن دون أدنى تدخل منك لمجرد إغلاقك لمتصفح الإنترنت.

برامج مفيدة

من خلال العنوان : ذلك.

-sgate.com/software/computer-mixed/index.hotml.http://www.arad

يمكن إنزال ما يلي من البرامج:

- برنامج advanced zip repairer v1.51

هذا البرنامج يعمل مع أنظمة windows95,98,me,nt,2000,xp ويحاول هذا البرنامج جاهدا إصلاح الملفات المعطوبة من نوعية zip أي المضغوطة، وأيضا جميع أنواع الملفات التشغيلية files self extracting وغالباً ينجح في

- برنامج pro print pack 2001

يقوم هذا البرنامج بتحويل أي مستند قابل للطباعة الى رسالة بريد الكتروني أو مستند «دي. بي .إف- DPF» الشهير، وهو تشكيل المستند المتنقل الذي يمكن قراءته على أنواع مختلفة من نظم تشغيل الحاسبات ويستخدمه برنامج أدوب أكروبات (adobe acrobat)، ويقوم أدوب بعرض المستند بالتشكيل نفسه والرسوم والخطوط التي استخدمها من قام بإنشاء المستند وهو مصنف من فئة أربعة نجوم ويعمل على أنظمة التشغيل السابقة نفسها.

الوعي الاقتصادي

إعداد: معن خليل

تخفيف القيود على الخدمات المالية الإسلامية في سنغافورة

وافقت سلطة النقد السنغافورية (البنك المركزي) على السماح للبنوك باستخدام أحد أشكال التمويل الإسلامية الأساسية في إطار سعي حكومة الدولة المدينة الى التحول لمركز مالي عالمي.

وقالت السلطة في بيان صدر أخيراً إنها استبعدت صفقات المرابحة من قائمة التعاملات غير المالية المحظورة على البنوك.

ووفقا للشريعة الإسلامية، فإن الحصول على فائدة ثابتة ومحددة سلفا على القروض غير جائز. ولكن يمكن للبنوك شراء السلع لحساب عملائها وإعادة بيعها لهم بسعر أعلى مع تسهيلات في السداد.

ووفقاً لبيان سلطة النقد السنغافورية أصبح في مقدور البنوك القيام بعمليات بيع وشراء السلع لحساب العملاء وتحقيق أرباح وفقاً لأسلوب «المرابحة» الإسلامي.

وأضافت السلطة أن التغيير جزء من عملية المراجعة المستمرة للأطر التشريعية الرامية إلى تسهيل نمو صناعة التمويل الإسلامي.

وقال «هينغ سوي كيات» المدير الإداري لسلطة نقد سنغافورة عن السماح للبنوك باستخدام أسلوب المرابحة بأنه «مكمل مهم لمجموعة المنتجات والخدمات التي يمكن لسنغافورة كمركز مالي دولي أن تقدمها».

وأضاف: أن إجمالي أصول صناعة التمويل الإسلامي على مستوى العالم تقدر بما يتراوح بين ٢٠٠ و٤٠٠ مليار دولار وهو يزيد بمعدل ١٥ في المئة سنويا.

وقال «سيم ليم» الرئيس الإقليمي للمبيعات والتداول لمنطقة آسيا والمحيط الهادي في مجموعة «سيتي غروب المصرفية الأميركية» ان ما بين ٧٠ - ٨٠ ٪ من التعاملات المالية التي تجري في الشرق الأوسط وتعطي شكلا من أشكال العائد الثابت تتم باستخدام نظام المرابحة.

أكبر شركة تأمين إسلامية تجعل «سلامة» علامتها التجارية

● أعلنت الشركة الإسلامية العربية للتأمين، عن تغيير علامتها لتصبح «سلامة» الشركة الإسلامية العربية للتأمين، كما كشفت الشركة، التي يبلغ رأس مالها المدفوع بليون درهم إماراتي، عن هويتها المؤسساتية الجديدة.

وترمي هذه الخطوة الى توافر الركيزة الرئيسة لدفع عجلة استراتيجية توسعة عمليات الشركة في الأسواق المحلية والإقليمية والدولية وهي تعد أكبر شركة للتأمين الإسلامي في العالم فضلاً عن تعزيز مكانتها الريادية في مجال توافر خدمات ومنتجات التأمين وإعادة التأمين الإسلامي، وقال «خالد بن زايد آل نهيان» رئيس «سلامة»، الشركة الإسلامية العربية للتأمين: «تعتبر هذه خطوة اولى ضمن استراتيجية اعتمدتها شركتنا لتوسعة نطاق عملياتها على مدى الأشهر القليلة المقبلة التي ستسهم بشكل ملموس في زيادة أرباحنا. ونعتزم أيضا إطلاق قائمة من الخدمات والمنتجات التأمينية الجديدة والدخول الى أسواق أخرى وخصوصا في قارتي آسيا وأوروبا».

واختار مجلس إدارة الشركة اسم «سلامة» الشركة الإسلامية العربية للتأمين، ليكون العلامة المميزة والهوية المؤسساتية الجديدة للشركة. وقامت «لواند بارتنرز الشرق الاوسط وشمال أفريقيا» بتطوير العلامة الجديدة التي تم اختيارها من بين أربعة عروض مقدمة من قبل خبراء دوليين وإقليميين في هذا المجال.

وأوضح الدكتور «صالح ملائكة» نائب الرئيس والمدير التنفيذي في شركة «سلامة»: «نتبنى خططاً طموحة لطرح أنظمة وخدمات تأمين وتكافل تتوافق مع تعاليم الشريعة الإسلامية السمحة واتاحة المجال للاستفادة منها للمزيد من الأفراد من مختلف أنحاء العالم».

المجموعة الدولية وغراند تبيعان حصتيهما في «البحرين الإسلامي»

أعلنت شركة دار الاستثمار عن تأجيل توقيع الاتفاقية الخاصة بشرائها ٣٠٪ من بنك البحرين الإسلامي بقيمة تعادل ٢٥ مليون دينار.

وقالت إن التأجيل هو من أجل إتمام جميع الإجراءات والمتطلبات القانونية.

وأعلنت شركة المجموعة الدولية للاستثمار أنها وكلت بنك «المستثمرون في مملكة البحرين» من أجل بيع حصتها البالغة ٥٪ اي ما يعادل ١١,٧ مليون سهم من أسهم بنك البحرين الإسلامي.

ومن جهتها قالت شركة المشروعات الكبرى «غراند» إنها قامت بتوكيل بنك «المستثمرون في مملكة البحرين» ببيع حصتها البالغة ٤,٩٨٪ اي ما يعادل ١١,٦٨٥ مليون سهم في بنك البحرين الإسلامي.

البحرين تمنح ترخيصاً لبنك تجاري إسلامي جديد

● منح البنك المركزي في البحرين ترخيصا لبنك تجاري إسلامي يبلغ رأسماله المدفوع ١٠٠ مليون دينار (٢٦٥ مليون دولار).

وقالت مؤسسة نقد البحرين في بيان أن مؤسسي بنك السلام سيقدمون نحو ٧٠٪ من رأس المال، وسيأتي الباقي من خلال إصدار عام أولي حسبما ذكر البيان من دون إعطاء تفاصيل ومن بين المؤسسين إعمار العقارية وأملاك للتمويل في دبي.

مصرف إسلامي جديد للاستثمار والصناعة

أعلن الشيخ «صالح كامل» رئيس المجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية عن إنشاء بنك إسلامي كبير للاستثمار والصناعة برأسمال قدره مليار دولار أميركي.

وقال: إن البنك الجديد الذي تمت تغطية نسبة ٦٠٪ من رأسماله فور الإعلان عنه سيكون متاحاً لاشتراك جميع البنوك الإسلامية بما فيها البنك الإسلامي للتنمية.

وتوقع الشيخ «صالح كامل» اكتمال تغطية رأسمال البنك بنسبة ١٠٠٪ خلال شهر على أن يمارس نشاطه المصرفي الفعلي بدءاً من مطلع العام ٢٠٠٦م، مشيراً الى أن البنك الجديد يتبع للقطاع الخاص وهو شبيه بالبنك الإسلامي للتنمية التابع للحكومات.

٢٦٠ مليار دولار حجم صناعة المصارف الإسلامية في العالم

قدر خبراء في القطاع المصرفي الإسلامي حجم صناعة المصارف الإسلامية على مستوى العالم بنحو ٢٦٠ مليار دولار في نحو ٢٦٧ مؤسسة مصرفية حول العالم، مشيرين الى أن دول الخليج تستحوذ على ٢٥٪ من تلك السوق.

وقدر الخبراء معدل النمو في قطاع المصارف الإسلامية بما بين ١٥٪ و٢٠٪ سنويا.

ويصل العمل المصرفي في دول مجلس التعاون الى ٤٠٪ من اجمالي العمل المصرفي الإسلامي العالمي، وهناك توقعات بارتفاعه الى ٦٠٪ اذا ما عززت دول المنطقة هذا القطاع بشكل أكبر.

أخبار موجزة

• أكد محافظ مؤسسة نقد البحرين رشيد المعراج أن السوق المالي الإسلامي يشهد في الوقت الحاضر تطورات وابتكارات كبيرة ستسهم في قيام أسواق إسلامية مالية متكاملة ونشيطة للأدوات المالية كافة كسندات الدين والأسهم والأدوات النقدية القصيرة الأجل.

• يعقد المؤتمر العالمي الثاني عشر للمصارف الإسلامية تحت رعاية الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، رئيس وزراء مملكة البحرين، في مركز الخليج الدولي للمؤتمرات في الفترة من العاشر الى الثاني عشر من ديسمبر ٢٠٠٥م، وقد تم إعلان بنك «نوربيا» من البحرين وبيت التمويل باعتبارهما الشركاء البلاتينيين في هذا الحدث المرموق في عالم المصارف الإسلامية الذي يعقد تحت عنوان «تحرير قدرات السوق، التعزيز والابتكار والنمو».

• أعلن رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لبيت التمويل الكويتي - بيتك - «بدر المخيزيم» أن بيتك حقق أرباحاً أجمالية للربع الثالث من العام الحالي قدرها ١٧٩,٥ مليون دينار، بلغت حصة المساهمين فيها ٩٢,٩ مليون دينار بزيادة ٩١٪ عن الفترة عينها من العام الماضي.

• قال المدير العام لمصرف قطر الإسلامي «صلاح محمد الجيدة» إن المصرف بدأ في تلقي طلبات الاكتتاب في صندوق البشائر الإسلامية للاستثمار في أسهم الشركات الخليجية.

• استكمل البنك العقاري الكويتي جميع الإجراءات المطلوبة من البنك المركزي للتحول الى بنك إسلامي بما فيها تعيين القيادة التنفيذية لإدارة البنك.

قائمة أكبر (٣٠) دولة مصدرة للسلع في العالم (العام ٢٠٠٤م)

التسلسل	الدولة	قيمة الصادرات السلعية	الحصة للعالم ٪
١	المانيا	٩١٤,٨	١٠,٠
٢	الولايات المتحدة الأميركية	٨١٩,٠	٩,٠
٣	الصين	٥٩٣,٤	٦,٥
٤	اليابان	٥٦٥,٥	٦,٢
٥	فرنسا	٤٥١,٠	٤,٩
٦	هولندا	٣٥٨,٨	٣,٩
٧	إيطاليا	٣٤٦,١	٣,٨
٨	المملكة المتحدة	٣٤٥,٦	٣,٨
٩	كندا	٣٢٢,٠	٣,٥
١٠	بلجيكا	٣٠٨,٩	٣,٤
١١	هونج كونج	٢٦٥,٧	٢,٩
١٢	كوريا الجنوبية	٢٥٣,٩	,٢٨
١٣	المكسيك	١٨٨,٦	٢,١
١٤	روسيا الاتحادية	١٨٣,٢	٢,٠
١٥	تايوان	١٨١,٤	٢,٠
١٦	سنغافورة	١٧٩,٥	٢,٠
١٧	اسبانيا	١٧٩,٠	٢,٠
١٨	ماليزيا	١٢٦,٥	١,٤
١٩	السويد	١٢١,٠	١,٣
٢٠	السعودية	١١٩,٦	١,٣
٢١	سويسرا	١١٨,٤	١,٣
٢٢	النمسا	١١٥,٧	١,٣
٢٣	إيرلندا	١٠٤,١	١,١
٢٤	تايلاند	٩٧,٧	١,١
٢٥	البرازيل	٩٦,٥	١,١
٢٦	استراليا	٨٦,٦	٠,٩
٢٧	النرويج	٨٢,٠	٠,٩
٢٨	الأمارات	٧٩,٥	٠,٩
٢٩	الدنمارك	٥٧,٦	٠,٨
٣٠	بولندا	٧٤,١	٠,٨
المجموع		٧,٧٥٣,٥	٨٥,٠
العالم		٩,١٢٣,٥	١٠٠,٠

حلوف الأمة

اعداد:
أحمد عبد الجبار

من هدي كتاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾ آل عمران -١١٨ -١١٩.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي نجيح العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا، يا رسول الله ﷺ، كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة، رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

كن لمن ولاك الله أمرهم ناصحاً

لم ينقطع عمر بن العزيز ﷺ طوال خدمته عن إرسال رسائله ووصاياه إلى قواده وولاته يسدد طريقهم ويثبت خطاهم على خطى المصطفى ﷺ ومما جاء في إحدى وصاياه:

أما بعد، فإن من ابتلي من أمر السلطان بشيء فقد ابتلي ببلية عظيمة، فلنسأل الله عز وجل عافيته وعونه، وإني أدعوك أن تقف نفسك في سرك وعلانيتك عند الذي ترجو به النجاة من ربك..

تذكر ما سلف منك من خطأ فأصلحه قبل أن يتولى إصلاحه غيرك، ولا يمنعك من ذلك قول الناس، وكن لمن ولاك الله أمرهم ناصحاً في دينهم وأعراضهم، واستر كل عوراتهم ، واملك زمام نفسك تجاههم إذا هويت وإذا غضبت.

أعطى لله درهماً فأعطاه الله مئة وعشرين ألفاً!

عن الفضيل بن عياض قال: حدثني رجل أن رجلاً خرج بغزل فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً فمر على رجلين كل واحد منهما آخذا برأس صاحبه فقال ما هذا؟ فقيل يقتتلان في درهم فأعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره فأتى إلى امرأته فأخبرها بما جرى له فنتجت له أشياء من البيت فذهب ليبيعها، فكسدت عليه فمر على رجل معه سمكة قد أنتنت وتغيرت رائحتها.

فقال له: إن معك شيئاً قد كسد ومعي شيء قد كسد فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت وقال لزوجته قومي فأصلحي أمر هذه السمكة فقد هلكنا من الجوع فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة فإذا هي بلؤلؤة قد خرجت من جوفها فقالت المرأة: يا سيدي قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج وهو يقارب بيض الحمام. فقال: أريني فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله فطار عقله وحار لبه فقال لزوجته هذه أظنها لؤلؤة. فقالت: اتعرف قدر اللؤلؤة. فقال لا، ولكني أعرف من يعرف ذلك. ثم أخذها وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ إلى صديق له جوهري فسلّم عليه فرد السلام، وجلس إلى جانبه يتحدث وأخرج تلك البيضة وقال: أنظر كم قيمة هذه؟ فنظر زمناً طويلاً ثم قال: لك بها عليّ أربعون ألفاً فإن شئت أقبضتك المال الساعة وإن طلبت الزيادة فاذهب إلى فلان فإنه أثمن بها لك مني. فذهب بها إليه فنظر إليها واستحسنها وقال: لك بها عليّ ثمانون ألفاً وإن شئت الزيادة فاذهب بها إلى فلان أراه أثمن بها لك مني. فذهب بها إليه فقال: لك بها عليّ مئة وعشرون ألفاً. ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً. فقال، فوزن له المال فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتي عشرة بدرة في كل بدرة عشرة آلاف درهم فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه فإذا بفقير واقف بالباب يسأل فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، ادخل، فدخل الرجل، فقال: خذ نصف هذا المال فأخذ الرجل الفقير ست بدر فحملها ثم تباعد غير بعيد ورجع إليه، ثم قال: ما أنا بمسكين ولا فقير وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً فهذا الذي أعطاك قيراط منه، وادخر لك تسعة عشر قيراطاً.

من أقوال حاتم الأصم

سأل رجل حاتما الأصم فقال له: علام بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع:

١- علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي.
٢- وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فانشغلت به.
٣- وعلمت أن الموت يأتي بغته فأنا أبادره
٤- وعلمت أني لا أخلوا من عين الله حيث كنت فأنا مستح منه.

طرفة

سأل أحدهم رجلاً واقفاً في محطة سكة حديد قائلاً:

أي قطار أركب ليوصلني إلى باريس؟ فقال له الرجل: اركب قطار رقم ٣٥، وعند المساء عاد الرجل ليجد السائل مكانه فسأله مستغرباً، هل عدلت عن السفر؟ فأجاب قائلاً: لا والله إنني مصمم على السفر ومستعجل للغاية ولكن إلى الآن لم يمر بهذه المحطة سوى ٣٤ قطاراً وإنني في انتظار القطار الخامس والثلاثين الذي ذكرته!!

ثلاثة

عن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش الناس به، ورجل عاش الناس بعلمه وأهلك نفسه، ورجل عاش بعلمه ولم يعش به غيره.

وقال الحسن: حملة القرآن ثلاثة:

رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب ما عند الناس؛ ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستطال به على الناس، ورجل علم ما فيه وحفظه وعمل به داعيا وعابداً وهو خير الحملة، وقال الإمام الغزالي: الناس في هذه الحياة بين ثلاثة: تافه يرتفع كما ترتفع الفقاقيع.. وسافل يرسب كما يرسب الطين، ومجاهد يبحث عن الحق يعلو تارة ويهبط تارة إن هبط فله أجر الجهاد وإن علا فقد توجته يد الله.

أمثال عربية

- من سابق الدهر عثر.
- زكاة الحياة رفد المستعين.
- صبر ساعة أطول للراحة.
- من دخل مداخل السوء اتهم.

قالوا

- إنك لا تجني من الشوك العنب
- عندما يبكي الشجاع يضحك الجبان
- الكلام من دون تفكير كالرماية من دون تصويب
- الكلام كالدواء إن قل نفع وإن كثر أضر
- الضربات القوية تهشم الزجاج لكنها تصقل الحديد

الكلمات المتقاطعة

اعداد: محمد ابودية

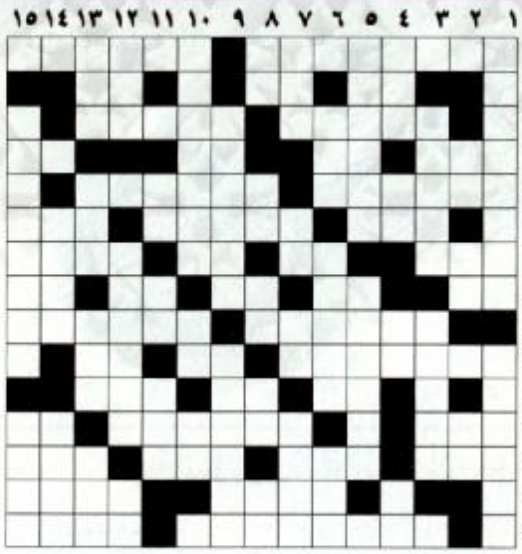

أفقياً وراسياً

١- أول جملة في النداء للصلاة - من أسماء الله الحسنى
٢- للاستفهام - للندبة - عبودية
٣- عاصمة إيران -عاصمة أوزبكستان
٤- متشابهات- متشابهات - ثلثي هرم - للإضراب
٥- من فاكهة الجنة ذكرت في سورة الرحمن - جملة تنهى عن الكذب
٦- سلام - قلب + قلب- الجزء الأسفل من الوجه
٧- مدينة مهمة في ألمانيا - خمسي قرقور- أداة نصب - المودة
٨- نصف رامي - متشابهان - لمس - رمل حار - نصف لقلق
٩- مدينة في لبنان وفي ليبيا - من مدن الصين الشعبية
١٠- الذي يفرح بمصائب غيره - نصف شبأك -بحر أو نهر كبير
١١- فعل الأمر من كان- حرف جر للتبعيض- جنون واضطراب
١٢- من مدن سويسرا - السحب - سارق
١٣- أشق الشيء - سخاء أو عطاء- حديث خفي - والدي
١٤ - انطقا بالقول - صوف أو شعر مجتمع بكثافة متلبد
١٥ - مدينة إيطالية تاريخية تكاد تغرق في البحر - مدينة في جنوب لبنان

حل العدد السابق ٤٨٠

عشرة في المئة من سكان باريس يعيشون تحت خط الفقر

أفادت دراسة نشرتها الإدارة الاقليمية للشؤون الصحية والاجتماعية في باريس أن ١٠ ٪ من سكان باريس وضواحيها يعيشون تحت خط الفقر، واوضحت الدراسة أن مليون شخص «أي مواطن بين كل عشرة مواطنين» يعانون من الضائقة ولا تشمل هذه الأرقام من هم فوق الـ «٦٥» عاما أو الطلبة أو الأشخاص المقيمين بشكل غير مشروع في المنطقة الباريسية ورغم ما تنعم به هذه المنطقة من ثراء إلا أن التفاوت الاجتماعي يتجلى بوضوح فيها.

ولاية ألمانية تنوي حظر حجاب المعلمات العام ٢٠٠٦

ذكرت صحيفة «فيستدويشه تسايتونج» الألمانية أن ولاية «فستفاليا» تعتزم حظر ارتداء الحجاب على المعلمات المسلمات في مدارسها الحكومية بدءا من أغسطس ٢٠٠٦ م،مشيرة إلى أن المسؤولين يعتزمون مناقشة هذا القرار مع الأقلية المسلمة في الولاية.

وأغلبية الألمان تؤيد تشريع الموت الرحيم

ومن جانب آخر أظهر استطلاع للرأي في ألمانيا أن نسبة ٧٤ في المئة من الألمان تؤيد تشريع موت الرحمة والسماح للأطباء باستخدام وسائل الموت الرحيم في الحالات الميؤس من شفائها بناء على رغبة المرضى فيما رفضت نسبة ٢٠ في المئة استخدام الموت الرحيم.

وامتنعت نسبة ستة في المئة عن الإدلاء برأيها في الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة «فورسا» لقياس الرأي بتكليف من مجلة «شتيرن» ونشرت نتائجه.

وكان «روجر موش» سيناتور العدل في هامبورغ قد طالب بتعديل نص القانون بعقاب الأشخاص في حال ارتكاب جريمة الموت الرحيم على الرغم من إلحاح المرضى وأشار «موش» إلى اللائحة القانونية السارية التي تسمح للمرأة الحامل بالتخلص من جنين حي بإجهاضه وتحرم في الوقت نفسه المريض المينوس من شفائه من المطالبة بإنهاء حياته ودفن نفسه.

«المؤتمر الإسلامي» الغرب يسيء لصورة الإسلام

اتهم الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي «أكمل الدين إحسان اوغلو» الغرب بتصوير الإسلام بشكل شيطاني في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة محذراً من تحميل الدين كامل مسؤولية ما يقوم به أفراد.. ونقلت قناة «الجزيرة» الفضائية عن أوغلو قوله انه على الرغم من أن تلك الهجمات كانت موضع إدانة من المسلمين إلا انه من غير المعقول إدانة خمس الإنسانية بجريرة أفراد قلائل.

وأضاف أن المسلمين عانوا كثيراً من التطهير العرقي ومن المذابح التي طالما تجاهلها العالم الغربي مشيراً بشكل خاص إلى العراق الذي قال إن الحرب غير المشروعة التي وقعت فيه خلال السنوات الأخيرة أعطت المسلمين مبرراً إضافياً لفقدانهم الثقة بنجاعة النظام الدولي، ومضى اوغلو قائلاً: «إن نظرة أمينة للأحداث ستخبرنا أن القضايا الكبرى الساخنة التي كان المسلمون الضحية فيها لم تتم معالجتها بشكل ينطوي على أي قدر من الإخلاص.

٩٨% من مسلمي العالم فقراء

في الندوة الدولية التي أقيمت في مركز الاقتصاد الإسلامي في جامعة الأزهر بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية والأمانة العامة للأوقاف في الكويت تحت عنوان (دور الزكاة والوقف في التخفيف من حدة الفقر) أكد الدكتور «عبدالحميد الغزالي» - أستاذ الاقتصاد في جامعة القاهرة أن نسبة الفقر في العالم الإسلامي وصلت إلى ٩٧٪ وأن ٨٦٪ من الدول الإسلامية يدخل في عداد الدول الفقيرة حسب الإحصاءات الدولية.

وشدد «الغزالي» على أن تفعيل دور الزكاة سيؤدي إلى القضاء على مظاهر الظلم الاقتصادي، مثل الرشوة والاستغلال والاحتكار والمحسوبية كما سيؤدي إلى النماء والتكافل.

٣٥٠ ألفا قتلى كوارث عام ٢٠٠٤م والمتضررون ١٤٦ مليونا

أفاد تقرير بأن تعداد قتلى الكوارث الطبيعية قفز في العام ٢٠٠٤م إلى نحو ٣٥٠ ألفا فيما يرجع إلى حد بعيد الى موجات المد في المحيط الهندي ويعادل نحو من ثلاثة أمثال عدد الضحايا في العام السابق وأكثر من عشرة أمثال تعدادهم في العام ٢٠٠٢م وقال الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر في أحدث تقارير عن الكوارث العالمية إن هذا العدد يمثل أيضا ثلاثة أضعاف المتوسط السنوي للفترة من العام ١٩٩٤ الى العام ٢٠٠٣م. غير ان تقرير الاتحاد وهو أكبر شبكة للإغاثة من الكوارث أفاد بأن عدد الأشخاص الذين تضرروا من الكوارث الطبيعية في أنحاء العالم في العام ٢٠٠٤م انخفض الى ١٤٦ مليون شخص مقارنة بالمتوسط السنوي للعقد السابق الذي بلغ ٢٥٨ مليونا. لكن عدد الكوارث المسجلة في العام ٢٠٠٤م وهو ٧١٩ الفا هو ثالث أعلى عدد خلال السنوات العشر الماضية وقال التقرير إن المتوسط السنوي لعدد الكوارث في الفترة بين العامين ٢٠٠٠ و ٢٠٠٤ أعلى بنسبة ٥٥ في المئة عن الفترة السابقة.

٣٧ مليونا عدد فقراء أميركا!

تتسع اليوم الفجوة بين الفقراء والأغنياء في أميركا أكثر من ذي قبل، ذلك بأن معدل الأميركيين الذين يعيشون تحت خط الفقر لا يزال في ازدياد، ففي سنة واحدة بين العامين ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ كشف تقرير صادر عن دائرة التعداد السكاني في أميركا أن نسبة الفقراء ارتفعت من ١٢,٥ في المئة إلى ١٢,٧ في المئة حيث بلغ تعداد الفقراء الأميركيين نحو ٣٧ مليونا العام ٢٠٠٤م بعد أن كان العدد ٣٥,٩ مليونا في العام ٢٠٠٣، وذكر الإحصاء أن معدل الفقر انخفض عند الأميركيين ذوي الأصل الآسيوي من ١١,٨ في المئة إلى ٩,٨ في المئة فيما ارتفع لدى الذين هم من أصول لاتينية وإسبانية وبرتغالية وخصوصاً الأميركيين الأفارقة.

١٨ ألف كنيسة تتجه لإغلاق أبوابها نهائيا

حذرت دراسة حديثة أجرتها مؤسسة بحثية مسيحية من أن عدد رواد مساجد بريطانيا يوازي ضعف عدد المترددين على كنائسها في العام ٢٠٠٤م واعتبرت المؤسسة أن ذلك يشير إلى «الأزمة الحقيقية المقبلة» التي تواجه الكنيسة في بريطانيا.

وقالت صحيفة «تليغراف أون صنداي» البريطانية إن: «الدراسة، التي اجرتها «الرابطة المسيحية» وحملت عنوان «مستقبل الكنائس»، أشارت إلى أنه «سيكون هناك تقريبا مسلمان أو أكثر يحضرون صلاة الجمعة في المسجد مقابل واحد مسيحي يحضر صلاة في الكنيسة»، كما أوضحت الدراسة أن عدد المسيحيين المترددين على الكنيسة أيام الأحد سينخفض بمقدار الثلثين خلال العقود الثلاثة المقبلة، وهو ماستعاني منه على المدى الطويل الكنائس المختلفة من الكنيسة الإنجليزية والكاثوليكية إلى البروتستانتية وغيرها.

وأشارت إلى أن هذا الانخفاض سيضطر نحو ١٨ ألف كنيسة في بريطانيا إلى إغلاق أبوابها نهائياً جراء هذا التراجع في أعداد المترددين عليها.

٩٥ مليار دولار نفقات أميركا على البحث العلمي

تبين من دراسة أجريت أخيرا، أن إجمالي الإنفاق الأميركي على البحث الطبي قد تضاعف في العقد المنصرم ليصل إلى نحو ٩٥ مليار دولار سنويا، بيد أن السؤال حول ما إذا كان قد جرى صرف مثل هذه المبالغ بصورة سليمة أم لا، يحتاج الى تدقيق أفضل.

وجاء التقرير في مجلة الجمعية الطبية الأميركية وسط تزايد الاهتمام الشعبي بالبحث العلمي بسبب القضايا المرفوعة في المحاكم على الشركة المنتجة للدواء المسكن للألم «فيوكس Vi-OXX»، والجدل السياسي الدائر حول بحوث الخلايا الجذعية وآفاق العلاج أو الوقاية من الأمراض من خلال رسم الجينوم البشري.

الجامعة العربية تعتمد إنشاء هيئة حكماء

اعتمدت جامعة الدول العربية تقليداً جديداً، باعتمادها النظام الأساسي لهيئة الحكماء التي تتكون من شخصيات عربية ذات عطاء فكري بارز في مختلف التخصصات وممثلة لجميع الدول العربية.

وأفاد مصدر مسؤول في الجامعة أن الهدف من تشكيل الهيئة هو دراسة ما يصدر عن المؤسسات الفكرية في شأن قضايا الحضارات والثقافة في العالم، إلى جانب التعاون مع مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الأهلية غير الحكومية المعنية بحوار الحضارات، والتركيز على دراسة ومناقشة قضايا الإصلاح والتطوير.

وذكر المصدر: أن مدة العضوية في الهيئة عامان ستعقد اجتماعين في العام بناء على دعوة الأمين العام على أن يجوز لها عقد اجتماعاتها في إحدى الدول العربية التي ترغب في استضافتها.

وأضاف أن الأمانة العامة ستعد جدول أعمال الهيئة ويرأس اجتماعاتها الأمين العام، إلا إذا اقترح في حال انشغاله أن تختار الهيئة رئيسا لاحد اجتماعاتها.

تقارير

إعداد: عبد المنعم احمد

الأمم المتحدة: كل طفل يموت جوعاً جريمة.. والهيئات الدولية مسؤولة أولاً

الغذاء في العالم يكفي لإطعام ١٢ مليار نسمة.. لكنه محتكر

ذكر مبعوث الأمم المتحدة «جان تسيلغر» أن انتشار المجاعات في العالم جريمة ضد الإنسانية، والمسؤول الأول عنها الهيئات الدولية التي تسعى وراء تحقيق أرباح ومكاسب مادية.

ودان «تسيغلر» النظام الحالي بعد حضوره العرض الأول للفيلم الوثائقي «نحن نطعم العالم».

وقال: إنه لن تكون هناك مشكلة في مطلع القرن الحادي والعشرين فيما يتعلق بالإنتاج والخدمات اللوجيستية لتوافر الغذاء لسكان العالم بأكمله.

وأضاف إن الفقر والجوع يلقي باللوم في انتشارهما أولاً على الهيئات الدولية المعنية بشؤون الغذاء التي تعمل من أجل تحقيق أرباح مادية بصورة محضة محملاً مسؤولية ذلك لعضو البرلمان السويسري السابق الذي شغل في السنوات الخمس الماضية منصب مبعوث الأمم المتحدة لشؤون الغذاء.

ويتضمن الفيلم الوثائقي وهو من اخراج «ايرفن فاغنهوفر» عبارة صرح بها «تسيغلر» قائلا «نحن قادرون على إطعام ١٢ مليار نسمة ولذا كل طفل يموت جوعا هو ضحية جريمة».

وندد «تسيغلر» عقب عرض الفيلم بالتطبيق على الوضع في البرازيل كمثال تناوله العمل الوثائقي.

وقال «تسيغلر»: إنه لايوجد فرصة أمام الرئيس البرازيلي «لولا إيناسيويدي سيلفا» لتطبيق برنامجه النموذجي لإنقاذ سكان بلاده البالغ تعدادهم ٤٤ مليون نسمة يعانون من سوء التغذية.

وأضاف إنه طالما استمر عبء الديون واقعا على كاهل البرازيل فإن «لولا» لن يتمكن من تمويل البرنامج وسيضطر الشعب للاستمرار في المجاعة».

حشد القوى

من جهة اخرى، أعلن تحالف منظمات المجتمع المدني الدولية غير الحكومية «اتاك» أنها ستعارض بشدة وتحشد جهودها للوقوف في وجهه اتفاقية جديدة للتجارة العالمية لا تخدم مصالح البلدان النامية والفقيرة وذلك خلال الاجتماع الوزاري المقبل لمنظمة التجارة العالمية في هونغ كونغ منتصف أكتوبر ٢٠٠٥ .

وقال المسؤول في المنتدى السويسري الاجتماعي «ايريك ديكارو» في تصريحات للصحافيين في المقر الأوروبي للأمم المتحدة هنا إن الاتفاقية المطروحة «ضارة بالبلدان النامية وضارة بصغار المزارعين وبأصحاب الدخول المحدودة لمساسها الضمانات والتأمينات الاجتماعية حتى في الدول الغربية نفسها.

من جانبه قال ممثل عن منظمة (الجنوب العالمي) «والدين بيللو»: إنه يتوقع أن يتجمع في هونغ كونغ نحو ٨٠٠ من ممثلي المجتمع المدني لهذه الاتفاقية.

وقالت ممثلة عدد من المنظمات غير الحكومية في البرازيل «ايارا بيتريكوفسكي» إن منظمتها تتفق مع باقي الوسط الدولي للمنظمات غير الحكومية الأخرى على أن الاتفاقية المزمع إبرامها في هونغ كونغ ضارة بشعوب العالم.

نفط بحر قزوين يغيّر موازين السوق في شهر ديسمبر ٢٠٠٦م

من المتوقع أن يشهد سوق النفط العالمي تغيرات طارئة حيث يتوقع تدفق النفط الخام من منطقة حوض بحر قزوين المغلقة إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط عبر خط الأنابيب البالغ طوله «١٧٠٠» كم الممتد من «باكو» عبر «تبليسي» ثم «جيهان»، وعلى الرغم من أن منطقة الخليج قد اعتبرت دائما أكبر مستودع للاحتياطيات النفطية العالمية، إلا أنها ليست الوحيدة بالطبع، ولم تعد تنفرد وحدها بهذا الامتياز، ذلك أنه يتوقع لحوض بحر قزوين، الذي يحوي احتياطيات نفطية تقدر بنحو ١٦,٥ مليار برميل، وتعادل احتياطيات كندا وقطر والمكسيك مجتمعة، أن يكون واحداً من أكبر الموردين الجدد للنفط العالمي، وأن يروي ظمأ العالم الصناعي المتقدم بهذه الإمدادات. يذكر أن خط الأنابيب هذا، البالغ تكلفته ٣,٧ مليارات دولار، كان قد جرى تدشينه وافتتاحه رسمياً في الخامس والعشرين من شهر مايو المنصرم، بحضور «الهام علييف» رئيس جمهورية أذربيجان، ونظيره التركي «أحمد نجدت سيزر» والجروجي ساكاشفيلي ونور سلطان» رئيس جمهورية كازاخستان. ومعلوم أن جميع هذه الدول، تعد في قائمة الدول المستفيدة من تدفق النفط، سواء أكان ذلك من عوائده أم من الرسوم والجمارك المفروضة على عبوره خلال الدول التي يمر منها.

هذا ويتوقع أن تكون جمهورية أذربيجان، في مقدم المستفيدين من تدفق النفط، وأن تصل حصتها إلى نحو ٢٥ مليار دولار سنويا، حسب أسعار النفط الآن، إلى ذلك يتوقع أن تصل عائدات «جورجيا» من رسوم العبور نحو ٦٠٠ مليون دولار سنويا، ونحو ١,٥ مليار دولار لتركيا عن الرسوم ذاتها أيضا، أما «كازاخستان»، فعليها أن تنتظر حتى حلول العام ٢٠٠٨م، حيث سيتم توصيل نفطها المنتج محليا، مع خط الأنابيب الحامل لنفط منطقة حوض بحر قزوين، كما كان من بين الحضور في حفل ومراسم الافتتاح الذي أقيم بالقرب من «باكو، صمؤيل بودنام» وزير الطاقة الأميركي، «واللورد براون» رئيس إدارة النفط البريطانية، التي تملك نسبة ٣٠,١٪ من أسهم مشروع خط الأنابيب المذكور، أما شركة «PB»، فتعد في مقدم اتحاد الشركات، البالغ عددها إحدى عشرة شركة والمساهمة في تصميم وبناء خط الأنابيب. هذا وتشمل الشركات المشاركة لـ «PB»، الكثير من شركات النفط الأميركية والتركية والنرويجية والإيطالية.

ينتقل عن طريق المصافحة والملامسة.. وأخطر من الجدري والإيدز والانتراكس

إنفلونزا «إيفيان» تفتك بحياة مليار شخص خلال الأشهر المقبلة

رسم تقرير بثته شبكة «إيه بي سي» الأميركية صورة قاتمة عن الوضع الصحي في العالم بسبب انفلونزا «إيفيان» التي أشارت إلى احتمالات فتكها بحياة مليار شخص في العالم خلال الأشهر القليلة المقبلة وذلك لعدم وجود تطعيمات تقي من المرض وشح العلاج الفعال.

قالت الشبكة في برنامج «برايم تايم» في حلقة بثت أخيرا: إنه إذا أصيب الإنسان بالوباء فإن جهاز المناعة لا يستطيع التعرف فيما إذا كانت هذه الانفلونزا عادية كالتي تصيب الإنسان مرات عدة في العام الواحد ويشفى منها خلال أيام أو انفلونزا «إيفيان» القاتلة.

وكان الرئيس الأميركي «جورج بوش» قد حذر في خطابه أمام الأمم المتحدة في نيويورك من انتشار انفلونزا «إيفيان» المعروفة علميا باسم «اتش فايف إن ون» بشكل سريع يفوق التصورات، مؤكدا أنه يجب التصدي لهذا الفيروس حتى لا يصبح وباء القرن الـ «٢١».

وقال رئيس المركز الطبي لمكافحة الكوارث في جامعة كولومبيا «دايروين ريدلندر»: إن هناك كارثة عالمية تكمن في انفلونزا «إيفيان». ومن المتوقع أنه إذا انتشر الوباء في الولايات المتحدة فإنه سينتشر في العالم اجمع في آن واحد.

وأوضح أن الوباء سينتقل من الصين إلى اليابان إلى سان فرانسيسكو خلال أسبوع واحد لأنه سريع العدوى وينتقل عن طريق المصافحة والملامسة ما يجعله أكثر فتكا بالإنسان من وباء الجدري والإيدز والانثراكس.

من جانبه أفاد رئيس جمعية البيطرة والحياة البرية الأميركية «ويليام كاريش» الذي تابع تطور مرض انفلونزا «إيفيان» على مدى السنوات الماضية أن الطيور التي قتلها المرض وتم تشريحها كانت رئتها ممتلئة بالسوائل والدماء مشددا على أن الخطورة تكمن عندما يتطور وينتقل من إنسان إلى إنسان.

وفي رحلة قام بها الدكتور «كاريش» في أحد الأسواق المحلية في محافظة غواندونغ الصينية لاحظ أنها مكتظة بأقفاص الدواجن والطيور التي تعاني من هذا المرض بجانب أقفاص الحيوانات الأخرى كالقطط والسلاحف والكلاب مما يساعد على انتقال فيروسات المرض فيما بينها.

وأقدمت الحكومة الصينية كردة فعل على قتل الملايين من الدواجن في محاولة للحد من انتقال هذا المرض إلى البشر.

وأبلغ مكتشف مرض فيروس الالتهاب الرئوي اللانمطي «سارس» العالم الدكتور «مالك بيريس» أن فيروس «اتش فايف ان ون» يتلف خلايا الرئة مسببا التهابا رئوياً حاداً.

وأضافت الشبكة أن تقريرا حكوميا تنبأ بأن نحو ٢٠٠ ألف مواطن أميركي على أقل تقدير سيلقون مصرعهم بسبب هذا الوباء خلال الأشهر القليلة المقبلة.

ونقلت الشبكة عن وزير الصحة الأميركي «مايكل ليفيت» قوله: إن الحكومة الأميركية ستبذل قصارى جهدها لفرض الحجر الصحي في حال تفشي المرض، مشيرا إلى أن هذا الوضع يثير القلق لدى الإدارة الأميركية.

وأشار التقرير الإخباري إلى أنه على الرغم من عدم اكتشاف أمصال التطعيم للوقاية من انفلونزا إيفيان فإن العلماء اكتشفوا أخيرا

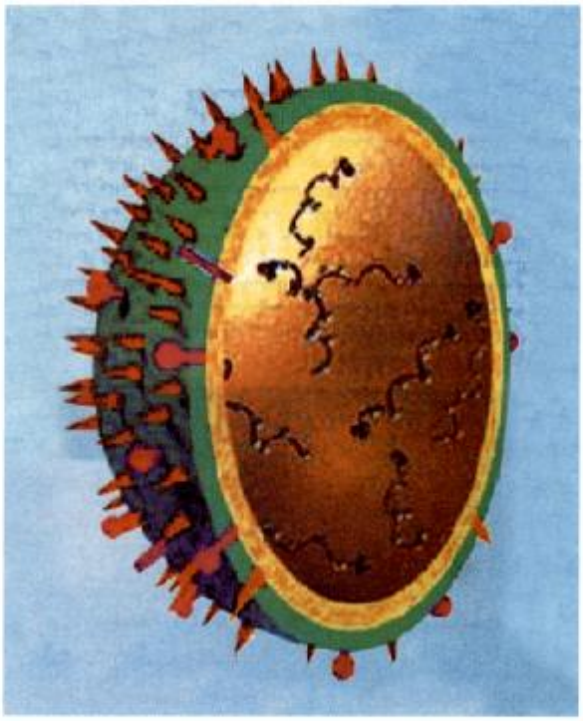

أن هناك علاجاً واحداً فعالاً للقضاء عليه وهو «تاميفلو» الذي تصنعة شركة «روشيه» السويسرية وتقوم ببيعه منذ سنوات عدة.

وأوضح رئيس مكافحة الأمراض الوبائية في شركة روشيه «د. ديفيد ريدي» أنه بسبب الإقبال الشديد على شراء هذا الدواء قامت الشركة باتباع سياسة «الأولوية» في تقديم طلبات شراء الدواء «تاميفلو».

وبين وزير الصحة الأميركي أن الإدارة الأميركية ليست مستعدة لمواجهة انفلونزا «إيفيان» كما ينبغي، معترفا بأن الولايات المتحدة لم تطلب الكميات الكافية من دواء «تاميفلو» من البداية إلا أن الحكومة الأميركية تهدف لتأمين كميات تغطي حاجة ٢٠ مليون مواطن أميركي، مشيرا إلى أن الكميات المتوافرة لديها من هذا الدواء تكفي لسد حاجة مليونين ونصف المليون فقط.

من جانبها قالت عضو مجلس السياسة الصحية العالمية «لوري غاريت»: إن الدول الغنية في العالم تهافتت حاليا لشراء كميات كبيرة من المخزون الاحتياطي لدواء «تاميفلو».

وذكرت ان استراليا لديها كميات من هذا الدواء تكفي ٣,٥ ملايين شخص بينما طلبت بريطانيا مخزونا من الدواء يكفي ربع سكانها لمواجهة هذا الوباء الذي تشير الأنباء إلى أنه فتك بـ ٥٧ شخصا حتى الآن في الدول الآسيوية.

حكم الشرع

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

إشراف
زهير محمود حموي -
الباحث الشرعي في
قطاع الافتاء والبحوث الشرعية

هاتف مباشر
خدمة الفتوى داخل الكويت
149
من خارج دولة الكويت
المفتاح الدولي 00965
244 44 05
242 29 34
246 69 14
فاكس:
245 25 30

الإقتراض بالفائدة لشراء منزل

عرض محول من مجلة الوعي الإسلامي إلى لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى لتوضيح الاستفتاء المقدم من مستفتية من المغرب، ونصه:

أنا مدرسة حديثة التخرج، أعيل أسرتي الصغيرة المكونة من أم وأخ أصغر، والدي متوفى منذ ١٦ عاماً، تسكن أسرتي في بيت ردىء جداً تكثر فيه التشققات، جدرانه وأساسه هش جداً، ونحن نخشى سقوطه في أي لحظة، وجدت نفسي شديدة الاضطرار الى شراء بيت آخر منين، فبحثت عن المنزل المناسب، فوجدت أن أثمانه تتراوح بين (٨٠٠٠٠ و ٢٤٠٠٠٠ درهم مغربي) لكني لا أملك هذا المبلغ، ومن ثم حاولت الاقتراض من بعض الأشخاص ولكن دون جدوى فالمبلغ كبير، ثم فكرت في الإيجار، لكن مرتبي لا يمكنه أن يغطي كل نفقاتي، مصاريف أسرتي - أي مصاريف الإيجار - والمصاريف الخاصة - مصاريف المواصلات لأنني أعمل في مدرسة في مدينة أخرى تبعد نحو ٢٤٠ كيلو متراً عن مكان سكني وتكلفة التنقل بـ ٣٨٥٠ درهما في الشهر.

وبعد كل هذا وجدت نفسي مضطرة إلى أخذ قرض من البنك، وسيتم إرجاعه إليه عن طريق استقطاعات من مرتبي الشهري، إضافة الى الفائدة، وذلك خلال مدة محدودة (١٥ سنة مثلاً) علماً أنه ليس في المغرب بنك إسلامي، واحد، فكل البنوك ربوية، ولا يجد المسلم المغربي متنفساً لتمويل مشترياته الضرورية بالسبل الشرعية.

من هنا أتكلم باسمي وباسم كل من يعاني من مثل هذا المشكلة العويصة، وأناشد البنوك الإسلامية المركزية سواء في الكويت أو في غيرها، بفتح فروع لها في المغرب، مثلما حصل في القاهرة.

السؤال المهم: ما حكم الشرع في هذا الحل الاضطراري الذي اتخذته؟

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

الربا محرم شرعاً، لقوله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا) سورة البقرة من الآية (٢٧٥)، وقوله ﷺ: «لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء» رواه الخمسة.

إلا أن الضرورات تبيح المحظورات، قال تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾ سورة البقرة من الآية (١٧٣).

وتقدر الضرورة بقدرها، كما أن الحاجة الماسة تنزل منزلة الضرورة، والمستغنية ليست في حال ضرورة تدفعها الى الاقتراض بالربا، إذ بإمكانها أن تستأجر بيتاً في حدود إمكاناتها، أو أن تبيع بيتها القديم، وتشتري بثمنه مسكناً آخر في الحدود المتاحة لها.

خطبة العيد

عرض على لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى الاستفتاء المقدم من بعض طلبة العلم، في مملكة البحرين، ونصه مايلي:

ماذا يقول السادة العلماء فقهاء المذاهب الأربعة في خطيب صلى العيد ثم خطب خطبة واحدة وقال للحاضرين هذه هي السنة.

هل ما قاله هذا الخطيب صحيح، موافق لمذهب معتبر أم لا؟

وإذا كان ما قاله غير صحيح فما الصحيح؟ وما واجب أولياء الأمور تجاه هذا الخطيب إن أصر على خطئه هذا؟ وهل يصلح هذا الخطيب أن يكون خطيباً أو مفتياً أو قاضياً. أفيدونا مشكورين.

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

يلتزم المنقول من فعل النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ومن بعدهم من الأئمة الأربعة وأتباعهم، من أداء خطبتين عقب صلاة العيد يفصل بينهما بجلسة خفيفة وتفتتح الخطبة الثانية كالأولى بالتكبير، ويدل على هذا حديث جابر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ خرج يوم فطر أو أضحى، فخطب قائماً ثم قعد قعدة ثم قام» أخرجه ابن ماجة، وما في أحد رواته من ضعف يعضده الآثار ذات الطرق الكثيرة والمروية عن بعض الصحابة والتابعين، من ذلك قول ابن مسعود: «السنة أن يخطب الإمام في العيد خطبتين فيفصل بينهما بجلوس»، وروى نحو هذا الأثر من قول «عبيدالله بن عبدالله بن عتبة» أحد فقهاء المدينة، كما روى عنه «السنة أن تفتتح الخطبة بتسع تكبيرات تترى، والثانية بسبع تكبيرات تترى» ولم يثبت عن فقيه معتمد الاكتفاء بخطبة واحدة في صلاة العيد، وخطبتا العيد أجرى عليهما عامة الفقهاء ما يجري على خطبتي الجمعة مع الإكثار من التكبير وافتتاحهما به، والتعرض فيهما لما يحتاج إليه المسلمون من أحكام تلك المناسبة، وأن على من يعتلي المنبر في خطبة الجمعة ونحوها، ويقف بذلك من المسلمين موقف سيدنا محمد ﷺ من أصحابه ينبغي له ألا يحمل الناس في حكم شرعي - يشيع أمره بينهم، ويمس أغلبيتهم - على ترجيح شخصي له، أو لغيره من المعاصرين، بل ينبغي أن يبين مذهب جمهور الفقهاء ويبين الخلاف في المسألة.

تولي المرأة القضاء والحسبة

عرض على لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى في اجتماعها المنعقد الاستفتاء التالي ونصه:

هل يجوز تولي المرأة القضاء - أي وظيفة قاض - وهل هناك فريق من العلماء يجيزون تولي المرأة في جميع القضاء، وبعضهم يجيزها في جزء من هذا القضاء، والباقون لا يجيزون؟ ويستدل بعضهم بأدلة عدة منها:

١- نقل - حكي - عن الإمام ابن جرير الطبري: أنه يجيز أن تكون المرأة قاضية؟ فهل هذا النقل صحيح وثابت؟

٢- وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قدم امرأة على حسبة السوق؟ فهل هذا ثابت وصحيح؟

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

١- يشترط جمهور الفقهاء أن يكون القاضي ذكراً، وقد استدل الجمهور على عدم جواز تولية المرأة القضاء بقوله ﷺ: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري، ولأن القاضي يحضر محافل الخصوم، والنساء لسن أهلاً لذلك، وقد نبه الله تعالى إلى نسيانهن بقوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ البقرة/٢٨٢، قال ابن حجر بعد أن نقل كلام الخطابي: إن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء، وأنها لا تزوج نفسها ولا العقد على غيرها.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: يجوز أن تلي النساء القضاء فيما يجوز أن تقبل شهادتهن فيه، وحدهن، أو مع الرجال، لأن في الشهادة معنى الولاية، ولا يجوز في الحدود والقصاص، لأن شهادتهن لا تقبل في ذلك، ويأثم موليها.

وحكي عن ابن جرير الطبري أنه أجاز تقلد المرأة القضاء مطلقاً، وعلل جواز ولايتها بجواز فتياها.

وقد ذهب بعض الشافعية الى أنه لو ولّى سلطان ذو شوكة امرأة القضاء نفذ قضاؤها.

٢- اشترطت طائفة من العلماء فيمن يتولى الحسبة أن يكون ذكراً، وأيده ابن العربي، وتبعه القرطبي وقال: لأن المرأة لا يتأتى منها أن تبرز الى المجالس، ولا أن تخالط الرجال، ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير، لأنها إن كانت فتاة، أي: حديثة السن، حُرِّم النظر إليها وكلامها، وإن كانت متجالة برزة، أي: مسنة، لا يرغب فيها الرجال، لم يجمعها والرجال مجلس تزدحم فيه معهم، وتكون منظرة لهم، ولن يفلح قط من تصور هذا ولا من اعتقده، واستدل على منعها من الولاية بحديث: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري.

وأجاز توليتها آخرون، لما ثبت من أن السمراء بنت شهيك الأسدية كانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنهى الناس عن ذلك بسوط معها، ويستدل على جواز ولايتها وعدمه بالخلاف الوارد في جواز توليتها الإمارة والقضاء.

حول زكاة الفطر

لمناسبة إخراج زكاة الفطر، فإن لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية توضح للجمهور الكريم أحكام زكاة الفطر، وذلك كمايلي:

تعريفها وحكمة تشريعها:

صدقة الفطر هي الصدقة التي تلزم المسلم في نهاية شهر رمضان، وتسمى زكاة الفطر وزكاة البدن، تمييزا لها عن زكاة المال، وقد شرعت لإغناء الفقير في يوم العيد، فيشارك المسلمين فرحتهم بعيدهم.

حكمها وشروطها ومصارفها:

- صدقة الفطر واجبة على كل مسلم، حي في آخر يوم من رمضان، وقادر على إخراجها، سواء كان كبيرا أو صغيرا، رجلا كان أو امرأة، صام أو لم يصم، لحديث ابن عمر ﷺ قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة» رواه البخاري.

- والقادر على إخراجها عند الجمهور هو كل من ملك فيمتها زائدا عن قوته وقوت عياله وجميع حاجاته الأصلية يوم العيد وليلته.

- وتجب صدقة الفطر على المسلم عن نفسه وعن أولاده الصغار الفقراء باتفاق الفقهاء، كما تجب عليه عن كل من تلزمه نفقته شرعا ممن يعولهم من زوجته ووالديه وأولاده عند الجمهور، ولا تلزمه عن خدمه إلا أن يتبرع بها عنهم ويخبرهم بذلك.

- وقت وجوبها عند أكثر الفقهاء هو غروب شمس آخر يوم من رمضان، فمن مات قبل ذلك فلا تجب عليه ولا عنه، ومن مات بعد ذلك وجبت عنه، ومن ولد قبل ذلك وجبت عنه، ومن ولد بعد ذلك لم تجب عنه.

- ووقت إخراجها الأفضل من طلوع فجر يوم عيد الفطر إلى أن يصعد الإمام على المنبر لأداء خطبة العيد، ولو أخرجها المسلم قبل يوم العيد بيوم أو يومين فحسن، وقال بعضهم له إخراجها من أول رمضان، ولو أخرها المسلم عن ذلك فقد فات وقتها، ووجب عليه إخراجها، وتكون له صدقة من الصدقات لا صدقة فطر.

- ومقدارها صاع من أغلب قوت البلد، سواء كان قمحا أو شعيرا أو أرزا أو غير ذلك، والصاع يساوي (٢,٥) كغ تقريبا، ويجوز دفعها طعاما كما يجوز دفعها نقودا، وتقدر قيمتها من النقد في الكويت في هذا العام ١٤٢٥هـ بدينار كويتي واحد عن كل فرد.

- وتدفع زكاة الفطر لمن يحل لهم أخذ زكاة المال، وهم المنصوص عليهم في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾(التوبة:٦٠) ولو كانوا من خدمه ما داموا مسلمين.

- ويجوز لمن لزمته زكاة الفطر أن يدفعها لفقراء البلد الذي هو فيه يوم العيد، وهو الأفضل، ويجوز له نقلها إلى بلد آخر إذا كان فيه قريب له محتاج، أو كان فيها من هو أشد فقرا من فقراء بلده.

والله تعالى أعلم.

سائلين المولى تعالى أن يتقبل من المسلمين صيامهم وقيامهم وصدقاتهم.

مسك الختام

• بقلم: عبدالستارخليف

بكاء اللصوص..

هل رأيتم لصا يبكي؟!
ولماذا يبكي اللص؟!
لأننا قمنا باسترداد جزء يسير.. من حقوقنا التي سرقها في رابعة النهار!!
هذا فعلا ماحصل أمام أعين العالم وعلى شاشات التلفاز.. بكى اللصوص بدموع التماسيح عند إخلائهم من الأراضي العربية التي اغتصبوها منذ اكثر من ربع قرن من الزمان. وتعاطف معهم من هم على شاكلتهم، ومنهم في لونهم، لون الحرباء، جئتم الآن تبكون !! على استرداد جزء صغير من الغنيمة التي سلبتموها في وضح النهار، والعالم حينئذ يسمع ويرى ولا يحرك ساكنا!!
فمن أي لون أنتم يامعشر اللصوص؟!
إنه لأمر يثير السخرية والقسوة.. اللص يبكي، فمن أين أتت هذه الشرذمة من البشر؟! منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، جاء هؤلاء اللصوص من مختلف أنحاء العالم، قتلوا وطردوا، وشردوا أصحاب الأرض من بيوتهم، وسرقوا بلداً بأكمله!! أكبر سرقة في تاريخ البشرية، ولم يجدوا من يحاسبهم. هذا التصرف لا يفعله إلا عصابة من اللصوص، جبلت على السلب والنهب والتوسع والعدوان.والآن يتباكون، بدموع التماسيح!! بعد أن زيفوا التاريخ، وسرقوا الأرض التراث والفلكلور، لقد سرقوا كل شيء، كل شيء، المياه العذبة والتربة الخصبة والهواء النقي، واقتلعوا أشجار الزيتون.. حتى أعضاء البشر لم تسلم من سرقاتهم.
المنطق يقول: إنه لا يعقل بأي حال من الأحوال.. أن مجموعة من البشر جاءت من مختلف بقاع العالم، وتقابلت للمرة الأولى على تراب فلسطين، يمكن أن تكون (أمة) لها مقوماتها ولها حضارتها وتاريخها وتراثها وفلكلورها الشعبي، فهذا محال. محال أن يكون لها (أرض الأجداد)، وأن تكون (شعب الله المختار). محال أن يكون لها تاريخ واحد مشترك، وتراث يضرب بجذوره في أعماق الأرض العربية!!
وبعد كل هذه السرقات، ماذا بقي لدولة الكيان الصهيوني من شيء، لم تسرقه؟! غداً .. سيسرقون أحلام البشر من العرب، ويحولونها من خلال (العولمة) إلى سيرة هشة لحفنة من البدو الرحل كانوا يعيشون -هنا- في صحراء قاحلة، حتى جاء شعب الله المختار- بالمدنية والتكنولوجيا- فعمروا هذه الفيافي والقفار، وحولوا هذه الخرائب، إلى دوحة يانعة من الخضرة والماء والوجه الحسن، وأصبحت الصحراء العربية، شرق أوسطية جديدة.
أليست هذه هي أفكار «الملعونة»، ونزعاتها وتطلعاتها إلى الاحتفاظ بكل ما تملك ومشاركة العرب في كل ما يمتلكون من الخيرات والمياه والآثار والتاريخ.
أليست هي القائلة: إنها وجدت فلسطين (أرضا بلا شعب).. فماذا فعلت؟ جاءت بالشعب اليهودي وعمرت الأرض، وكان جراء ذلك أن شردت أصحاب الأرض وأصحاب الحق وفرضت سيطرتها على كل تراب فلسطين، وتسللت إلى مختلف بقاع الجسد العربي كالسوس، تنخر في عظامه وتنهب موارده المائية والطبيعية.. من دون استحياء، فمن سرق (أرضا) في وضح النهار، هل تلومه لأنه سرق (جملاً) في الليالي المعتمة؟! ..إذا لم تستح، فأفعل ما شئت.
والملعونة تفعل ما تشاء في رابعة النهار!! ونحن نيام في فترة القيلولة، بعد أن أصابتنا التخمة من تناول الطعام الدسم..
الملعونة سرقت الماضي العريق، والحاضر المؤلم، وستسرق المستقبل الغامض.
والآن يبكون، يبكون، الآن ..
فمن أي لون أنتم يامعشر اللصوص؟!

الربح أكيد معنا

عند الإشتراك او تجديد اشتراكك بـ 7.500 د.ك في :

الوعي الإسلامي يراعم الإيمان

احصل على هديتك فوراً

مجلتان في آن واحد

العديد من الجوائز القيمة

اتصل بنا الآن
2467132
يصلك مندوبنا

الكويت: المسجد الكبير
هاتف: ٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٤٧٣٧٠٩

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع
الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥

الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة الكويت

islam.gov.kw